الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام
دراسة مقارنة

الدكتوره
أميمة بنت أحمد شاهين الجلاهمة
الاستاذ المساعد فى علم العقيدة ومقارنة الأديان
بكلية الأداب للبناتِ بالدمام - المملكة العربية السعودية

تقديم

الاستاذ الدكتور/ محمود عبد السميع شعلان
أستاذ علم مقارنة الأديان - بجامعة الأزهر

الناشر
مكتبة/ زهراء/ الشرق
ت/ ٣٩٢٩١٩٢

الخطيئة الأولى

بين اليهودية والمسيحية والإسلام

دراسة مقارنة

تأليف

الدكتورة/ أميمة بنت أحمد بن شاهين الجلاهمه
الأستاذ المساعد فى علم العقيدة ومقارنة الأديان
بكلية الآداب للبنات بالدمام - المملكه العربية السعودية

تقديم الأستاذ الدكتور/ محمود عبد السميع شعلان
أستاذ علم مقارنة الأديان بجامعة الأزهر

الناشر
دار زهراء الشرق
١١٦ ش محمد فريد - القاهرة
ت ٣٩٢٩١٩٢

رقم الايداع ٢٤٣٧ /٩٧٠

الترقيم الدولى I.S . B . N

977 - 5789 - 26 - 5

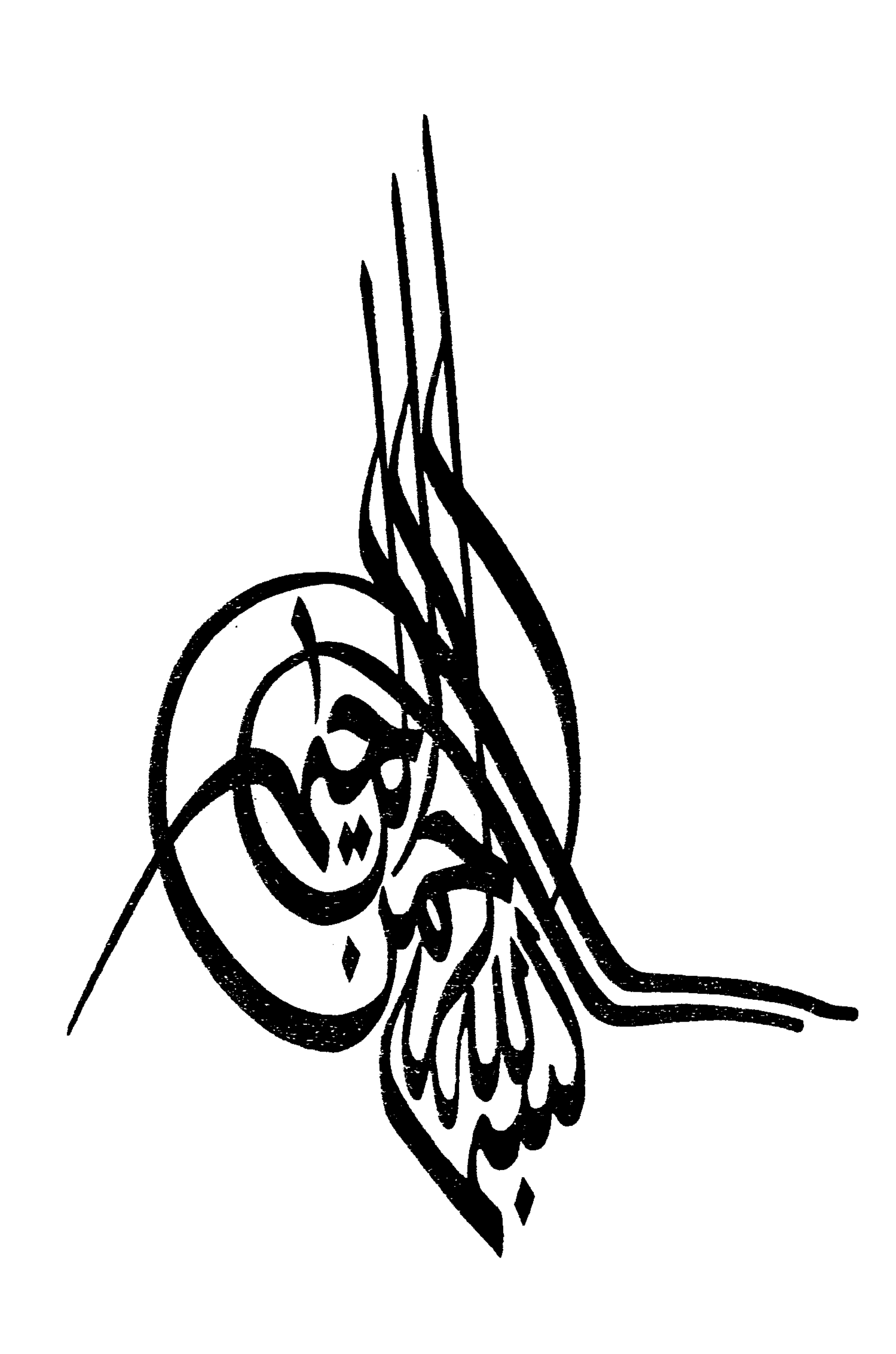
الناشــــر

مكتبة زهراء الشرق

١١٦ شارع محمد فريد

ت / ٣٩٢٩١٩٢ بالقاهرة

فاكس ٣٩٣٣٩٠٩


بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

إلى هذا الوطن -المملكه العربية السعودية- إذ لم يكن بالإمكان أن أحقق هذا الحلم لولا الله - سبحانه وتعالى- ثم مساندة بلادى لطموحاتى، وتشجيعها لى، والذى تمثل أكثر ما تمثل فى توفيرها لى علماء يعدون من نوادر هذا العصر في علمهم ونبلهم وصبرهم، تعاملوا معى من منظور الأب الحريص على أبنائه، ومن هذا المنطلق أشعر أن هذا الوطن الغالي يستحق هذا الإهداء، وإن كنت أعتقد أن الهدية لاتهدى لصاحبها.

أدعوه -سبحانه وتعالى- أن يجعل هذا الجهد في موازين حسناتى يوم القيامه إنه سميع الدعاء.

شكر وتقدير

عقب الانتهاء من هذه الدراسة أتوجه الـى اللـه سبحانه بـالحمد، من قبل ومن بعد كما يليق بجـلال وجهـه وعظيم سلطانه، فقد منحنـي الصبر والرغبة الصادقة من أجل التصدي لهذا الموضوع العقدي الهام.

كمـا أشكره تعـالى جزيـل الشكر اذ قيض لـى أستاذا كأستاذي **الدكتور رفقي على زاهر** -رحمـه اللـه- ليكون مشرفا علـى هـذه الدراسة وعلى رسالة الماجستير من قبل، فقد خصنى بـالكثير مـن وقتـه الثمين وفكره الغزير وتوجيهاته السديدة التى كانت لهـا أكبر الأثر فـي تسهيل مهمتـى فـي كتابـة هـذه الرسـالة، والوصول الـى النتـائج التـى توصلت اليها، فجـزاه اللـه خيـر الجـزاء وأسكنه فسيح جناتـه، وتغمـده بواسع رحمته، وكم كنت أتمنى أن يكون بيننا ويشهد نشـر هـذا البحـث، لكن عاجله قدر الله قبل أن تتحقق له تلك الغاية، وسأظل أذكره وأدعـو لـه مـا حييت، بـأن يسكنه اللـه الفـردوس الأعلـى ويجعلـه مـع النبييـن والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

ولايفوتـنـي أن أسـجل شـكري لأسـتاذي **الأسـتاذ الدكتـور محمود شعلان** -حفظه الله- على معاونته وإرشادي الى بعض المراجع المهمة وتفضله بتزويدي بها، وحرصه واهتمامه الذى ظهر واضحا من خلال إشـرافه علـى طباعـة هـذا الكتـاب وعلـى إظهـاره بهـذه الصـوره المشرفه، وهذا الاخلاص لايستبعد على أستاذى الفاضل الدكتور محمود شعلان.

ولاأنسى العون العلمي الدائم الذي أظهرته مكتبة الملك فهد الوطنية وعلى رأسها أمينها أستاذي الفاضل **الأستاذ الدكتور يحي محمود ساعاتي**، فقد يسرت لي هذه المكتبة بتفهم أمينها وبسياستها الرشيدة الحصول على أغلب المراجع الأصلية للديانتين اليهودية والمسيحية، أدعوه سبحانه أن يجزي هذه المكتبة وأمينها، عني وعن روادها من طلبة العلم خير الجزاء.

ولاأجد أقل من توجيه الشكر الى زوجي العزيز، فقد ساندني وساعدني ووفر لي من وقته ماأتاح لي اتمام هذه الدراسة.

كما أشكر أبنائي الأعزاء على تفهمهم لأعباء الرسالة، وهو الشكر الذي أوجهه الى بقية أفراد أسرتي لما قدموه من اهتمام وتشجيع.

وأخيرا أتوجه بالشكر والعرفان لزميلاتي في كلية الآداب للبنات بالدمام، ممن ساعدنني برأي أو إعارة كتاب.

[ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ، وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين] (سورة النمل آية (١٩)).

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، صلى الله عليه وسلم.

تقديم بقلم فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمود عبد السميع شعلان.
استاذ علم مقارنة الأديان بكلية أصول الدين جامعة الأزهر شبين الكوم.

أحمد الله تعالى وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع نهجه وسار على هداه الى يوم الدين؛

وبعد

فان اليهود والنصارى يعملون جاهدين على إلصاق الخطيئة بأبي البشر آدم عليه السلام وبكل من ولد من نسله حتى كبار أنبياء الله تعالى ورسله ولهم في ذلك مآرب.

فلعل اليهود ولكونهم غارقين في الأخطاء يحاولون بث هذه العقيدة لتبرير آثامهم ومساوئهم.

أما النصارى فقد جعلوا عقيدة الخطيئة هي أصل العقائد التي قامت عليها المسيحية فبسبب الخطيئة في زعمهم صلب المسيح فاديا للبشر مكفرا لخطاياهم ولا يكون كذلك إلا إذا كان إلها مشاركا للأب في الجوهر متجسدا في هيئة إنسان كما يزعمون.

أما الإسلام وهو دين الفطرة فلا يصح فيه إلا الصحيح لأنه غير مبدل ولا محرف والقاعدة فيه أنه "ولا تزر وازرة وزر أخرى" وأنه لاسعي للإنسان إلا ما سعى.

ولا أريد الإطالة في الخوض في هذا الموضوع بل أتركه للأستاذة الدكتورة أميمة التي عشقت دراسة الأديان والخوض في أعماقها بل إن مبلغ علمي أنها تكاد تكون متفردة بين النساء في اقتحام

هذا الميدان الوعر وهذا المسلك الصعب ولقد جاهدت جهادا كبيرا حتى خرج هذا الكتاب على هذه الهيئة التى ترضى الباحث وتسر المتخصص وإليك أيها القارئ الكريم هذا الكتاب.

ا.د./ محمود شعلان

استاذ علم مقارنة الأديان

بكلية أصول الدين جامعة الأزهر

شبين الكوم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونتوب اليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله المبعوث رحمة للعالمين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته الى يوم الدين.

استفتح بالذي هو خير

(ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا واليك المصير)[1]

قال تعالى **[ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون]**.[2]

وقال سبحانه: **[قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون]**.[3]

إن منهج القرآن الكريم واهتمامه بمناقشة أصحاب الأديان الأخرى ولاسيما الكتابية منها، أوضح من أن يرقى اليه شك وأجلى من أن تثور حوله مناقشة، فلا تكاد آياته البينات تعرض الحديث عن عقائد أهل الكتاب إلا لنجد في ثناياها توجيها رائعا الى مناقشة مافسد من هذه العقائد، وتصحيح مافيها

---

(١) سورة الممتحنة، الآية ٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

من خلل وانحراف، ومن هذا المنطلق اتجهت لدراسة الأديان والتخصص فيها، داعية الله سبحانه أن يتقبل عملي لوجهه الكريم، فاخترت في دراستي لمرحلة الماجستير الديانة اليهودية أول الأديان السماوية القائمة، والعقيدة الألوهية فيها بالذات لما تستأثر به هذه العقيدة من أهمية بالغة في جميع الأديان، فلما حان الوقت لاختيار موضوع جديد للتسجيل لدرجة الدكتوراه اتجه فكري إلى إختيار عقيدة أساسية في الديانة المسيحية رغبة في دراسة هذه الديانة، وبعد تفكير وبحث نصحني أستاذي الفاضل الدكتور "**رفقي زاهر**" أن أتجه إلى دراسة عقيدة الخطيئة الأولى عند النصارى لما تشغله هذه العقيدة من مكانة بارزة بين عقائدهم، بل إن عقائدهم الأساسية قائمة على هذه العقيدة. وهو ماأكده هنري أبو الخاطر بقوله:

"**الفداء خلاصاً للبشرية، وهو من صلب العقيدة المسيحية، والعقيدة تنهار والفداء يفقد معناه إن لم يتجسد الله ويخلص البشرية من شوائب الخطيئة الأصلية**"(١).

وقد ازداد اقتناعي بأهمية تخصيص هذه العقيدة بدراستي في هذه المرحلة أنها لم تحظ من الباحثين والدارسين بما تستحقه من عناية، إذ لم أقع على دراسة خاصة لأحدهم تتعلق بهذه القضية مع أهميتها وخطورتها.

ولكن مع استمرار القراءة حول الموضوع تبين لي أمران في غاية الأهمية.

أحدهم أن دراسة هذه القضية في المسيحية لايمكن أن تتم بغير الرجوع إلى العهد القديم الذي عرض قصة الخطيئة الأولى ورتب عليها بعض الآثار المتصلة بالعقيدة والشريعة.

أما الأمر الثاني فهو أن الرسالة لا يجوز أن تقتصر على مجرد

---

(١) نظرات في الحتمية والجبرية والحرية. ص١٣٥.

العرض لما ورد في هاتين الديانتين، وإنما يتحتم أن نقوّم الباطل بالحق، ونكشف الخطأ بالصواب، ولا يتسنى لنا ذلك إلا ببيان موقف الإسلام من هذه العقيدة، وما ارتبط بها من عقائد وآثار في كل من اليهودية والمسيحية مع المقارنة العلمية بين مواقف الأديان الثلاثة، لنخلص في النهاية إلى دراسة متكاملة تجمع بين العرض والتقويم، ومن ثم فقد انتهى الرأي العام إلى أن يكون موضوع هذه الرسالة "**الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دراسة مقارنة**".

وقد وضعت لنفسي منهجا التزمت به خلال هذه الدراسة، يمكن إجماله في الأمور الأربعة التالية:

أولا : الرجوع إلى المصادر الأصلية للأديان الثلاثة.

ثانيا : محاولة فهم المعنى المقصود بالجمع بين النصوص الواردة في موضوع واحد، وبالرجوع الى ماقاله كبار العلماء فى كل دين.

ثالثا : عدم التدخل أثناء عرض القضايا بالحكم والتقويم إلا إذا عرضت مسألة مهمة تستوجب تعليقا سريعا لما قد يحدثه تعارض النصوص من ارتباك.

رابعا: المقارنة الموضوعية الحقيقية بين مواقف الأديان الثلاثة من الخطيئة الأولى تلمسا لكلمة الحق فى هذه القضية.

وتحقيقاً لهذا المنهج مضت خطة الرسالة كما يأتي:

١- مقدمة: تشرح أهمية الموضوع وسبب اختياره وتعرض منهج تناوله.

٢- تمهيد: يشير الى مضمون القضية المطروحة واختلاف الأديان الثلاثة حوله.

٣- أبواب الرسالة:

الباب الأول:

موضوع الخطيئة الأولى في اليهودية، وهو يلقي الضوء على هذه

القضية من خلال ماورد فى مصادرها المقدسة، ولنكوّن صورة واضحة حول هذه العقيدة سيتكون هذا الباب من فصلين:

الفصل الأول:

عرض وتحليل لقصة الخطيئة الأولى كما وردت في التوراة.

أما الفصل الثاني:

فألقي الضوء فيه على الآثار العقدية والشرعية الناشئة عن إيمان اليهود بالقصة المذكورة، تلك الآثار التى كان لها دور في تغيير معالم الديانة اليهودية الصحيحة مع بيان شروح علماء أهل الكتاب وتعليلاتهم لهذه الآثار والتي أكدت في الغالب ارتباطها بالخطيئة الأولى، كآثار ناشئة عن إيمان اليهود بمضمون هذه القصة التوراتية.

الباب الثاني:

بعد أن تم رسم الصورة عن عقيدة الخطيئة الأولى عند اليهود من خلال ماورد في مصادرهم المقدسة، انتقلت في هذا الباب لأتعرف على صورة هذه العقيدة في الديانة المسيحية، وهو مكون من تمهيد وفصلين.

أما التمهيد فقد وضح فيه تأييد المسيحية لما ورد في التوراة.

غير أن الأمر في المسيحية لم يقف عن مجرد الإيمان بما ورد في الأسفار اليهودية، فقد نشأت عن الإيمان بالخطيئة الأولى في المسيحية عدة عقائد أساسية تضمن الفصل الأول من هذا الباب الحديث عنها..وهذه العقائد الهامة يمكن حصرها في ثلاث عقائد هي:

١- بنوة المسيح لله.

٢- الفداء.

٣- عالمية المسيحية.

ومن ثم فقد تكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث يتناول كل منها احدى العقائد المذكورة.

أما الفصل الثاني فهو يتحدث عن قضية خطيرة حقا، لم ترد في العهد الجديد، وانما انتهت اليها جهود القساوسة فيما بعد.. لعوامل مادية بحتة، هذه القضية هي قضية الإثم الفردي ومايستوجبه من تدخل الكنيسة في الغفران.

الباب الثالث:

خصص للحديث عن موقف الإسلام من هذه العقيدة ومارتبط بها من آثار وعقائد في العهدين القديم والحديث، وهذا الباب يتكون من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عرضت فيه قصة الخطيئة الأولى كما وردت في الإسلام.

أما الفصل الثاني: فقد بينت فيه موقف الإسلام من التصور اليهودي للآثار الناشئة عن الإيمان بالخطيئة الأولى.

وأما الفصل الثالث: فانتقلت فيه للحديث عن موقف الإسلام من العقائد والطقوس المرتبطة بالخطيئة الأولى في المسيحية.

الباب الرابع:

عقدت فيه مقارنة بين مواقف الأديان الثلاثة من الخطيئة الأولى، ومارتبط بها من عقائد وترتب عليها من آثار.

وذلك بتخصيص **الفصل الأول** من هذا الباب لأسس المقارنة العقلية والتاريخية والغائية، وقد وصلت في نهايته إلى معرفة الحق من الباطل من خلال عرض هذه الأسس.

ثم خصص **الفصل الثاني** للحديث عن العوامل التي أدت إلى الانحراف فى هذه القضية وهي نفسية وقومية ودينية.

٤- خاتمة تجمل نتائج البحث وتوصياته.

٥- مراجع الرسالة.

٦- الفهارس.

وقد واجهتني أثناء دراستي لهذه القضية صعوبات أهمها صعوبة الحصول على مراجع أصلية للديانتين اليهودية والمسيحية، وقد استطعت تجاوزها بفضل الله وتوفيقه، ثم مساعدة المؤسسات العلمية في المملكة العربية السعودية.

وبعد فذلك هو البحث الذي أسفرت عنه سنوات طويلة بذلت فيها ماستطعت من جهد وانتهيت فيه إلى مايسر الله من نتائج، أسأله سبحانه وتعالى أن يتقبله مني لوجهه الكريم ويعفو عن تقصيري ماوجد التقصير ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. [**وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**](١)

والحمد لله رب العالمين

(١) سورة هود، الآية ٨٨.

التمهيد

تباينت الآراء في المقصود من الخطيئة الأولى ومصدرها، مما يتطلب ضرورة البحث في تلك الآراء، وتقصي ماطرحته من أفكار للوصول الى مفهوم يحدد المراد منها.

فبالنسبة لمصدرها نجد أن هناك من يعتقد انها صدرت عن مخلوقات قبل الإنسان وجدت على هذه الأرض، وهذا الاعتقاد يؤيده ماذكره ابن كثير في تفسيره بقوله تعالى: [**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالاتعلمون**][١]. فقد ذكر "رواية مجاهد عن عبد الله بن عمر قال: كان الجن بنو الجان في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء وبعث الله جندا من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوا بجرائر البحور*، فقال الله للملائكة [**إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالاتعلمون**][٢].

بل هناك من يعتقد أن المخلوقات التي وجدت قبل الإنسان وصدرت عنها الخطيئة هي الملائكة هذا الاعتقاد وارد في تفاسير أهل الكتاب لكتابهم المقدس[٣].

---

(١) سورة البقرة. الآية ٣٠.

* علق الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مخرج أحاديث تفسير بن كثير . على هذه الرواية وأمثالها بقوله: "وغالب هذه الآثار ليس مما تطمئن النفس إلى ثبوته بل غالبها عن الكتب القديمة التى ليس لها أسانيده. راجع المجلد الأول. ص١٢٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٧٠.

(٣) راجع: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم. ج١. ص٥٤.

والبعض الآخر يعتقد أن الخطيئة الأولى محصورة في خطيئة إبليس عندما امتنع عن الخضوع لأمر الله بالسجود لآدم، ومنهم من يظن إن هذه التسمية يقصد بها أول خطيئة وقعت من إنسان على محيط الكرة الأرضية، وهذا الظن يجعلها محصورة في خطيئة قابيل بقتله أخاه هابيلاً ظلما وعدوانا.

هذه هي مجمل الآراء حول ماهية هذه الخطيئة، وهي آراء تدعو الى بعض المناقشة.

بالنسبة للرأي القائل إن الخطيئة الأولى صدرت من الجن فمرفوض، لعدم وجود نص صريح في أي دين من الأديان الثلاثة على وقوعها منهم، أما الرأي القائل إن الخطيئة الأولى صدرت من الملائكة فغريب، فالذي يتبادر الى ذهن السامع عند ذكر الملائكة أنهم مخلوقات علوية منزهة عن الخطيئة تبادر الى تنفيذ أمر الله، كما أن نصوص القرآن الكريم والعهد القديم والجديد تؤكد اتصاف الملائكة بتلك الصفات، وهذا يعني عصمتهم من المعاصي.

والاعتماد على تفسير مفسري الكتاب المقدس(١) في إثبات هذه القضية أمر غير وارد وغير مقبول، كما أن وجود بعض النصوص في العهد الجديد تنسب المعصية إلى الملائكة لاتكفي لإثبات وقوع الخطيئة الأولى منهم، فهذه النصوص لاتشير الى الخطيئة الأولى هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن إنفراد العهد الجديد بهذا الحديث يخرجها من نطاق المقارنة.

أما بالنسبة للرأي القائل إن الخطيئة الأولى صدرت من قابيل، فمردود فقد سبقتها خطيئتان، وهما خطيئة إبليس، وخطيئة آدم وحواء وهذه بنص القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى.

والأوفق أن تسمى خطيئة قابيل أول خطيئة أرضية إذ أنها ليست الخطيئة الأولى على الإطلاق، إذاً إنحصرت الخطيئة الأولى في اثنتين،

---

(١) راجع: قاموس الكتاب المقدس، مادة الملاك.

خطيئة إبليس وخطيئة آدم، ويوجد اتصال وثيق بينهما على اعتبار أن خطيئة إبليس التي أشارت اليها التوراة خطيئة الإغواء، أما إذا قصد بالخطيئة الإولى عدم سجود إبليس لآدم فهذا أمر ينفرد به الإسلام، ومن ثم لايدخل في مجال المقارنة، وهكذا يتعين أن تُحمل الخطيئة الأولى على المعنى المشترك بين الأديان الثلاثة، أي خطيئة آدم وحواء، بالإضافة إلى أن هذا الإطلاق شائع بين أبناء اليهودية والمسيحية على الإطلاق[١].

إذا فالخطيئة الأولى هي معصية آدم وحواء بأكلهما من الشجرة المحرمة، ويمكن القول إن هذه المعصية هي موضع خلاف ظاهر بين الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، فهي تتحد في أصل الخطيئة أي في وقوع آدم وحواء في المعصية، أما فيما يختص بالتفاصيل والأمور المترتبة عليها فبين الإسلام من جهة والديانتين السابقتين من جهة أخرى فرق شاسع، وهذا لايعني عدم وجود اختلاف حولها بين الديانتين اليهودية والمسيحية، بل إن الخلاف الكبير بين الديانتين حول هذه القضية أدى إلى خلاف عقدي.

ومن ثم تدور هذه الرسالة حول الخطيئة الأولى بهذا المفهوم، والله ولي التوفيق.

---

(١) راجع: الأب الدكتور منير خوام، المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية. ص٣٢٢.

الباب الأول

الخطيئة الأولى في اليهودية

الفصل الأول: قصة الخطيئة كما تعرضها التوراة.

الفصل الثاني: الآثار الناشئة عن الإيمان بالقصة المذكورة.

الفصل الأول

قصة الخطيئة كما تعرضها التوراة

لابد للباحث فىالعهد القديم من الوقوف وقفات عديدة عن الإصحاح الثالث من سفر التكوين، الذي يتحدث بإسهاب عن تجربة الإنسان وسقوطه، والنتائج التى ترتبت على هذا السقوط ، إن هذا الإهتمام يفرض نفسه يرجع الى مضمون هذا الإصحاح.

ولنكون على بينة من ذلك سأطرح النص المتعلق بتجربة الإنسان وسقوطه كاملاً، ومن ثم أبدأ بعرض بعض التساؤلات التى قد تتبادر إلى الأذهان محاولة الإجابة عنها قدر المستطاع من خلال شروح علماء أهل الكتاب المتعلقة بهذه القضية، ومن خلال تقويم مايرد بهذا الخصوص ، وهذا ما يتضمنه الفصل الأول من هذا الباب، فى حين سيكون حديث الفصل الثانى والأخير منه عن الآثار المترتبة عن إيمان اليهود بالقصة المذكورة .

ويعرض سفر التكوين قصة الخطيئة الأولى فيقول : (**وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التىعملها الرب الإله . فقالت للمرأة : أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة . فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل . وأما ثمرالشجرة التى فىوسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتاه. فقالت الحية للمرأة لن تموتا. بل الله عالم أنه يوم تأكلا منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر.**

وسمعا صوت الرب الإله ماشيا عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم

وقال له: أين أنت. فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت. فقال: من أعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لاتأكل منها. فقال آدم: المرأه التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت. فقالت المرأة: الحية غرتني فأكلت فقال الرب الإله للحية لانك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه. وقال للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك. وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلا لاتأكل منها ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود الى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب وإلى تراب تعود.

ودعا آدم اسم إمرأته حواء لأنها أم كل حي. وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما.

وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحدٍ منا عارفا الخير والشر. والآن لعله يمد يده يأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها. فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة)[١].

فالنص السابق يثير عدة تساؤلات جوهرية بالإضافة إلى فكرته الأساسية التي يدور حولها.

---

(١) سفر التكوين. الإصحاح الثالث.

ذلك أن محتوى النص لايبدو بالوضوح الكافي فيما يتعلـق بعـدة نقـاط مر النص اليها بشكل سريع وهذه النقاط هي:

١- الحيـــــــــــة.

٢- الشجرة المحرمة

٣- شجرة الحيـــــاة.

وسأعرض أثناء تناولي لهذه النقاط لأمور أخرى -لاتقل عنها أهميـة، بل قد تزيد- تضمنها نص التكوين دون أن يشفي غليل القارئ لها.

١ - الحيـــة:

تبدأ القصة كما ظهر من النص بالإشارة إلى أن الحية التي هي أحيل الحيوانات، كانت وراء إغراء المرأة وإغوائها وسقوطها في الخطيئة.

ولانجد في النص أي إشارة إلى ماهية هذه الحية وهو أمر يدعو التساؤل، فهل كانت هي حية حقيقية أو مجازية قصد منها الإشارة إلى الشيطان؟ وكان لابد من الرجوع إلى تفاسير العهد القديم لعلها تتضمن الجواب الشافي، ولكن بالرجوع الى هذه التفاسير إزدادت المسألة غموضا وبعض المفسرين لم يحاول الإجابة عن هذا التساؤل وما كان منهم إلا أن قالوا:

"هل كانت هذه الحية حية حقيقية إستخدمها الشيطان، أو كانت الشيطان نفسه ظهر بصورة حية، وهل تكلمت حقيقة أو لا وهل الكلام مجاز وتمثيل. ذلك لانعلمه وترك الجواب على هذه المسائل خير من إتيانه مالم نقف على مايدل على اليقين"(١).

والغريب إن هؤلاء المفسرين كانوا قد ذكروا في نص سابق مايزيد الأمر تعقيدا إذ قالوا:

"والظاهر من النص أن حواء لم تظهر أدنى دهشة أو تعجب من مخاطبة الحية لها. وهذا يدل على أنه قد مر عليها زمان طويل في الفردوس حتى عرفت كثيرا من طبائع الحيوانات فيه وألفتها"(٢).

إن هذا النص يؤكد إعتقادهم إن حية حقيقية كانت وراء غواية حواء،

---

(١) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج١، ص٥٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٣.

كما يدل أيضا على إنهم لم يتركوا الجواب عن هذه المسائل كما إدعوا.

وكان الأجدر بهؤلاء المفسرين أن يقفوا عند هذا الحد إلا إنهم ذكروا رأيا رجحه بعض علماء أهل الكتاب دون الرد عليه، فكان هذا الصنع مما يؤكد خطورة المشكلة المعروضة والعجز عن حلها حلا مناسبا، وذلك في قولهم:

"رجح بعضهم أن (شجرة المعرفة) لم يمنع من الأكل منها لمجرد كونها ممتحن الطاعة بل لكونها مع ذلك شجرة ترددت اليها* الحية وأكلت منها فنهى الله الإنسان عن الإقتراب اليها لئلا يقع في التجربة. واستدل على ذلك بقوله (إن المرأة رأت أن الشجرة جيدة للأكل ص٣:٦ أي رأت الحية تأكل منها بلذة فاشتهت أن تأكل هي فسقطت في التجربة إقتداء بها وإطاعة لها"(١).

ولقد قلب هذا النص الموازين السابقة، فهو يشير إشارة واضحة إلى أن الحية بريئة من إغواء حواء فلا ذنب لها في ذلك وأن اللوم وراء سقوط حواء وآدم في الخطيئة الأولى لابد أن يوجه إلى حواء، التي كانت العامل الأول في ذلك فهي التي رأت الحية تتردد على الشجرة المنهي عنها فاشتهت أن تأكل منها، وكانت نتيجة هذه الشهوة السقوط في التجربة اقتداء بها، إذاً أصحاب هذا الرأي يشيرون إلى أن المرأة هي مصدر الغواية، بل أن من الغريب حقا أن يعتقد هؤلاء أن الله خشي أن يقع الإنسان في تجربة سبق وأن وقعت فيها الحية، فهل الحيوان غير العاقل في معتقد أهل الكتاب مكلف ليحاسب على عمله؟ وإن كان كذلك فهل كلف قبل آدم أو بعده؟ وبما أنه

---

* الصواب عليها.

(١) كتاب سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ك١، ص٤٨.

مكلف فلابد أن الله الخالق العادل أرسل له الرسل لينذروه ويبشروه وإن كان الأمر كذلك، فمن هم؟ هل هم من جنس واحد أو من أجناس مختلفة. ثم لو كان ذلك واقعا، فلماذا لم يشر العهد القديم إلى هَذا التكليف؟ بل لماذا لم تشر الكتب السماوية الأخرى إلى ذلك.

وعلى فرض تسليمنا الجدلي بتكليفها، فلم يتم تبليغ آدم وحواء بذلك السقوط؟ أليس في ذلك مدعاة لزيادة الحذر عندهما، بل لماذا أخرت عقوبتها إلى مابعد أكل آدم وحواء من الشجرة، لقد كان الأجدر أن تعاقب بعد إتيانها التجربة، فيكون ذلك سببا في عدم وقوع حواء في الغواية.

وللأب الدكتور منير خوام رأي آخر في هذه القضية، وهو رأي يختلف تماما عما ذكر سابقا فقد قال:

"إن الشيطان اقترب من حواء آخذا صورة حية، وفتح معها حديثا كله رياء وخبث وكذب... وراح يطمئنها بأنها لن تموت إن أكلت من ثمرة الشجرة الممنوعة (تك ٢/١٧) بل إنها بالعكس ستصبح مثل الله تعرف الخير والشر، وشجعها وحثها على الأكل منها. وأخيرا إنغوت حواء وأكلت منها وأعطت زوجها فأكل هو أيضا ٣/١-٦"(١).

فما المقصود من قوله "آخذا صورة حية"، لقد قصد بذلك أن الشيطان تمثل في صورة حية ليتمكن من إغواء حواء ثم آدم، وايقاعهما في الخطيئة.

إذا فالأب الدكتور منير قرر أن الحية لم تكن حية حقيقية، وكل ما في الأمر أن الشيطان تمثل في صورتها ليحقق غايته من إسقاط الإنسان.

ولم يكن من الممكن الوقوف عند تفاسير أولئك المفسرين للتناقض

(١) المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية، ص٣٢٢.

الواضح بينها ولخلوها من المنطق، فاتجهت إلى دائرة المعارف الكتابية فوجدتها تقول:

"لقد دخلت الخطيئة من الخارج من عالم الروح بواسطة كائن غامض خارق للطبيعة إستخدم (الحية) أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله. والعهد القديم لايستخدم (الحية) مرادفا للشيطان... وقد يرى البعض أن قصة السقوط مجازية أو رمزية، ولكن الإتجاه العام لهذه القصة القديمة هو الربط بين خطية الإنسان الأولى وبين كائن غير بشري إستخدم مطية معروفة للإنسان كمدخل إلى السقوط الهائل"(١).

فدائرة المعارف الكتابية تقرر هنا أن الخطيئة دخلت إلى العالم عن طريق كائن غامض غير بشري إستخدم مطية معروفة للإنسان، وهي الحية كما ورد في أول النص.

فما المقصود بقولها كائن غامض، غير بشري؟ إن الدلائل تشير إلى أن المقصود هو إبليس، فإبليس إستخدم الحية وهي معروفة لدى حواء وآدم كأداة لإغوائهما، كما أن دائرة المعارف الكتابية أكدت على أن الحية حقيقية، وأن العهد القديم لايقصد بها الإشارة إلى الشيطان، فهي بالنسبة له وسيلة لتحقيق هدفه. وهذا ماذكره قاموس الكتاب المقدس بقوله: " الحية تحت تأثير شيطاني قادت حواء إلى الشك في صلاح الله ثم إلى أكل الثمرة المحرمة، وبعد ذلك ألحت حواء على آدم أن يأكل، (فسمع لقولها)، وشاركها ذنبها. وكانت النتيجة سقوط الإنسان"(٢) كما ورد فيه:

---

(١) مادة جسد.

(٢) مادة حواء.

"وحية التجربة كانت في المظهر حية عادية ولكنها تفوق وحوش البرية في المكر والدهاء، وبعد ماتورطت في تجربة الإنسان لعنت بين الوحوش (التكوين ٣ :١و١٤) وربما لم تبصر حواء شيئا أكثر من حية، لكن الشيطان كان في هذه الحية، كما كانت الأرواح النجسة فيما بعد في الناس وفي الخنازير، تقودها، وتعيرها دهاء خارقا، وتستخدمها كوسيلة بها تقترب إلى حواء...، وقد وقع عليها القصاص"(١).

ويتبين لنا من العرض السابق وجود أربعة آراء تتعلق بمصدر الخطيئة الأولى وهي:

الرأي الأول: يقرر إنها حية حقيقية إستقلت نفسها في الإغواء.

الرأي الثاني: أن الشيطان متمثلا بصورة حية قام بإيقاع حواء وآدم في الخطيئة(٢).

الرأي الثالث: أن الشيطان إستخدم الحية في الإغواء.

الرأي الرابع: أن المرأة هي المصدر الوحيد للغواية ولوقوع الخطيئة الأولى(٣).

فأي هذه الآراء أراده العهد القديم، بالنظر إلى مضمون سفر التكوين يمكن أن نؤكد أن الرأي الأول بعيد عن الصواب.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، مادة حية.

(٢) راجع: عمار البصري، كتاب البرهان، تحقيق ميشال الحايك، ص٨٠. والشماس عبد الله زاخر الحلبي، البرهان الصحيح في حقيقة سري دين المسيح وهما سر التثليث وسر التجسيد، ص٨٤.

(٣) راجع: علي الشوك، الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، ص٧٣.

ويرد على أصحاب هذا الرأي، بذكر قول ورد على لسان أصحاب الرأي الثالث جاء فيه "لانجد مكانا ذكر فيه المجرب بإسم إبليس أو الشيطان، لكن من المحال ألا نرى هنا إلا مجرد حية، لأن الحادثة أبعد من أن يقوم بها حيوان غير عاقل وحده"(١).

قولهم هذا هو الحق بعينه إذ ليس من المعقول أن تكون الحية، الحيوان غير العاقل وراء إغواء الإنسان العاقل، فمن البديهي والمسلم به أن العاقل هو الذي يوجه ويسير غير العاقل لما يريد وهذا ماوضحه الأب يوحنا الدمشقي بقوله: "وأعلم أن العاقل من طبعه أن يتسلط على غير العاقل"(٢).

إذا رفضنا الرأي الأول نابع من عقولنا بغض النظر عن أدياننا وعقائدنا، فالعاقل منذ بدأ الخليقة يسير غير العاقل لخدمته وتحقيق رفاهيته وسعادته.

أما الرأي الثاني الذي يؤكد تمثل الشيطان بصورة حية ليتمكن من إيقاع أبوينا في الخطيئة، وكذلك الرأي الرابع الذي يقرر أن المرأة هي المصدر الوحيد للغواية، فهي التي أكلت من الشجرة المحرمة دون مسبب خارجي، وهي التي أغوت آدم فسقط في الخطيئة.

كلا الرأيين يمكن الرد عليه باستفهام عريض، وهو إن كان الأمر كما تقولون فلم عوقبت الحية كما عوقب آدم وحواء؟ إن ظاهر نص سفر التكوين يؤكد وجود علاقة مشتركة بين الثلاثة، الحية وحواء وآدم، هذه العلاقة لايمكن أن تتم دون عنصر خارجي استخدم الحية لإغواء الإنسان فوقع في الخطيئة هذا العنصر الخبيث هو الشيطان، كما قرر أصحاب الرأي الثالث.

---

(١) تفسير الكتاب المقدس، ج١، ص١٥٠.

(٢) المئة مقالة في الإيمان الإرثوذوكسي، عربه الأرشمندريت أدريانوس شكور. ص١١٧.

وهكذا ظهر أن الرأي الثالث هو أقرب الآراء لحديث العهد القديم، ولايعني ذلك أننا نعتقد به أو نوافق عليه، ولكننا نحاول أن نحلله لنفهم مراد كاتبه، ولنتمكن بعد ذلك من توضيح موقفنا كمسلمين من ذلك المضمون.

٢- الشجرة المحرمة:

أما فيما يختص بالشجرة المحرمة فقد بين لنا نص الخطيئة الأولى أن شجرة واحدة محرمة دون شجر الجنة، وهي شجرة معرفة الخير والشر.

هذه التسمية وردت في الإصحاح الثاني من سفر التكوين حيث جاء فيه [**وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت**](١).

فما سبب تسميتها بهذا الإسم؟ وماسبب تحريمها دون شجر الجنة؟ وما سبب وجودها في الجنة؟.

أما فيما يختص بسبب التسمية فيقول بعض المفسرين:

"يظن أن هذا الإسم دعيت الشجرة به بعد السقوط، لأنه قبل السقوط لم يكن أبوانا الأولان قد عرفا الشر وما كان يستطيعان معرفته بمجرد النمو العقلي لأن ذلك أما بالشعور بالخطأ وأما بمشاهدته في آخر"(٢).

من السهل الرد على هذا الرأي، وذلك بالرجوع إلى سفر التكوين نفسه الذي أورد هذه التسمية في إصحاحه الثاني، في حين أورد قصة الخطيئة الأولى في إصحاحه الثالث.

---

(١) الفقرات: ١٥-١٨.

(٢) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج١، ص٥٤.

إذا إطلاق هذه التسمية لم يكن بعد وقوع الإنسان في التجربة وسقوطه في الخطيئة، وإلا لوجدت هذه التسمية بعد ذكر قصة الخطيئة الأولى سواء في الإصحاح الثالث أو مايليه. وهو القول نفسه الذي يمكن أن يوجه الى بوش الذي قال: "سميت شجرة معرفة الخير والشر لأن آدم بأكله منها عرف الخير بفقده له، والشر بإختياره إياه"[١].

وقد تكفل فرنكن بالرد على بوش بقوله: "هذه المعرفة هي إدراك الفرق بين الخير والشر لا المعرفة بالإختبار"[٢]، أي إدراك فضل طاعة الإله وإدراك شر معصية أوامره أيضا.

فلو قصد نص الخطيئة الأولى من هذه التسمية ماذهب إليه بوش، لوجدت هذه التسمية بعد عرض نص قصة السقوط لاقبلها كما أشرت آنفا. فنص سفر التكوين لم يكتف بذكر هذه التسمية قبل السقوط مباشرة، بل أوردها قبل ذلك بكثير، إذ أشار إليها قبل حديثه عن خلق حواء كما جاء في الإصحاح الثاني منه **(وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتا تموت. وقال الرب الإله ليس جيداً أن يكون آدم وحده. فأصنع له معيناً نظيره...)**[٣].

ولو تابعنا قراءة النص، فسنصل إلى قوله: **(فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم إمرأة وأحضرها إلى آدم)**[٤].

---

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٢) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج١، ص٥٤.

(٣) الفقرات: ١٦-١٨.

(٤) سفر التكوين، الإصحاح الثاني، الفقرتان: ٢١و٢٢.

وهكذا نجد أن وجود هذه التسمية قبل وقوع الخطيئة يدل على أن المعرفة التي قصدها سفر التكوين من هذه التسمية هي: إدراك الفرق بين الخير والشر، خير طاعة الله وشر معصيته، كما ورد على لسان فرنكا. وقد إستوقفني كلام بن سميث عن الشجرة المعنية حيث قال:

"هذه الشجرة هي المنهي عنها في قوله **(وأما ثمر الشجرة التي فى وسط الجنة فقال الله لاتأكلا منها ولاتمساه لئلا تموتا)** ص٣:٣ وأنه لم يكن لهما أن يحصلا على هذه المعرفة السامية بدون مخالفة أمر الله"(١).

الحقيقة إنه من المتعذر تصور أن المعصية تكافأ بالخير، وإن كان من الممكن أن تقع من الله موقع الغفران، ولكن أن تكون نتيجة مخالفة أمر الله الحصول على الخير المتمثل في المعرفة، وأي معرفة، المعرفة السامية فذلك أمر لايمكن لعاقل أن يتقبله.

كما حاول جاكويوس أن يفسر سبب تحريم هذه الشجرة فقال:

"هذه الشجرة رمز الى المعرفة الإلهية التي لايجوز للإنسان أن يشتهيها لأنه لايحيا بإتباع رأي نفسه ومشورته بل بالإيمان وبإخضاع عقله وإرادته لله. وكان الشر قد دخل قبل ذلك بسقوط بعض الملائكة فلم يرد الله أن يعرف الإنسان الشر. وأكله الثمر المنهي عنه فصل بينه وبين الله لأن معرفة الشر نشأت بأكله من تلك الشجرة"(٢).

---

(١) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج١، ص٤٥.

(٢) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج١، ص٤٥.

إذا هو يرى أنها حرمت لكونها رمز المعرفة الإلهية التي لايجوز أن تكون لغير الله، وما على العبد إلا الطاعة والخضوع لخالقه، وهو يقرر أيضا أن الملائكة عرفت الشر قبل آدم بارتكابها الخطيئة، فخاف ياهو على آدم وحواء مما أصاب الملائكة ولم يرد أن يعرفا الشر، ومن ثم فقد نهاهما عن الأكل منها، إذا فهو يعتقد:

أولا: أن الخطيئة الأولى هي خطيئة الملائكة.

ثانيا: أن معرفة الإنسان للشر أصبحت قائمة بأكله من شجرة المعرفة التي تعتبر رمز المعرفة الإلهية.

كل ذلك واضح من عبارات الكاتب، إلا أنه لم يشر الى طبيعة سقوط الملائكة، والعقاب الذي وقع عليهم. والدليل الذي بنى عليه قوله هذا.

وبالتالي فإن ماذهب إليه غير مقبول، إذ لو كان ماذهب اليه صحيحا فلم أهملت الكتب السماوية بما فيها العهد القديم هذا الحدث الهام.

كما أن من غير المقبول عقلا أن تكون الخطيئة الأولى صادرة عن الملائكة على حد قول جاكيوس، ولايذكر العهد القديم تفاصيلها ولاعقوبتها، في حين تحدث وبتفصيل عن أمور كثيرة لاتصل الى أهمية هذه القضية. بل لماذا بقي الملائكة محل تقدير ياهو؟ إن قبول رأي جاكويوس يؤدي إلى القول بظلم الإله - ياهو - في حكمه على آدم وحواء اللذين لم يكونا أول من وقع في الخطيئة، ومع ذلك فلعنة ياهو إنصبت عليهما وعلى ذريتهما من بعدهما، في حين لم يشر العهد القديم إلى أن هذه اللعنة أصابت الملائكة الذين ينسب جاكويوس الخطيئة الأولى إليهم.

أما قوله أن الإنسان عرف الشر بعد أن تناول من ثمر الشجرة المحرمة فإن العبارة تحتمل الصواب، إذا كان القصد منها أن ضمير الإنسان السوي عادة مايصحو بعد ارتكابه المعصية. وهو ماحصل مع آدم وحواء

اللذين أدركا خطأهما ووقوعهما في الشر بمعصيتهما لله وعدم امتثالهما لأمره.

أما اذا كان المقصود معرفة الشر أي إدراك قبح معصية الله، والفرق بين خير الطاعة وشر المعصية فمردود، لأن الإله الرحمن لايحاسب المرء على أمر يجهله.

والواضح من نص سفر التكوين أن آدم وحواء كان على علم بالفرق الحاصل بين الخير والشر. وأن الخير سيكون نصيبهما إن اتبع أمر الله، وأن الشر سيصيبهما إن وقعا في المعصية.

كل ذلك واضح من نص الحديث الذي دار بين حواء والحية حول أمر الله، والوارد في الإصحاح الثالث من سفر التكوين، فقد جاء على لسان حواء (**من ثمر شجر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التى في وسط الجنة فقال الله لاتأكلا منه ولاتمساه لئلا تموتاه**)[١].

فمثل هذا القول يوحي بأن حواء كانت على علم أن الموت الناتج عن معصية الإله بالأكل من الشجرة المحرمة شر، وأي شر، إنه فقد نعيم الجنة.

وقد تعرض لموضوع تحريم الأكل من ثمر تلك الشجرة جملة من مفسري العهد القديم. كان هدفهم تبرير ذلك التحريم، الأمر الذي أدى الى ظهور آراء مختلفة حول هذه القضية، فهناك من ذهب إلى:

> "أن شجرة المعرفة لم يمنع من الأكل منها لمجرد كونها ممتحن الطاعة بل لكونها مع ذلك شجرة ترددت اليها الحية وأكلت منها. فنهي الله الإنسان عن الإقتراب إليها لئلا يقع في تجربة"[٢].

---

(١) الفقرتان: ٢و٣.

(٢) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج١، ص٤٨.

وقد إستشف آخرون الغاية من وراء التحريم من الحوار الذي دار بين الحية وحواء حول الشجرة المحرمة، والذي قالت فيه الحية لحواء **(أحقا قال الله لاتأكلا من كل شجر الجنة. فقالت المرأة للحية من ثمر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة، قال الله لاتأكلا منه ولاتمساه لئلا تموتاه، فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر.)**(١) فخلصوا إلى رأي مضمونه:

"إن وجود بعض الصدق في تلك الكذبة جعلها أكثر خداعا...، نعم إن التناول من الشجرة المحرمة يقود إلى ثبات خلقي، وهي الحالة الكائنة التي فيها الله بطبيعة الحال، لكن التشبه بالله في هذه الحالة، يختلف عن ذاك الذي قصده الله للإنسان. من ناحية تعادل الأخلاق. - ولو أن هذه الكلمة لاتعبر عن المعنى تماما، لأن الإنسان كان قد خلق كاملا وله ميول تتجه إلى الله - فإنه كان يجب على الإنسان أن يتقدم إلى مركز أسمى من الكمال الخلقي، ويكون له الثبات في الخلق المقدس. لقد كان قصد الله أن يكون الإنسان مشابها له من جهة هذا الأمر، لكن الخطية قد جعلت الإنسان يصل الى ثبات في الأخلاق، يختلف عن هذا، لقد نال ثباتا في الأخلاق، لكن تلك الأخلاق كانت شريرة في نوعها."(٢).

فأصحاب هذا التفسير يعتقدون أن الإنسان تميز بثبات خلقي قبل المعصية وبعدها، لكن الفرق بين الحالتين أن هذا الثبات كان قبل المعصية متجها نحو الكمال، وأن الله أراد لهذا الكمال أن يثبت أي لايكون كمالا طارئا، ليصبح الإنسان بذلك شبيها بالله ذا أخلاق ثابتة كاملة، ولكن الإنسان

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الفقرات: ١-٥.

(٢) تفسير الكتاب المقدس، ج١، ص١٥١.

بتناوله من الشجرة المحرمة، تحول إلى ثبات خلقي آخر يختلف عن السابق، فقد اتجه إلى ناحية النقص، وأصبح الشر بذلك جزءا من طبيعته بعد المعصية، وهذا عكس ماأراده الله له، بأن يكون ثباتا خلقيا متجها للخير.

ونتبين من الرأي السابق أن التحريم لم يأتي نتيجة أن الشجرة كانت محرمة لذاتها، بل لأن الأكل منها قد أدى إلى ارتكاب مايخالف أمر الله.

ويورد يوحنا الدمشقي عند تعليله لسبب تسمية هذه الشجرة، ووجودها رأيا مخالفا، يحمل في طياته ردا على ماورد في التفسير السابق حول الغاية من تحريم شجرة المعرفة، فهو يرى أن ياهو:

"قد غرس شجرة المعرفة تجربة وامتحانا واختبارا لطاعة الإنسان ومعصيته. ولذلك سميت أيضا شجرة معرفة الخير والشر، أو ذلك لأنه أعطى المتناولين منها قوة لمعرفة طبيعتهم الخاصة، إن صالحة للكاملين، وإن شريرة لغير الكاملين والمنقادين إلى الشهوات"(١).

وكأنما أراد يوحنا الدمشقي القول إن شرط بقاء الإنسان في الجنة هو اجتياز امتحان الطاعة، والمتمثل في الإمتناع عن تناول ثمر الشجرة المحرمة، وهو الإمتحان الذي يثبت من خلال استحقاق آدم وحواء للبقاء في النعيم. فهل نجح الإنسان في هذا الإمتحان؟ أو خرج منه فاشلا. يقرر سفر التكوين فشله في إثبات إستحقاقه لهذا النعيم، فقد تناول من الشجرة المحرمة، وبذلك عصي أمر الله وأطاع الشيطان.

فقد جاء فيه **(فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وإنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً**

---

(١) المائة مقالة في الإيمان الأرثوذوكسي، عربه الأرشمندريت أدريانوس شكور، ص١١٢.

معها فأكل.)[١].

إذا فيوحنا الدمشقي لم يبتعد عن جادة الحق عند تعليله بسبب تسمية هذه الشجرة ووجودها في الجنة.

ولقد حدث سفر التكوين عما نتج عن أكل الثمرة المحرمة السقوط في الخطيئة وبالتالي مخالفة أمر الله، وبمحاولة آدم وحواء للهرب من مواجهة ياهو، كما تناول الكيفية التي عرف بها ياهو لهذا السقوط في النص التالي **(وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وإمرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت)**[٢]، وهذا التصور دون شك لايتفق مع شمول العلم الإلهي. وقد حاول بعض مفسري الكتاب المقدس تبرير هذا التصور، وإخفاء ضعفه بقوله:

"الإستفهام هنا للتوبيخ ولحمل المسئول على الإقرار عن علة مأأتاه لا لطلب الفهم، لأن الله عرف أين كان ووجه الصوت الى مخبأه، فكأنه تعالى قال له ياآدم قل لي لماذا هربت مني بعد أن كنت تسرع اليّ مسرورا بلقائي فأين كنت وإلى أين صرت.

والظاهر إن آدم فهم ذلك لأنه أجابه ببين العلة لابيان المخباء كما في الآية التالية"[٣].

والتي ورد فيها **(فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فإختبئت)**[٤].

---

(١) الإصحاح الثالث، الفقرة ٦.

(٢) الإصحاح الثالث، الفقرتان: ٨و ٩.

(٣) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج١، ص٥٦.

(٤) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الفقرة: ١٠.

وقد علق هؤلاء المفسرون على هذه الآية بقوله:

"**(لأني عريان فإختبأت)** هذا جواب سؤال عن العلة لاجواب عن المكان. والذي جعل عريه علة الهرب من الله. عصيانه، فإنه قبل ذلك كان يلاقي ربه وهو عريان بلا خجل ولا خشية"[١].

ومثل هذا التأويل لايصمد أمام البحث العلمي، فالإستفهام التوبيخي معروف في كل اللغات، ولكن لايدخل فيه السؤال عن المكان، وهو ماإستهل به ياهو عباراته وفق ما ذكره سفر التكوين، فلو أن استفهامه كان بصيغة - لماذا فعلت؟ أو كيف فعلت؟ لكن التوبيخ فيه واضحا أما والسؤال عن المكان، فإن هذا يصرفه عن المجاز الى الحقيقة، ولاسيما وأنه لاتوجد قرينة صارفة عن إرادة المعنى الإصلي.

وعلى فرض صحة زعمهم بأنه إستفهام كان الغرض منه التوبيخ لاأكثر، فما هو تعليلهم للغرض من وجود الإستفهام الثاني[٢]، الذي لايتفق مع شمول العلم الإلهي بأي حال من الأحوال لقد عللوه بقولهم: "**(من أعلمك أنك عريان)**؟ نبه الله بهذا ضمير آدم وجعله يشعر بنقصه وأن سوء حاله نتيجة عمله، فالإستفهام هنا للتنبيه"[٣].

إذا فالغرض منه على حسب زعمهم تنبيه ضمير آدم، وحتى لو سلمنا بقولهم هذا أيضا، فما هو تفسيرهم لسؤال ياهو الذي ورد في النص نفسه **(هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لاتأكل منها)**[٤].

---

(١) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج١ ص٥٦.

(٢) راجع: سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الفقرة: ١١.

(٣) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج١، ص٥٦.

(٤) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الفقرة: ١١.

الظاهر أنهم لم يجدوا في أساليب البلاغة مايمكنهم من تبريره، ومن ثم تعليل مضمونه، وبالتالي فقد مروا عليه دون أدنى تعليق!

وقد حاول بعض المفسرين تبرير سؤال الرب إلى آدم بقوله: **(أين أنت)** بأنه كان يبحث عنه لأنه مفقود لامن علم الله إنما من الشركة معه[١] مما أوقعهم في تعليل غير منطقي، لأن كلامهم يوحي بأن الإنسان كان شريكا لياهو، والشريك لابد أن يكون موازيا لشريكه هذا من ناحية، كما أن تفسيرهم لم يثبت لياهو العلم اللائق بالإله، بل أثبت عجزه وجهله معا.

فالمشاهد في حياتنا أن المؤسسات القائمة على شراكة لايمكن لأحد من الشركاء الإنفراد بالشركة أو الإنفصال عنها، وإلا أدى ذلك في الغالب إلى تفككها وضياعها.

كما أن كلامهم هذا يظهر حاجة ياهو لآدم شريكا له، لايمكن الإستغناء عنه، لذا فهو يناديه ويلومه مستفسرا عن مكانه.

إن المتابع لنص الخطيئة في سفر التكوين. يجد أن آدم وحواء قد أقرا بالمعصية، ولكن كلاً منهما بطريقته، فآدم أقر بها قائلا كما ورد في النص **(المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت)**[٢] أما حواء فقالت: **(الحية غرتني فأكلت)**[٣]

ولو حاولنا تحليل النص فسوف نجده متضمنا لأمور، هي:

أولا: تبعية آدم لحواء.

ثانيا: محاولته التنصل من المسئولية والقائها على الله أولا ثم على حواء، ليخرج من معصيته نقيا مبرءا.

---

(١) راجع: تفسير الكتاب المقدس، ج١. ص١٥١.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الفقرة ١٢.

(٣) الإصحاح نفسه، الفقرة ١٣.

ثالثا: إن هذا النص يؤكد أن المرأة أكثر جرأة في الحق، فقد اعترفت بخطيئتها لاستجابتها لغواية الحية.

وهذه الأمور الثلاثة التي أشرت اليها أيدها بعض مفسري العهد القديم، فقد قال بعضهم:

"هى أعطتنى أى أكلت إطاعة لمن خلقتها لي. لم يشعر آدم بما كان عليه فى التكليف والمسئولية ، وما عليه من الواجبات لمن خلقت له معينا وإنه كان يجب عليه أن يحرسها ويساعدها على التجربة"(١)

لكن هؤلاء المفسرين سرعان ما يتراجعون عن مضمون تفسيرهم الذي كان يتوافق مع ظاهر النص تراجعا قسريا قائلين :

"ومن الخطأ أن نظن أن آدم حاول بذلك أن يجعل النوم على حواء ثم على الله الذى أعطاه إياها فالأولى أن نفهم أن آدم أجاب بالواقع التاريخى حسب الظاهر وأنه كان عليه أن يفعل ما فعل"(٢)

إن ماقاله هؤلاء المفسرون من أن آدم "كان عليه أن يفعل مافعل"(٣). بعيد عن الحق، إذ إن آدم أعطى فرصة كافية للسيادة المطلقة على الجنة قبل خلق حواء، وكان عليه أن يعرف أيضا السيادة المطلقة على رغباته فلا يخضع لحواء بعد أن تأكد من التكليف الإلهي له بضرورة الامتناع عن الأكل من الشجرة. ويقدم لنا سفر التكوين صورة واضحة عن هذا التكليف وتلك

---

(١) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج١، ص٥٦.

(٢) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج١، ص٥٦.

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

السيادة إذ يقول: [**وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت**][(١)].

وقد تمكن آدم خلال هذه المدة كما يحدثنا سفر التكوين من تسمية جميع حيوانات البرية وقد جاء فيه [**وجبل الرب من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء. فأحضرها الى آدم ليرى مايدعوها. وكل مادعا به آدم ذات نفسٍ حيةٍ فهو اسمها. فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية. وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره. فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما. وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم إمرأة وأحضرها إلى آدم**][(٢)].

ويتضح لنا من نص العهد القديم أن آدم بقي سيدا منفردا للجنة مدة من الزمن، تلقى فيها تكليف الله ووعيده، وكان ذلك قبل خلق الله لحواء فترة طويلة، لذا فإن العذر الذي قدمه آدم لوقوعه في المعصية زائف ولاقيمة له، فقد تلقى أمر الإله بالإمتناع عن الأكل من الشجرة بمجرد دخوله الجنة، وقبل خلق المرأة، كما أنه هو سيد الجنة، بالإضافة الى أنه الكل وحواء الجزء، ومن الطبيعي أن ينجذب الجزء للكل لا العكس.

وهكذا يظهر خطأ ماذهب إليه مذهب اليه هؤلاء المفسرون في هذه القضية، فقد كان الأجدر به أن يعترف بخطئه ويطلب المغفرة، أو أن يصمت لا أن يلقي باللوم على خالقه المتفضل عليه، أو على حواء التي خلقت عونا له من أحد أضلاعه، والذي يدل بدوره على ضعفها وقلة حيلتها.

والمتابع لأقوال هؤلاء المفسرين يفاجأ برجوعهم ثانية عن آرائهم

---

(١) الإصحاح الثاني، الفقرات: ١٥-١٧.

(٢) الإصحاح نفسه. الفقرات: ١٩-٢٢.

عندما يقررون أن إجابة حواء كانت أفضل من إجابة آدم إذ يقولون "جواب حواء أحسن من جواب آدم لأن فيه إعترافا بأنها خضعت وضلت وتعدت وصية الله، وفي جواب آدم إنه فعل ماكان يجب عليه لحواء من الطاعة والتسليم"[١].

لاأعتقد أن هذا القول بعيد عن فهمنا للمراد من نص العهد القديم، والمتعلق بهذا الخصوص، الذي سبق وأن وضحناه.[٢].

وكان لابد أن تقع عقوبة الموت نتيجة المعصية، التي سبق أن أشار إليها الرب قبل الخطيئة، وبعد وضع آدم في الجنة مباشرة، عندما أمره أن يمتنع عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر[٣].

والملاحظ على النص الذي تضمن لعنة آدم وحواء نتيجة مخالفتهما لأمر الرب ووقوعهما في الخطيئة، أنه اشتمل على أمور إضافية من بينها عقاب الحية. كما يوضح ذلك السفر نفسه في الإصحاح الثالث حيث نجد فيه وبعد الحديث عن معصية آدم وحواء وإقرارهما بها، مايلي **[فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه.**

وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك.

وقال لآدم لأنك سمعت لقول إمرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لاتأكل منها ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك.

---

(١) كتاب سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج١، ص٥٦.

(٢) أنظر الكتاب، ص٤٢.

(٣) راجع سفر التكوين، الإصحاح الثاني، الفقرة: ١٧.

وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل، بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود](١).

ونستنتج من النص السابق أن الحكم الإلهي على الخطيئة قبل الوقوع فيها يختلف عنه بعد ذلك الوقوع، وهو مايعني أن كاتب سفر التكوين أراد أن ينسف مبدأ الخلود، الأساس الذي استعان به إبليس في وسوسته لآدم وحواء.

وكما أن الخلود كان النقطة البارزة في ذهن آدم والتي ستشده للمعصية، كان في التلويح بالموت مايدفعه عن ارتكابها.

كما نستنتج أن القصاص لم يصل آدم وحواء وحدهم بل شمل ذريتهما وكذا الحية، فالحية كما ورد في النص أصيبت باللعنة من جميع البهائم والوحوش وعوقبت بالسعي على البطن. كما جعل التراب طعامها طوال حياتها، بالإضافة إلى دوام العداوة بينها وبين المرأة، وبين نسلها ونسل المرأة، أما المرأة فعوقبت بأمرين:

أولهما: مادي جسماني، وهو أوجاع الحمل والولادة.

ثانيهما: نفسي معنوي، وهو دوام اشتياقها إلى رجلها وسيادته عليها.

كما شمل العقاب الأرض فقد لعنت بسبب معصية آدم الذي أصبح لزاما عليه أن يعمل عملاً متواصلاً لتحصيل رزقه بخلاف أمره قبل السقوط، فقد كان الرزق سهلا ميسرا في الجنة ولتنتهي حياته بعد هذا العناء بالموت، الذي كان الخوف والرغبة في النجاة منه الدافع الأساسي لمعصية آدم وحواء.

وإذا كنا نجد مايبرر إصابة آدم وحواء باللعنة نتيجة معصيتهما وذلك من خلال تكرار سفر التكوين لهذا الأمر قبل المعصية، فإن هناك عدة تساؤلات هامة يوجبها النص السابق، وأعرض لها في مواضعها المناسبة، ولكني هنا أكتفي بذكر التساؤل عن الدافع من إنزال العقاب بحيوان غير عاقل

---

(١) سفر التكوين، الفقرات: ١٤-١٩.

وغير مكلف، وهنا نجد تعليلا لذلك عند بعض مفسري العهد القديم نصه:

" أن الحية خدعت أبوينا عمدا بغية أن تقودهما إلى المعصية، فلم يكن لها عذر فعوقبت بلا فداء... وهذَا العقاب جاء موافقا لصورة المجرب والمقصود به عقاب الشيطان لاعقاب الحيوان فإن الحية لم تكن سوى تمثيل له"(١).

فهنا نجدهم يذهبون إلى أن المقصود بالحية هو الشيطان، وأن العقاب هو عقاب للشيطان، ولتبرير ماذهبوا إليه جاءوا بثلاثة مقاصد في محاولة دعم وجهة نظرهم وهذه المقاصد هي:

"الأول: أن الحية عوقبت في السعي على البطن واللعنة من جميع البهائم والوحوش، أي الحيوانات الداجنة والحيوانات الآبدة. والحية المعروفة اليوم ليست من تلك الحيوانات فيظن أن الحية كانت مستوية القامة حسناء، وأنها كانت داجنة عند آدم وكانت في بيته ولكن مثل هذا التغير من الأساطير التمثيلية والمعنى أن الشيطان صار بمأتاها إلى حال الذل والإنحطاط والقبح كما صارت إليه الحية إلى تلك الحال بعد بديع الجمال. وأنه لازال يغوي الآدميين ويضرهم مع ما صار إليه من الخزي وسوء المنقلب.

الثاني أن الحية عوقبت بأكل التراب كناية عن الخيبة والدناءة وكذا أمر الشيطان فإنه بتجربته أعلن خزي نفسه ومجد الله. مثّلهُ ميلتون الشاعر في قصيدته المسماة "ب [الفردوس المفقود] ببطل، وإن كان ساقطاً والحق أنه عدو روحي ذليل.

الثالث:دوام العداوة بين الحية والناس فهي تلدغ عقب الإنسان

---

(١) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج١، ص٥٦.

في سبيله، وهو يطأها في ذلك السبيل ويسحقها، والواقع ينبئك بكره الناس للحية مع حسن صورة كثير من أنواعها.

وقتلى لدغ الحياة في البلاد الحارة كالهند أكثر من قتلى الوحوش المفترسة والعداوة الدائمة بين الإنسان والشيطان أظهر من أن تبيَن وكره الناس الحيات والشيطان غريزي"(١)

وهذه المقاصد التي ذهبوا إليها لدعم وجهة نظرهم تصور في الحقيقة حال الحية على هذه الأرض، بعد أن عوقبت بالسعي على البطن وأكل التراب والعداء بينها وبين الإنسان ولعنة الحيوانات لها، وعند النظر بتمعن نجد أنها تضحض وجهة نظرهم التي تقول إن الشيطان تمثل في الحية، وذلك لأن الشيطان لايسعى على بطنه، ثم إن كراهية الإنسان له وللحية لايعني أنهما شئ واحد، بالاضافة إلى أن معرفتي البسيطة في علم الحيوان تمكنني من القول إن طعام الحية ليس التراب كما ذكر في النص، فالحية قد تبلع بعض الحيوانات كالأرانب أو الغزلان أو الماعز مثلا، وتكون هذه الوجبة الوحيدة لها طيلة أسابيع كما أن ضرر الحية لايقتصر على عض قدم الإنسان فقط بل إن البعض منها يقذف بالسم على بعد أمتار وهناك أنواع منها تقوم بخنق فريستها ثم بلعها.

أما العداوة التي بين الحية والبشر فهي ليست على العموم، فهناك من يتعامل معها على اعتبارها موردا للرزق بإستخدام سمها في معالجة بعض الأمراض أو إستخدام جلدها في المصنوعات الجلدية عالية الجودة، وإستخدام

---

(١) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج١، ص٥٦-٥٧.

لحمها في إعداد الأطباق الشعبية في بعض البلدان كالفلبين والصين وغيرها(١)

وحاول البعض الآخر حل هذه المعضلة بشكل مختلف فذكروا:

"من ترتيب الله أن الحيوان، ولو أنه لايعتبر مسؤول أدبيا عن أعماله، إلا أنه لابد له من أن يتألم نتيجة للضرر الذي يلحقه بالإنسان - أنظر تك ٩:٥ خر١٢:٢٨ لقد عمل كل شئ ليساعد على كمال الإنسان الأدبي، ولكن إذ كانت الخليقة - سواء منها ماله حياة، أو ليس له - تفشل في الوصول إلى هذا الهدف - فإنها ستقع تحت قصاص من الله، تأمل لعنة 'الأرض في عدد ١٧...[على بطنك تسعين]... إن مسخ صورة الحية، كان جزءا من اللعنة التي وقعت عليها (عداوة)....هذا يعلل النزاع الشديد الكائن بين الحية والإنسان في دائرة الطبيعة، ولكنه يشير أيضا بكل تأكيد الى الصراع في مجاله الروحي.

[**هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه**] ... لهذا القول مغذى طبيعي، فالحية تقتل الإنسان عن طريق عضه في قدمه، أما الإنسان فإنه يقتل الحية عن طريق سحق رأسها، على أن العقوبة الإلهية هنا، تتعدى حدود الحيوان وتصل إلى الشيطان نفسه"(٢).

وقد نتساءل هنا، كيف يكون الحيوان غير مسئول عن عمله أدبيا -كما زعموا- ثم يعاقب على مايقترفه من ضرر، ثم ماذنب الخليقة بأسرها في عدم إستطاعة الإنسان الوصول إلى الكمال الإدبى، لتقع تحت القصاص

---

(١) راجع: المعلم بطرس البستاني، دائرة المعارف، ج٧، مادة حية.

(٢) تفسير الكتاب المقدس، ج١، ص١٥٢.

نتيجة أمر خارج عن إرادتها –إن كان لها إرادة– ثم كيف تعدت عقوبة الحية إلى الشيطان.

والظاهر أن هؤلاء المفسرين حاولوا أن يجدوا تعليلاً للعنة ياهو للحية لتفادي تناقضها مع العقل، فوقعوا في تناقض أكبر منه عندما جعل من الحية تمثيلا للشيطان، وبالتالي كان عقابها عقابا للشيطان الذي اختارها دون غيرها وتمثل في صورتها، ولانجد دليلاً على ذلك في نصوص العهد القديم إذ لم يذكر أي نص لعقاب الشيطان الذي كان وراء إغواء حواء وآدم، والذي هو أساس الخطيئة كما قرر هؤلاء المفسرون.

وبعد هذا العرض أستطيع أن أقول إن قضية الحية في قصة الخطيئة الأولى والواردة في سفر التكوين لغز محير لم أستطع فهمه.

٣- شجرة الحياه:

وإذ كانت خطيئة آدم وحواء التي تسببت في لعنتهما، قد أتت نتيجة تناولهما من ثمر الشجرة المحرمة أو شجرة الخير والشر فإنها لم تكن السبب المباشر لطردهما من الجنة، ويوضح ذلك النص التالي من سفر التكوين:

[وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر. والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنات عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها. فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة](١).

فطردهما كما يتبين من النص السابق كان نتيجة الخوف من أن يقدما على التناول من شجرة الحياة.

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الفقرات: ٢٢-٢٤.

فما حقيقة هذه الشجرة التي خشي ياهو أن يأكل آدم وحواء منها بعد المعصية، فطردهما من الجنة، ووضع عليها هذه الحراسة الشديدة كأنه غير قادر عن منعهما من الإقتراب منها دون ذلك.

إن شجرة الحياة هي أيضاً موضع خلاف بين مفسري العهد القديم، فقد قال بعضهم:

"يعتقد البعض أن الشجرة -أي شجرة الحياة- كان فيها سر ما يحوّل الإنسان إلى درجة أعلى من الحياة الطبيعية، دون أن يجوز في الموت، لكننا لانؤيد هذا التفسير، فإنه لاتوجد أية إشارة في أي مكان من القصة إلى أن آدم وحواء قد عرفا شيئاً عن وجود هذه الشجرة ضمن أشجار الجنة. ويبدو أن عدم الإشارة إلى هذه الشجرة عند ذكر تصرفات وأفكار آدم وحواء له بعض الأهمية، إن حقيقة صفات هذه الشجرة هي من الأمور المحيرة في الكتاب المقدس. ربما كانت هذه الشجرة كأي شجرة أخرى، لكنها على كل حال كانت رمزا (لحياة) الشركة مع الله، التي يتمتع بها الإنسان الذي لايخطئ. [**يأكل ويحيا إلى الأبد**] إن الأخذ والأكل هو طريقة رمزية تشير إلى التمتع بالحياة الأبدية. تلك الحياة التي ليس في إمكانه الآن التمتع بها، فالصورة ترينا آدم وقد وضع في مكان، لايستطيع معها الوصول إلى الشجرة التي كانت في أيام براءته تشير إلى سعادته"(١).

لقد قرر هذا التفسير وبوضوح أن شجرة الحياة من الأمور المحيرة في العهد القديم، مؤكداً من ناحية أخرى على أن آدم وحواء ليس لهما علم

---

(١) تفسير الكتاب المقدس، ج١، ص١٥٣-١٥٤، بتصرف.

بهذه الشجرة التي لو أكل منها في حالة براءتهما قبل الخطيئة لأصبحا مخلدَين بل شريكين لله في هذا الخلود، ولكن بمجرد وقوعهما في المعصية أصبحت هذه الشجرة محرمة عليهما لايمكنهما الإقتراب منها.

ويورد صاحب كتاب سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم آراء أخرى لبعض المفسرين حول هذه الشجرة فيقول:

"قال بعضهم إنه كان لهذه الشجرة خاصةً تجديد قوى الإنسان الجسدية حتى أنه مع كون جسده قابلاً للفناء لأنه من تراب الأرض، لو تناول من هذه الشجرة لعاش إلى الأبد. بدليل قوله **[لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا إلى الأبد]** تك ٣، ٢٢.

وذهب بعضهم إلا أن هذه الشجرة الدائمة الخضرة والنضارة، كانت رمزاً إلى الحياة الأبدية الموعود بها آدم بشرط الطاعة الكاملة وأن أبوينا الأولين كانوا يتناولان منها كأنها السر المقدس مدة برهما الأصلي"(١).

ولقد أراد أصحاب هذا التفسير أن يعللوا هذه المسألة تعليلا طبيعيا قائلين إن لهذه الشجرة خواص إذا إتصلت بجسد بشري جددت عناصره وخلاياه فلا يقبل الموت، وهذا الخلود لايمكن أن يتحقق بمجرد الأكل منها فقط، فهناك شرط لو لم يخل به آدم وحواء لتحقق لهما الوعد الإلهي ولكن نص سفر التكوين المتعلق بهذه القضية يؤكد أن آدم وحواء كانا غير عالمين بخواص هذه الشجرة، وذلك من عبارة ياهو في النص نفسه، التي ورد فيها **[وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر**

---

(١) ج١، ص٤٤.

والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد](١).

إن قول ياهو **[لعله يمد يده]** تفيد جهل آدم وحواء بخواص هذه الشجرة ومن ناحية أخرى نستطيع أن نقول إن آدم وحواء لو كانا على علم بها لتوجها إليها مباشرة بعد وسوسة الشيطان لهما، والتي كان هدفها إغراءهما بالخلد ليتحقق لهما ماأرادا دون إغضاب الله، فمعرفة الخير والشر كما يظهر من النص لم تكن الهدف من وراء المعصية بل الرغبة في الخلود والخوف من الموت هما اللذان كانا الدافع إلى إرتكاب المعصية كما يظهر من عبارات النص.

كما أن قولهم إن آدم قد وعد بالحياة الأبدية بشرط طاعته -فيه نظر- فقد رجعت إلى عبارات النص حرفا حرفا فلم أجد لذلك الوعد وجودا، فياهو لم يعد آدم ولاحواء بالخلود ولكنه هددهما بالموت الطبيعي بما له من ملامح الألم إن عصيا، وهذا لايعني أنهما إن لم يعصيا سيخلدان، فقد تنتهي حياتهما بعد فترة يقدرها الله بالعودة إلى التراب طبيعتهم الأصلية، والتي ينعدم فيها الشعور وهذا الأمر إن لم يحقق السعادة لهما فهو لن يحقق الألم أو الخوف أو الشوق إلى النعيم الذي فقد.

وقد قارن أصحاب هذا التفسير بين شجرتي المعرفة والحياة ولتوضيح الفارق بينهما قالوا:

"إن كلاً من شجرتي الحياة والمعرفة تجاه الأخرى، والأكل من ألأولى حياة والأكل من الثانية موت. وكما أنه لكل عهد جزءان الوعد والتكليف، هكذا كان لنا سران أحدهما علامة وختم للشئ الموعود به والأخر ختم وعلامة للمطلوب أو المكلف به.

---

(١) الإصحاح الثالث، الفقرة: ٢٢.

فشجرة الحياة أعلنت وختمت الحياة الموعود بها وشجرة المعرفة أعلنت وختمت الطاعة المطلوبة التي امتحنت بنهي الله"[١].

واستنتاجهم هذا يعني أن شجرة الحياة وشجرة المعرفة نقيضان، إحداهما تؤدي إلى الخلود والأخرى إلى الموت فهي مسألة تشبه الوعد والتكليف، الوعد بشئ مرغوب فيه كالخلود، والتكليف بأمر ثقيل على النفس والطاعة.

فسميت الأولى بالحياة رمزا للوعد، والثانية بالمعرفة رمزا للتكليف.

وبعد هذا العرض لتفاسير العهد القديم لنص الخطيئة الأولى يمكن أن نستخلص أن نص العهد القديم في هذه القضية غامض، وأن التفاسير التي أوردها المفسرون قد زادته غموضا واضطرابا.

---

(١) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج١، ص٤٤.

الفصل الثاني

الآثار الناشئة عن الإيمان بالقصة المذكورة

تمهيد

ظهر لنا مما سبق عرضه في الفصل الأول الغموض الذي يشوب قصة الخطيئة الأولى، والذي يمكن أن نرجعه إلى مضمون القصة أو إلى آراء مفسري العهد القديم، التي لم تخل من الغموض أيضا.

وهو الأمر الذي جعل منها لغزاً محيراً لهم قبل غيرهم، وإن كان هذا لم يمنع اليهود من جعلها محور هذه الحياة وأساس مافيها، فما نحن فيه وما كان وماسيكون لابد أن يتصل من قريب أو بعيد بهذه القصة، لذا لم يكن بغريب تأثر عقائدهم وشرائعهم وحياتهم الإجتماعية والنفسية بطريق مباشر أو غير مباشر بمضمون قصة الخطيئة الأولى.

وللتأكد من ذلك كان لابد للرجوع إلى العهد القديم وتفاسيره وإلى التلمود، وحصر العقائد والشرائع المرتبطة بإيمان اليهود بالخطيئة الأولى المتعلقة بحياتهم الإجتماعية والنفسية.

وبدا بعد التتبع أن القصة المذكورة أثرت بشكل مباشر في كل محاور حياتهم الدينية والسياسة والاجتماعية، وبما أن مجال هذه الدراسة لايتسع للحديث عن كل محور من تلك المحاور كان لابد من إختيار أهمها وأشملها، وهو المحور الديني الذي تتشعب منه ناحيتان هنا، الناحية العقدية والناحية الشرعية.

أولا: الناحية العقدية: لقد تأثرت عقيدة الألوهية لديهم تأثرا واضحا بالإيمان بخطيئة آدم وحواء ولعنة ياهو لهما، مما أدى إلى تشويهها رغم كونها أساس كل دين سماوي، فنسبوا إلى الله مالايليق به جلّ وعلا ويستحيل التصديق به، وكذلك فيما يتعلق بالنبوة حيث لم تخل عقيدتهم منها من تأثر واضح لمضمون

الخطيئة الأولى، وكذلك عقيدة البعث، فقد ظهر أن خلوَ أسفارهم المتقدمة من هذه العقيدة كان بسبب إيمانهم بتلك الخطيئة.

ثانيا: الناحية التشريعية: سيكون الحديث عن بعض الشرائع التي حددت معالمها لتأتي مناسبة لما ورد في سفر التكوين حول موضوع الخطيئة.

وعلى هاتين الناحيتين سيكون الحديث بشكل مفصل إن شاء الله.

أولا: الناحية العقدية:

يمكن حصر الآثار الناشئة عن الإيمان بموضوع الخطيئة والمتعلقة بالعقيدة في الآتي:

أولا: الصفات الإلهية.

ثانيا: القضاء والقدر.

ثالثا: النبوات.

رابعا: الإيمان باليوم الأخر.

أولا: الصفات الإلهية:

من المسلم به عند كل مؤمن بالله إيمانا حقيقيا أنه سبحانه يتصف بالكمال التام الذي يليق به تعالى، ولكن الناظر في العهد القديم والتلمود يجد أن نصوص هذين الكتابين قد نسبت للإله الخالق صفات لاتليق بذاته المقدسة، ويمكن تحديد مصدر بعض هذه الصفات غير اللائقة به سبحانه، بتمسكه بمعطيات نص الخطيئة الأولى الوارد في سفر التكوين، ومن هذه الصفات:

١- الظلم والقسوة:

وأول هذه الصفات وصفهم له بالظلم وهي صفة تتضمن القسوة، والإله في الديانة اليهودية ظالم مفتقد الرحمة، وهي صفة تتردد في أسفار العهد القديم، ففي سفر التكوين نجدها تتمثل في تلك اللعنات التي صبها ياهو على آدم وحواء بسبب معصيتهما وعلى ذريتهما من بعدهما، تلك الذرية التي

لاذنب لها في خطيئة أبويها لتتحمل هذه اللعنات المتسببة في إحساس المؤمنين بالعهد القديم بدوام الشقاء.

إن هذا الظلم هو قانون ياهو في حكمه، أصبح عقيدة راسخة وواضحة في نفوس اليهود وتؤكد عليه نصوص العهد القديم، بل في توراة موسى نفسها، فياهو عندما يغضب ويثور يرسل لعناته ليس فقط على المذنبين بل على أولادهم وأولاد أولادهم إلى الجيل الرابع.

وستكون الإشارة إلى نصين من العهد القديم يعتقد أنهما كافيان لإثبات صفة الظلم لياهو. أما النص الأول فقد ورد في سفر الخروج حيث وصف ياهو بأنه [**غافر الإثم والمعصية والخطية. ولكنه لن يبرأ إبراء مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع**][1]

هذا النص فيه من الوضوح مايكفي لإثبات إيمان اليهود بظلم الإله، فهذه صفة واردة وثابتة في توراتهم. وقد رجعت إلى تفاسير الكتاب المقدس. للتأكد من صحة فهمي لهذا النص والوقوف على كيفية تفسيره، فلاحظت أن المفسرين قد تجاهلوه، فعمدوا إلى تفسير ماقبل هذا النص ومابعده.

ولعلهم أدركوا أن مضمون النص ينافي فطرة الإنسان وحبه للعدل. وقد دفعني هذا التجاهل للعودة إلى الكتاب المقدس باحثة عن نص مشابه للسابق، لعلي أجد في تفسيرهم مايزيل هذا الغموض، فعثرت على بغيتي في سفر العدد الذي ورد فيه.[**الرب طويل الروح كثير الإحسان يغفر الذنب والسيئة لكنه لايبرئ بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع**][2].

إن مضمون هذا النص الذي يثبت صفة الظلم لياهو يوافق تمام

---

(١) الإصحاح الرابع والثلاثون، الفقرة: ٧.

(٢) الإصحاح الرابع عشر الفقرة: ١٨.

الموافقة النص السابق، حيث يريد تثبيت الرعب، والخوف والفزع في قلوب البشر من خلال ظلمه واستبداده وجبروته الذي يصل إلى الجيل الرابع للمذنبين، وعند الرجوع الى تفسير الكتاب المقدس للبحث عنه تعليل لهذا النص، وللتعرف على كيفية تبريرهم له نلحظ تجاهله مرة أخرى. فقد قاموا وبكل عناية بتفسير الفقرات التي تسبقه، والتي تليه دون التوقف عنده ولو بتعليق بسيط، فتأكد ماذهبت إليه سابقاً من أن ذلك يرجع في المقام الأول إلى أن مضمونه يتنافى مع فطرة الإنسان وحبه للعدل.

إن ظلم ياهو -وإن حاول المفسرون من أهل الكتاب تجاهله بعدم تطرقهم إليه- ثابت في العقيدة اليهودية، فالعهد القديم ينسب أقوالا إلى أنبياء بني إسرائيل تؤكد إقرارهم بظلم الإله، ومن ذلك مانسب إلى داود عليه السلام، فقد جاء في مزموره أنه قال: [**هأنذا بالإثم صورت وبالخطيئة حبلت بي أمي**](١).

وقد استخدم المفسرون أسلوبا مضللا عند تعرضهم لهذا النص، فأشروا إلى أنه يفيد معنى سامياً يعبر عن التضامن بين أفراد الأسرة الواحدة، فكلنا من آدم وحواء، أسرة واحدة تتحد في السراء والضراء، هذا ماورد في تفسير النص الذي جاء فيه أنه "لايفيد أكثر من أننا مشتبكون بصورة لامفر منها في واقع الخطيئة لكوننا أعضاء في الأسرة البشرية (صورت) والأفضل (ولدت)"(٢).

لقد حاول هؤلاء المفسرون مرة أخرى تجاهل ظلم ياهو الذي سبب هذا الإستياء، والذي ظهر واضحا على لسان نبي من أنبيائهم بسبب وراثته

---

(١) الإصحاح الحادي والخمسون، الفقرة: ٥.

(٢) تفسير الكتاب المقدس، ج٣، ص ١٦٢.

لخطيئة غيره، تلك الخطيئة التي كما ذكر علماؤهم لامفر منها لكونه عضوا من أعضاء هذه الأسرة، والتي حكم ياهو عليها بالشقاء نتيجة لخطيئة آدم وحواء. بل إن الخطيئة أصبحت لزاماً على كل البشر أبد الدهر تلتصق بكل إنسان مهما كان لأنه من ذرية آدم وحواء، حتى لو كان جنيناً في بطن أمه.

إن توارث الخطيئة في اليهودية يعدّ مظهراً واضحاً وأساسياً في إثبات صفة الظلم لياهو، فهل قبل اليهود هذا الظلم باستسلام أو هل أظهروا استياءهم كنبيهم داود -على حسب زعمهم- وهل ناقشوا لعنات ياهو التي تصيبهم من جراء خطيئة غيرهم، وللإجابة عن هذه التساؤلات نعود إلى سفر أرميا، حيث نجد أن اليهود لم يتقبلوا هذا الاعتقاد باستسلام فقد حاولوا إبطاله والتخلص منه، والشاهد على ذلك مانجده في الإصحاح السادس عشر من هذا السفر الذي ورد فيه تعقيب على إصدار ياهو لعناته على اليهود، التي أخبرهم بها أرميا إذ قال السفر: **[ويكون حين تخبر هذا الشعب بكل هذه الأمور أنهم يقولون لك لماذا تكلم الرب علينا بكل هذا الشر العظيم فما هو ذنبنا وما هي خطيئتنا التي أخطأناها إلى الرب إلهنا. فنقول لهم من أجل آباءكم قد تركوني يقول الرب وذهبوا وراء آلهة أخرى وعبدوها وسجدوا لها وإياي تركوا وشريعتي لم يحفظوها، وأنتم أسأتم في عملكم أكثر من آبائكم وها أنتم ذاهبون كل واحد وراء عناد قلبه الشرير حتى لاتسمعوا لي. فأطردكم من هذه الأرض إلى أرض لم تعرفوها أنتم ولاآباؤكم فتعبدون هناك آلهة أخرى نهاراً وليلاً حيث لاأعطيكم نعمة]**(١).

إن جواب ياهو لهؤلاء المتذللين يزيد من إحساسهم بالظلم، فقد بين لهم وبوضوح أن لعناته كانت في المقام الأول بسبب خطيئة آبائهم بعبادتهم آلهة أخرى وبتركهم الشريعة، ثم بسبب ما سيظهر منهم نتيجة جريهم وراء

---

(١) سفر أرميا، الإصحاح السادس عشر، الفقرات:١٠-١٣.

عنادهم، ولعبادتهم آلهة أخرى فيما بعد. أي أن لعنة ياهو التي أصدرها عليهم كانت في المقام الثاني بسبب أمر لم يحدث إلى ساعة صدور حكمه عليهم. والتي قد يطول الوقت قبل حدوثها فيموت منهم الكثير، وهنا يكون قد أصاب هذا الكثير الظلم مرتين بدون وجه حق، فهم لم يشاركوا الآباء في خطيئتهم في المرة الأولى. كما أنهم لم يشاركوا أحفادهم في ممارسة الخطايا التي جاءت تبريراً لهذا الحكم.

كما أن ذلك النص يبين أن ظلم ياهو اتسع ليشمل جميع البشر وجميع العصور، فلعنته عندما استبد به الغضب لحقت الأجداد والأحفاد، على جريمة كل منهما فيعذب الأب بسبب جريمة إبنه الذي لم يولد بعد، ويعذب الإبن بجريمة أبيه. إذاً فأساس حكم ياهو يمكن أن نعبر عنه بكلمة واحدة (الظلم) فقد ظلم ذرية آدم وحواء بعد أن صدر لعنته عليهم بسبب سقوط الأبوين، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، وإن سوّغت هذه القسوة أنواعاً أخرى من الظلم الإلهي يتمثل دائماً في عقاب الأحفاد بذنوب الأجداد، بل وعقاب الأجداد بذنوب الأحفاد.

٢- الجهل:

من الصفات الإلهية التي لها صلة بالخطيئة الأولى عند اليهود -الجهل- فقد صورت نصوص التوراة كيفية معرفة ياهو بسقوط آدم وحواء تصويرا لايتفق مع شمول العلم الإلهي، وقد حاول بعض المفسرين تفادي هذا التصور وإخفاء ضعفه دون جدوى، وبما أني تعرضت لكل ذلك عند حديثي عن قصة الخطيئة كما تعرضها التوراة، سأنتقل إلى قضية أجدها في غاية الأهمية وهي إيمان اليهود القوي بجهل ياهو الذي يتعارض مع محاولة هؤلاء المفسرين في نفي هذه الصفة.

ولعل السبب في عدم نجاح تلك المحاولات الجادة في نفي صفة الجهل يرجع إلى كونها تتعلق بنص توراتي ثابت لايقع تحت دائرة النقاش،

فنص الخطيئة كما ظهر يذكر أن ياهو لم يكن يعلم بمكان آدم ومعصيته إلى أن أخبره آدم بذلك. إن هذه الصفة، وبهذه الكيفية تتكرر كثيرا في أسفار العهد القديم ليقرر أن كتابهُ كانوا مؤمنين إيمانا راسخا أن قصور العلم لايتنافى مع ألوهية ياهو. فسفر التكوين الذي يقرر تفرد ياهو بالخلق[١] يقرر في الوقت نفسه جهل هذا الخالق بخلقه، هذا الجهل الذي كان سببا في حزن ياهو، إذ أصابته خيبة أمل من هذا المخلوق الذي صدر عنه مالم يخطر على بال الرب.

يقول السفر: **[ورأي الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض. وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض. وتأسف في قلبه. فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبّابات وطيور السماء لأني حزنت أني عملتهم]**[٢].

ويذكرنا هذا النص بمخترع، قام بتجربة علمية دقيقة يعتقد أنها مفيدة، باذلاً كل الجهد والإتقان لإنجاحها، وظل ينتظر نتيجتها التي لم تكن ميسرة له، وياهو كهذا المخترع، فقد خلق الإنسان وبذل الجهد في خلقه أما النتيجة فقد جاءت مخيبة لآماله فيما خلق، أما الغضب الذي أصابه فإن النص يصوره على أنه لم يكن بسبب شر الإنسان وانتشاره، بقدر ماكان بسبب خيبة أمله وقصور توقعه النتائج المترتبة على خلقه للإنسان. وإتلاف المخترع للإختراع الذي فشل لايرجع دائماً لكون النتيجة غير مرضية، بل قد يكون الإتلاف راجعا لكونها جاءت على غير ماكان متوقعاً.

هذا هو حال ياهو في غضبه، فهو لم يغضب بسبب شر الإنسان

---

(١) راجع: الإصحاح الأول.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح السادس، الفقرات: ٥-٧.

وانتشاره، بل لأن هذا الشر كان غائبا عن علمه.

ويزيد في التأكيد على إيمانهم بنسبة الجهل إلى الرب إضافة إلى مأشرنا إليه سابقاً، ماورد في سفر الخروج علىَ لسان ياهو مخاطبا موسى وهارون **[فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم. وأصنع أحكاما بكل آلهة المصريين. أنا الرب، ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها. فأرى الدم وأعبر عنكم. فلا يكون ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر]**(١).

فها هو ذا يظهر عدم قدرته على التمييز بين بيوت المصريين واليهود إلا من خلال جعل الدم علامة مميزة على بيوت شعبه المختار، ليتمكن من التفرقة بينهم وبين المصريين، وبالتالي ينزل انتقامه على المصريين، ويؤكد الإصحاح هذا الأمر بالقول إن موسى **[دعا جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم اسحبوا وخذوا لكم غنما بحسب عشائركم واذبحوا الفصح. وأخذا باقة زوفا واغمسوها في الدم الذي في الطست ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطست. وأنتم لايخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح. فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين. فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولايدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب.]**(٢).

لقد وضح كاتب العهد القدمي إخلاص موسى في تبليغ إرادة ياهو، وحرصه على تأكيد جهله عندما طلب من شيوخ بني إسرائيل تنفيذ رغبة الإله. ووضع العلامة التي أمرهم باستخدامها، وزاد موسى فأكد عليهم بعدم الخروج من منازلهم حتى الصباح، لأن ياهو لن يفرق بينهم وبين أعدائهم المصريين إلا عن طريق هذه العلامة، التي ستميز بيوتهم ليتجاوزها ياهو عند

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح الثاني عشر، الفقرتان: ١٢و١٣.

(٢) الإصحاح نفسه، الفقرات: ٢١-٢٣.

إنزاله الهلاك بالمصريين. وكأنما هو يحذرهم بأن إغفالهم العلامة يعني وقوع الهلاك بهم أيضاً، وهو مايعني جهل ياهو وعدم قدرة هذا الإله على التمييز بين الشعبين بدونها.

وفي محاولة من مفسري العهد القديم لتبرير مسألة العلامة المميزة ذهبوا إلى القول: "كان وجود الدم على العتبة العليا والقائمتين علامة يراها الله على أن المحرقة قد قدمت، وأن المقيمين في البيت قد آمنوا بوعده. وأولئك هم الذين ينقذهم الرب"(١).

وكأنما أراد هؤلاء المفسرون القول إن وضع العلامة يعني جهل الرب، وعدم قدرته على التمييز، ولكن للتعرف على من آمن بوعده فاستحق رضاه وتجاوز سخطه، وهو قول لايعني إلا أن علم ياهو ليس كافيا لذلك.

ومن خلال ماعرض في نصوص العهد القديم، وما أشرنا إليه في تخبط من قاموا بتفسيرها ندحض محاولاتهم في نفي صفة الجهل عن ياهو أو تبريرها.

ثانيا: القضاء والقدر:

يعتقد اليهود أن الشقاء الذي أصابهم من الأمميين على مدى تاريخهم الطويل، لايرجع إلى أخلاقهم الفاسدة ومعاملتهم الشاذة، بقدر مايرجع الى قضاء ياهو ولعنته التي أرسلها على آدم وحواء وذريتهما بعد المعصية. مؤكدين لغيرهم أن قضاء وقدر ياهو لارجعة فيه ولامفر.

بل إن القضاء والقدر في نظرهم المبرر الأول والأساسي لخطيئة من هم في نظرهم ذو سيادة روحية كبيرة، ومن ذلك ماورد في أسفارهم المقدسة من تبرئة أخوة يوسف وإخلاء مسئوليتهم عما فعلوه بأخيهم، واعتبار ذلك كله من قدر الله الذي لايسألون عنه. فهم مع ما يتصفون به من تقدير وتقديس في

(١) تفسير الكتاب المقدس، ج١، ص ٢٣١.

نفوس بني إسرائيل، إلا أنهم أبناء آدم أصابتهم لعنة أبيهم فأخطأوا برغم منهم. وإمعانا في هذه التبرئة، فإنها ترد على لسان ضحيتهم يوسف عليه السلام الذي يقول كما جاء في سفر التكوين: **[فالآن ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله]**(١).

كما يؤكد هذه التبرئة ماورد في الإصحاح الخمسين من السفر نفسه على لسان يوسف حيث قال: **[لاتخافوا. لأنه هل أنا مكان الله. أنتم قصدتم لي شراً. أما الله فقصد به خيرا لكي يفعل كما اليوم ليحي شعبا كثيراً]**(٢)إذا فقد توارث أبناء يعقوب خطيئة آدم فأخطأوا بالرغم منهم، ولم يكن بإمكانهم التراجع عن قضائه وقدره المتمثل بتوارث أبناء آدم لخطيئته ولعن ياهو له، هذا الإعتقاد يؤكده تلمودهم إذ جاء فيه: **[أن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير. وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة وسن له شريعة لولاها لما كان يخطئ. وقد جبر اليهود على قبولها.]**(٣).

وبهذا الأسلوب في تبرير المعاصي صنع اليهود في تبرير عدد آخر من الخطايا التي نسبتها الأسفار إلى الأنبياء عليهم السلام، وستأتي إشارات متناثره إلى ذلك في الموضوع التالي -إن شاء الله.

فإذا قيل لهم كيف لايستثنيكم ياهو من لعنته وقضائه، وأنتم تدعون كما هو واضح في نصوص عهدكم القديم أنكم شعبه المختار. فسفر التكوين ينص على أن عهداً أبوّياً قد أبرم بين ياهو وإبراهيم، وأن هذا العهد أصبح بحكم القضاء والقدر، وفي ذلك يقول السفر:

---

(١) الإصحاح الخامس والأربعون، الفقرة:٨.

(٢) الفقرات: ١٩-٢١.

(٣) الكنز، ص٥٧. راجع أيضا: صالح محمد صالح، الإنسانية والصيهونية والتلمود، ص١٢.

[لما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملاً. فاجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً. فسقط أبرام على وجهه. وتكلم الله معه قائلاً أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم... وأثمرك كثيراً جداً واجعلك أمما. وملوك منك يخرجون. وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً. لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك. وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبدياً. وأكون إلههم](١) فكيف يصيبكم ياهو بلعنة الخطيئة كغيركم من البشر، ويسبب لكم كل هذا الشقاء، والعهد الذي بينه وبين أبرام مفاده أنكم ستكونون أمة عظيمة ذات ملك واسع وخير كثير ومنك يخرج الملوك... إلى آخر ماذكره النص من بنود العهد من جعلكم متفوقين على الأميين، كما أن هذا العهد يتكرر في العهد القديم بين الطرف الأول منه وهو ياهو وبين أولاد أبرام(٢)، فإذا كان الإختيار والتفوق قضاءكم وقدركم. فلم أنتم في شقاء دائم مشتتين بلا أرض ولا ملك.

وهنا يضع اليهود أمامنا نصوصاً مقدسة كتبها أحبارهم في التلمود محاولين بها الجمع بين ضدين، وقوع لعنة ياهو على بني إسرائيل على اعتبارهم ذرية آدم، وتحقق عهده لهم بالبركة والخير الكثير، ومن هذه النصوص، **[عمل الرب خيراً لإسرائيل عندما شتت أبناء إسرائيل بين الأمم]**(٣). كما جاء فيه **[نحن شعب الله في الأرض... وقد فرقنا الله لمنفعتنا]**(٤).

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح السابع عشر، الفقرات:١-٨.

(٢) راجع: سفر التكوين، الإصحاح السادس والعشرون، والثامن والعشرون، والخامس والثلاثون.

(٣) ظفر الإسلام خان، التلمود، تاريخه، وتعاليمه، ص٦٩.

(٤) شوقي عبد الناصر، بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود، ص٣٨.

أما وسيلة تحقق هذه الصبغة فقد تعهدت بروتوكولاتهم بتفسيرها، قد جاء في البروتوكول الحادي عشر:

[رحمة الله أن شعبه المختار مشتت، وهذا التشتت -الذي يبدو ضعفا فينا أمام الناس- وقد ثبت أنه سبب كل قوتنا التي أوصلتنا إلى أعتاب السلطة العالمية].

وهنا رجع اليهود في هذه العبارة إلى التذكير بعهد ياهو لهم بالبركة ليكون منهم ملوك لأمة عظيمة تملك كل مقومات السيادة. أما الكيفية التي سيكون عليها تحقيق تلك السيادة على الأمميين، فيوضحها البروتوكول الخامس عشر قائلاً:

[هذه الهيبة لايمكن الوصول إليها إلا بقوة عظيمة ثابتة الأركان، وهي القوة التي ستبدو أنها مقدسة لاتنتهك لها حرمة...ومحاطة بقوة باطنية خفية تمثل قوة القضاء والقدر..].

حقا لقد استفاد اليهود من ياهو وعقائده كل الإستفادة، فلم تبقى عقيدة ولاشريعة في دينهم إلا وحوروها لخدمتهم الخاصة.

ثالثا: النبوات:

إن اليهود كغيرهم من أصحاب الأديان السماوية يؤمنون بعقيدة النبوة وحاجة الإنسانية إليها، كما يؤمنون أن تاريخ الإنسانية قد شهد عددا كبيرا من الأنبياء الذين قاموا بتبليغ وحي الله إلى عباده، لكن العهد القديم الذي ملأت صفحاته بذكر عدد كبير منهم، وصفهم بصفات لايمكن أن تتفق مع مقام النبوة. فقد نسبت أسفاره المقدسة إلى الأنبياء صفات تتعرض لأخلاقهم وتحط من قدرهم، بل إن تلك الأسفار وصفت بعضهم بالشرك وعبادة الأوثان. وهنا قد يرفض معترض هذا الكلام، معللاً ذلك بما يعلله اليهود دائماً في كل محفل ديني أو علمي، وفي كل زاوية من زوايا الأرض الشاسعة أنهم ورثة الكتاب وشعب الأنبياء.

وقد يتساءل مثل ذلك المعترض عن السر وراء وصف الأنبياء بتلك المخازي وهم الصفوة المختارة لتبليغ شرع الله، بالإضافة الى أن الإنسان بفطرته وتكوينه البشري يرفض الإنصياع لمن هو على تلك التركيبة الضالة، حتى وإن كان فيه مثل هذا الكفر والفسق والضلال.

وهنا يرفع أحبار اليهود وعلماؤهم نص الخطيئة الأولى عاليا فوق رؤسهم، محاولين إقناعنا بأن الصفات غير الأخلاقية صفات طبيعية فطرية لايمكن تجنبها.

وندرك مما سبق أن إيمان اليهود ويقينهم بتوارث الإنسانية لخطيئة آدم وحواء ولعنة ياهو لهما، كان وراء قبولهم مثل هذه النصوص وتلك الصفات، بل إنه يكاد يكون المبرر الوحيد وراء مايشتهرون به من ضلال وفسق. فإذا كانوا يعتقدون أن أنبياؤهم وهم الصفوة المميزة من البشرية لم يتمكنوا من مقاومة أثر الخطيئة المتوارثة، فمن باب أولى يعجز غيرهم عن ذلك فما جدوى المحاولة إذاً؟

ويؤصل العهد القديم الصفات التي تحط من قدر الأنبياء، من خلال نصوص كثيرة وردت فيه تؤكد ارتكابهم لأعمال شائنة مخزية، أخص بالذكر هنا بعض الأنبياء الذين يشعر بنو إسرائيل تجاههم بمزيد من التقدير والإجلال، وذلك رغبة في الإيجاز.

١ - إبراهيم عليه السلام:

يتمتع إبراهيم، عليه السلام، بمكانة كبيرة في نفوس بني إسرائيل فهو جدهم الأكبر، ومع ذلك فإن نصوص العهد القديم تنسب إليه صفات تحط من قدره، ومن ذلك ماأورده سفر التكوين عن هجرته من الأرض الموعودة بسبب ماأصابها من قحط، وتوجهه إلى مصر، وقد استولت عليه الرغبة في الإبقاء على حياته، والحصول على رزق واسع حتى ولو كان عن طريق وسائل غير شريفة، هذا مايعرضه النص التالي من سفر التكوين. [**وحدث لما**

قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي إمرأته إني قد علمت إنك إمرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون إنهم يقولون هذه إمرأته. فيقتلونني ويستبقونك، قولي إنك أختي ليكون لي خيرا بسببك وتحيا نفسي من أجلك.

فحدث لم دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً. ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون. فصنع إلى إبرام خيراً بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإيماء وأتن وجمال. فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساري إمرأة إبرام.

فدعا فرعون إبرام وقال ماهذا الذي صنعت بي، لماذا لم تخبرني إنها إمرأتك. لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي. والآن هي ذي إمرأتك. خذها واذهب. فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وإمرأته وكل ماكان له(١). فصعد إبرام من مصر هو وإمرأته وكل ماكان له ولوط معه إلى الجنوب. وكان إبرام غنيا جداً في المواشي والفضة والذهب](٢).

ولاندري كيف يمكن للعهد القديم أن يصور نبيا كريما بتلك الصفات، فهو لم يتجه إلى الله بالدعاء والرجاء آملاً منه النجاة مما هو فيه. بل وجه نظره لزوجته واختارها لتكون ثمنا لحياته الفانية ولرزق ينتهي، فلم تنهه غيرة الإنسان على أهل بيته، ولا غيرة المؤمن على دينه فاشترى الدنيا بالآخرة.

والمؤلم حقاً أن العهد القديم يقرر في نص آخر أن طريقة إبراهيم عليه السلام في الحفاظ على حياته وكسب رزقه ثابتة غير قابلة للتغير، إذ نجده في الإصحاح العشرين من السفر نفسه يكرر سياسته تلك فيبيع زوجه

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثاني عشر، الفقرات: ١١-٢٠.

(٢) السفر نفسه، الإصحاح الثالث عشر، الفقرة: ١.

مقابل نفسه ورزقه.(١).

يقول السفر: [وانتقل ابراهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار. وقال إبراهيم عن سارة إمرأته هي أختي. فأرسل أبي مالك ملك جرار وأخذ سارة فجاء الله إلى أبي مالك في حلم الليل وقال له ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها فإنها متزوجة ببعل. ولكن لم يكن أبي مالك قد إقترب إليها. فقال ياسيد أأمة بارة تقتل. ألم يقل هو لي إنها أختي وهي أيضا نفسها قالت هو أخي. بسلامةَ قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا فقال له الله في الحلم أنا أيضا علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا. وأنا أيضا أمسكتك عن أن تخطئ إليك. لذلك لم أدعك تمسها. فالآن رد إمرأة الرجل فإنه نبي فيصلي لأجلك فتحيا. وإن كنت لست تردها فأعلم إنك موتاً تموت أنت وكل من لك. فبكر أبي مالك في الغد ودعا جميع عبيده وتكلم بكل هذا الكلام في مسامعهم. فخاف الرجال جداً. ثم دعا أبي مالك إبراهيم وقال له ماذا فعلت بنا وبماذا أخطأت إليك حتى جلبت عليَ وعلى مملكتي خطية عظيمة. اعمالاً لاتعمل عملت بي. وقال أبي مالك لإبراهيم ماذا رأيت حتى عملت هذا الشئ. فقال ابراهيم إني قلت ليس في هذا الموضع خوف الله البتة. فيقتلونني لأجل إمرأتي. وبالحقيقة أيضاً هي أختي إبنة أبي. غير إنها ليست إبنة إمي. فصارت لي زوجة. وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي أني قلت لها هذا معروفك الذي تصنعين إليَ. في كل مكان نأتي إليه قولي عني هو أخي.

فأخذ أبي مالك غنما وبقراً وعبيداً وإيماءً وأعطاها لإبراهيم. ورد إليه سارة إمرأته. وقال أبي مالك هو ذا أرضي قدامك. أسكن فيما حسن في

---

(١) راجع: أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني، الدين المقارن، ج٣، اليهودية، ص٥٦-٥٧.

عينك. وقال لسارة إني قد أعطيت أخاك ألفا من الفضة. هاهو لك غطـاء عين في جهة كل ماعندك وعند كل واحد فأنصفت][١].

لقد كان رد ابراهيم على عتاب أبي مالك الشديد بعد أن عرف بزواجه من سارة شاهداً على تأصل الخطيئة في نفس كاتب السفر، إذ لم يذكر السفر وجد في ذلك مايدل على الحرج، بل قال كما يذكر النص **[إني قلت ليس في هذا الموضع خوف الله البتة فيقتلونني لأجل إمرأتي]**[٢].

إن تلك العبارة تؤكد أن خوف إبراهيم على حياته ودنياه فاق خوفه من الله. ولذا لم يجد في معصيته أي غضاضة. ولعل كاتب السفر أراد بسرده لهذه القصة، وعلى هذه الكيفية أن يرسخ في أذهان اليهود أن الخطيئة قضية إلزامية تشمل البشر جميعا، فلا يمكن لأي بشر الفرار من قيودها وحتميتها، فإبراهيم النبي الذي يحتل في نفوسهم درجة عالية من الإجلال لم يتمكن مع إيمانه العميق أن ينجو منها. فاستسلم لها دون أدنى مقاومة، محاولا تسخيرها لمصلحته قدر الإمكان.

إن ماقام به إبراهيم في مصر وجرار عندما بذل زوجته -وهذا معصية واضحة- كان غرضه من ذلك تحقيق أمرين:

أولهما: أن تطول أيامه في هذه الدنيا.

وثانيهما: أن ينال رزقا واسعا.

وهنا يبرز لنا أثر قصة الخطيئة الأولى على هذا الفعل من إبراهيم، فيما يصوره سفر التكوين - فهو يماثل ماقام به آدم وحواء عندما تناول من الشجرة المحرمة فقد كان غرضهما **عينك. وقال لسارة إني قد أعطيت أخاك ألفا من الفضة. هاهو لك غطاء من وراء ذلك تحقيق أمرين:**

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح العشرون، الفقرات: ١-١٦.

(٢) الإصحاح نفسه. الفقرة: ١٢.

أولا: الحصول على الخلود.

ثانيا: الرغبة في ملء البطن.

وهكذا نجد تشابها بين المعصيتين، فإبراهيم قد اتخذ من أبويه الأولين الذين ورثاه الخطيئة مثلاً للتأسي، وكأن السفر أراد بذلك أن يقول بما أنهما ورثاه الخطيئة الأولى بحيث لايمكن له الفرار منها مهما حاول، فما الذي يمنعه من تكرار معصيتهما فالخطيئة الأولى إلزامية وستلحقه لعنتها سواء كانت المعاصي التي صدرت عنه من الكبائر أو الصغائر، فلم لايختار منها مايتناسب مع أقصى ميول الشر فيه.

٢- إسحق عليه السلام:

أما إسحق، عليه السلام، فيذكر العهد القديم أنه الإبن البار الذي استفاد من تجارب أبيه إبراهيم ففضل عدم مقاومة الشر المتوارث، فأطلق العنان لغريزة البقاء لديه مختاراً حياته دون شرفه، كما يصور ذلك الإصحاح السادس والعشرون من سفر التكوين إذ يقول:

[فأقام إسحاق في جرار. وسأله أهل المكان عن إمرأته، فقال هي أختي. لأنه خاف أن يقول إمرأتي لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر. وحدث إذ طالت له الأيام هناك أن أبي مالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوة ونظر وإذ إسحق يلاعب رفقة إمرأته. فدعا أبي مالك إسحق وقال إنما هي إمرأتك فكيف قلت هي أختي. فقال له إسحق لإني قلت لعلي أموت بسببها. فقال أبي مالك ماهذا الذي صنعت بنا، لولا قليل لإضطجع أحد الشعب مع إمرأتك فجلبت علينا ذنباً. فأوصى أبي مالك جميع الشعب قائلاً الذي يمس هذا الرجل أو إمرأته موتاً يموت.

وزرع إسحاق في تلك الأرض فأصاب في تلك السنة مائة ضعف وباركه الرب. فتعاظم الرجل وكان يتزايد في التعاظم حتى صار عظيماً جداً. فكان له مواشي من الغنم ومواشي من البقر وعبيد

كثيرون][(١)].

إن جواب إسحاق عليه السلام لأبي مالك يذكرنا على الفور بجواب أبيه إبراهيم في واقعة مماثلة. أما ما ذكرته تلك النصوص من أن الخير كان نتيجة هذا الاستسلام الشائن للخطيئة، ففيه إيحاء لليهود أن المعصية قد تجلب الخير لصاحبها، وفي هذا تشجيع على الشر وأى تشجيع.

٣- هارون عليه السلام :

وإذا انتقلنا إلى حديث العهد القديم عن النبى هارون، عليه السلام، والذى كان له دور فعال فى إرساء الديانة اليهودية، إذ كان اليد اليمنى لموسى، عليه السلام، لفترة طويلة فإننا نجده مثل غيره من أنبيائهم يرتكب أعمالاً شنيعة لا يبررها فى وجهة نظر اليهود إلا توارث أثر الخطيئة الأولى، فقد نسبت أسفار العهد القديم إليه ضعف الإيمان، فقد دفعه خوفه على نفسه إلى طاعة قومه فى معصية الخالق، وذلك عندما تأخر موسى فى مناجاته لله، فضج بنو إسرئيل وأمروا هارون بصناعة التماثيل ليتخذوها آلهة دون الله ففعل لهم ما أرادوا، وقد ورد تصوير ذلك فى سفر الخروج - الإصحاح الثاني والثلاثين:

(لما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون. وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا. لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وآتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها الى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً. فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه،

---

(١) الفقرات: ٦ - ١٤ .

ونادى هارون وقال غدا عيد الرب. فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة. وجلس الشعب للأكل ثم قاموا للعب)(١)

ولو تابعنا قراءة النص لنصل إلى لقاء موسى ، عليه السلام ، بهارون بعد رجوعه من لقاء ربه ، فسوف نجد موسى إستولى عليه الغضب بسبب ما كان من أخيه ، فدار بينهما الحوار التالى:

(وقال موسى لهارون ما صنع إليك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة. فقال هارون لا يحم غضب سيدى . أنت تعرف الشعب أنه فى شر. فقالوا لى إصنع لنا آلهة تسير أمامنا . لأن موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقلت لهم من له ذهب فلينزعه ويطيعني . فطرحته فى النار فخرج هذا العجل)(٢).

وهكذا يُظهر لنا سفر الخروج هارون رجلا ضعيف الإيمان بل كافرا مشركا، إذ تخلى عن ربه ودينه بسبب خوفه على نفسه من شر بنى إسرائيل. ومع ذلك فإن هذا التصرف لا يتنافى عندهم مع عصمة النبوة ، فقد سبقه إبراهيم وإسحاق وغيرهما من الأنبياء إلى المعصية التى لم تحل النبوة وبين ارتكابها.

---

(١) سفر الخروج ، الإصحاح الثانى والثلاثين ، الفقرات : ١-٦ .

(٢) الإصحاح نفسه، الفقرات ٢١-٢٤.

٤- موسى عليه السلام:

أما المؤسس الأول للديانة اليهودية موسى ، عليه السلام ، الذى كان له الفضل الأول بعد الله فى إخراجهم من عبودية مصر ونصرهم على أعدائهم، فرعون وجنوده، فإن أسفار العهد القديم تصفه بالعصيان والامتناع عن تنفيذ أوامر الله. مما أدى إلى غضب الرب عليه فمنعه من الدخول إلى الأرض الموعودة. وكان ذلك المنع شاملاً لهارون أخيه ايضا.

وهذا ما ذكره سفر العدد بوضوح فى الإصحاح العشرين منه إذ ضج بنو إسرائيل بسبب جفاف أصابهم ، فتوجه موسى وهارون إلى ياهو بالدعاء كما يذكر السفر على هذا النحو (**فتراءى لهما مجد الرب. وكلم الرب موسى قائلا خذ العصا واجمع الجماعة أنت وهارون أخوك وكلما الصخرة أمام أعينهم أن تعطى ماؤها.**

فتخرج لهم ماء من الصخرة وتسقى الجماعة ومواشيهم . فأخذ موسى العصا من أمام الرب كما أمره . وجمع موسى وهارون الجمهور أمام الصخرة فقال لهم أسمعوا أيها المردة . أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء . ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماءٌ غزيرٌ فشربت الجماعة ومواشيها . فقال الرب لموسى وهارون من أجل أنكما لم تؤمنا بى حتى تقدسانى أمام أعين بنى إسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التى أعطيتهم إياها)(١)

فإذا كان اليهود يؤمنون أن نبيهم الأول موسى، عليه السلام، مؤسس الديانة اليهودية لم يتمكن من مقاومة الشر فوقع فيه وعصى أوامر الإله، فمن المتوقع عدم قبولهم باستطاعة غيره من البشر تجنب الشر ومقاومته. فقد جاء تعليق بعض مفسري العهد القديم على هذه الحادثة بمثابة تحديد واضح

---

(١) سفر العدد ، الإصحاح العشرون ، الفقرات : ٦ - ١٢ .

لتوارث البشر للخطيئة الأولى إذ قالوا:

"يعتبر موسى من أعظم وأقدر القديسين الأتقياء الذين عاشوا في أي وقت، لهذا فإن هذا الفضل مهم في كونه يحفظنا من تقديره أكثر من اللازم. وبالرغم من عظمته فقد كان إنسانا وأخطأ. وقد عاقبه الله على الخطية وحرمه من إتمام رغبته العظمى في الدخول إلى أرض الموعد."(١)

وقد قاموا بتفسير النص المعنى هنا بقولهم:

"لقد جعل الكبرياء -أي موسى- يستولي على أفضل ما فيه، لقد دعا الشعب [المرده] ووضع نفسه مكان الله، ناسياً أن [غضب الإنسان لا يصنع بر الله]، ربما كان قد أوشك أن يتحطم بعد سلسلة الحوادث الطويلة التي امتحنت صبره. لقد بين على أية حال انه لم يعد عنده الاحتمال المطلوب لقيادة الشعب إلى أرض الموعد. وقد وقف هارون وموسى معاً في هذا العمل.

فحكم عليهما بالعقاب معا. وإنما نعني هنا خصيصا بموسى. إذ إن هارون، لم يكن قط في وصفه كقائد"(٢)

هكذا حرم موسى من دخول الأرض الموعودة لا لحكمة أرادها الله، بل كعقاب على غضبه وثورته على بني إسرائيل، مع أن ذلك الغضب وهذه الثورة وإن غدا من معصية الله فيما يقرره العهد القديم، فهما في الوقت ذاته من سريان أثر الخطيئة الأولى الذي يؤكده العهد القديم كذلك.

---

(١) تفسير الكتاب المقدس ، ج١ ، ص٣٨٥ .

(٢) تفسير الكتاب المقدس ، ج١ ، ص٣٨٦)

٥- داود عليه السلام:

وإذا انتقلنا إلى داود عليه السلام فسنجد أن الحديث عنه فى أسفار اليهود المقدسة أخذ بعداً آخر. فلم يكن أفضل من غيره فقد صورته أسفار العهد القديم بالملك الذى لاهمَّ له إلا إشباع غرائزه الحيوانية حتى لو دفعت به إلى محرم، فلقد وصل به الحال أن زنى واحتال وقتل، فعل كل ذلك دون وازع أخلاقى أو رادع ديني. فسفر صموئيل الثاني يتعرض له بالقول: **(وكان عند تمام السنة فى وقت خروج الملوك ، أن داود أرسل يوآب وعبيده معه وجميع إسرائيل فأخربوا بني عمون وحاصروا ربِةَ. وأما داود فأقام فى أورشليم.**

وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم . وكانت المرأة جميلة المنظر جداً. فأرسل داود وسأل عن المرأه فقال واحد أليست هذه يشثبع بنت البعام امرأة أوريا الحثي. فأرسل داود رُسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضجع معها وهى مطهرة من طمثها. ثم رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنى حبلى.

فأرسل داود إلى يواب يقول أرسل إلي أوريا الحثي. فأرسل يوآب أوريا إلى داود. فأتى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب. فقال داود لأوريا إنزل إلى بيتك واغسل رجليك. فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك. ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته. فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته. فقال داود لأوريا أما جئت من السفر. فلماذا لم تنزل إلى بيتك. فقال أوريا لداود إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام وسيدي يوآب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتى. وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر

فقال داود لأوريا أقم هنا اليوم أيضاً وغداً أطلقك. فأقام أوريا فى أورشليم ذلك اليوم وغده. ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره. وخرج عند المساء ليضطجع فى مضجعه مع عبيد سيده وإلى بيته لم ينزل.

وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوآب وأرسله بيد أوريا. وكتب في المكتب يقول.. إجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وإرجعوا من ورائه فيضرب ويموت. وكان في محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه. فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضا. فأرسل يوآب وأخبر داود بجميع أمور الحرب. وأوصى الرسول قائلاً عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع أمور الحرب. فإن إشتعل غضب الملك وقال لك لماذا دنوتم من المدينة للقتال. أما علمتم أنهم يرمون من على السور. من قتل أبي مالك بن يربوشت. ألم ترمه إمرأة بقطعة رحى من على السور فمات في تاباص. لماذا دنوتم من السور. فقل قد مات عبدك أوريا الحثي أيضا](١).

وتابع الحديث عنه قائلاً: [**فلما سمعت إمرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها. ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له إمرأته. وولدت له إبنا. وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عين الرب]**(٢).

وبما أن داود عليه السلام لم يكن لليهود مجرد نبي من أنبيائهم لاحقهم بدعواته الروحية محاولا تهذيب نفوسهم الضالة، بل كذلك كان ملكا إستطاع أن يؤسس لبني إسرائيل ملكا قويا عزيز الجانب، لذا كان رفض

---

(١) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الحادي عشر. الفقرات: ١-٢١.

(٢) الإصحاح نفسه: الفقرات: ٢٦-٢٧.

أحبار اليهود لغضب ياهو الذي أصاب داود بسبب ما قام به، كما هو مذكور في النص السابق صراحة. فقالوا معلنين غير رافضين لفعلته.

[إن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير، وإنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة وسن له شريعة لولاها لما كان يخطئ. وقد جبر اليهود على قبولها، فنتج عن ذلك أن داود الملك لم يرتكب بقتله (لأوريا) وبزناه بامرأته خطيئة يستحق العقاب عليها منه تعالى، لأن لله هو السبب في كل ذلك][1].

فهم يرفضون ماوقع منه، ويعملون على تبرأته بإرجاع الفعل إلى الله الذي وضع فيه الميل للشر.

٦- سليمان عليه السلام:

أما حديث العهد القديم عن أعظم ملوك اليهود النبي سليمان، عليه السلام، وهو الذي حاول اليهود وإلى اليوم العثور على أنقاض هيكله المقدس، فهو حديث عجيب، وقد ذكرت أسفارهم أنه بعد أن بلغ من الكبر عتيا إعتراه شئ من الخرف، إنتهى به الإستكثار من الزوجات والجري وراء ملذاته فكان له عدد كبير من النساء من بينهن نساء غريبات أملن قلبه إلى الأوثان، فقام ببناء أماكن لعبادتها إرضاءً لهن.

فقد تحدث سفر الملوك الأول عن ذلك فقال: **[وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعموميات وآدميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لاتدخلون إليهم وهو لايدخلون اليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فأمالت نساؤه قلبه. وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب**

(١) الكنز ،ص٥٧.راجع أيضاً:صالح محمد صالح،الإنسانية والصهيونية والتلمود،ص١٦.

داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتورث الاهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عين الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه. حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ولمولك رجس بني عامون. وهكذا فعل لجميع نساؤه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن](١).

وهكذا يصور السفر حياة هذا النبي الكريم وقد انتهت إلى الشرك، وهو مايثبت أن اليهود شعب حلل الخطيئة وجعلها أمراً مسلماً به لانقيصة، فهي كالليل والنهار والشمس والقمر، فالخطيئة قضية يتوارثها البشر جميعا عن أبويهم آدم وحواء.

هذه صورة سريعة تعكس طبيعة الإعتقاد اليهودي في الأنبياء، ومنها يتبين مدى خلطهم وتجاوزهم في الإساءة إلى صفوة خلق الله وتشوه مكانتهم السامية، مع تبريرهم النفسي لذلك كله بإمتداد أثر الخطيئة الأولى إلى بني آدم بما في ذلك الأنبياء، عليهم السلام.

رابعا: عقيدة البعث واليوم الآخر:

يدرك الباحث في العهد القديم أن لإيمان اليهود بلعنة ياهو المنصبة على آدم وحواء وذريتهما ومتعلقة بالخطيئة الأولى، دورا واضحا في نفيهم عقيدة البعث واليوم الآخر في أسفارهم المتقدمة.

فالقصة المعنية تحصر اللعنة في ثلاثة أمور، هي:

أولا: الخروج من الجنة للأبد.

ثانيا: الشقاء الدنيوي.

ثالثا: الموت، فالإنسان خلق من تراب وإلى تراب يعود.

---

(١) الإصحاح الحادي عشر، الفقرات: ١-٨.

وعلى هذا فلا وجود لسعادة أو شقاء بعد الموت، فالنص الذي فسر حياة الدنيا باللعنة لم يشر إلى حياة أخرى بعد الموت. يتحقق فيها الجزاء العادل فيفرق بين المؤمن الصالح بإسعاده والفاسد الكافر بإنزال العقاب به. وقد نتج عن اعتقاد اليهود بخروج آدم وحواء من الجنة خروجاً أبدياً، إلى القول ولقروناً طويلة إن الجزاء يتحقق في هذه الدنيا، ففيها يثاب الإنسان ويعاقب على عمله، فالسعادة والشقاء الدنيوي في العقيدة اليهودية.[1] كان بسبب تمسك أصحاب هذه الديانة بمعطيات نص الخطيئة الأولى التوراتي، وخلو أسفاره المتقدمة في العهد القديم من أي إشارة إلى حياة بعد الموت[2]. كان أيضا متأثراً بهذه القصة، وهو الأمر الذي تضمن إحتمالا قويا يكمن وراء رفعهم النصوص المتعلقة للبعث من هذه الأسفار، خشية ظهور تناقض بينها وبين النصوص التي تقرر أن الثواب والعقاب دنيويان وهي نصوص ترد بكثرة في هذه الأسفار.

وإلى ذلك أشار موسى عليه السلام في حديثه لبني اسرائيل فيما نسبه إليه سفر التثنية إذ قال: [**أنظر. قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر بما أني أوصيتك اليوم أن تحب الرب إلهك وتسلك في طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكي تحيا وتنمو ويباركك الرب إلهك في الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها. فإن إنصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لآلهة أخرى وعبدتها فإني أنبئكم اليوم أنكم لامحالة تهلكون. لاتطيل الأيام على الأرض التي أنت عابر الأردن لكي تدخلها وتمتلكها. أشهد عليكم اليوم السماء والأرض. قد جعلت قدامك الحياة والموت. والبركة**

(١) راجع: هنري أبو خاطر، نظرات في الحتمية والجبرية والحرية، ص١٤٤-١٤٥.

(٢) راجع: سيجموند فرويد، موسى والتوحيد، اليهودية في ضوء التحليل النفسي، ترجمة عبد المنعم الحنفي، ص٥٦. والعقاد، الله، ص١١٨-١١٩.

واللعنة. فإختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك. إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به لأنه هو حياتك والذي يطيل أيامك لكي تسكن على الأرض التي حلف الرب لآباءك إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيهم إياها](١).

لقد صرح النص هنا أن الحياة على هذه الأرض بما تشمل من إطالة العمر والسعادة والتكاثر والبركة، وسكنى الأرض الموعودة هي ثواب المؤمنين الطائعين للرب. وأن الموت السريع واللعنة والحرمان من التمتع بالأرض تصيب الكثيرين العاصين في حين لم يشر إلى حياة بعد الموت يتحقق فيها الجزاء، فقد قصر النص الجزاء بشقيه الثواب والعقاب على هذه الدنيا متوقفا عن الحديث عن ما يعقب الموت من أحداث، وهو بذلك يقرر إيمان اليهود باللعنة التي تضمنها نص الخطيئة الأولى، فالموت في عقيدة بني إسرائيل المعبر الأخير لعامة البشر. وإلى هذه العقيدة يشير سفر الجامعة بقوله: [**الكل على ماللكل، حادثة واحدة للصديق وللشرير وللصالح وللطاهر وللنجس. للذابح وللذي لايذبح. كالصالح الخاطئ. الحالف كالذي يخاف الحلف. هذا أشر كل ماعمل تحت الشمس، أن حادثة واحدة للجميع وأيضا قلب بني البشر ملآن من الشر والحماقة في قلبهم وهم أحياء وبعد ذلك يذهبون إلى الأموات لأنهما يستثني في كل الأحياء يوجد رجاء فإن الكلب الحي خير من الأسد الميت. لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون. أما الموتى فلا يعلمون شيئا وليس لهم أجر بعد كأن ذكرهم نسي. ومحبتهم وبغضهم وحسدهم هلكت منذ زمان ولانصيب لهم بعد إلى الأبد في كل ماعُمِلَ تحت الشمس... كل ماتجده يدك لتفعله فأفعله بقوتك لأنه ليس من عمل**

(١) الإصحاح الثلاثون، الفقرات: ١٥-٢٠.

ولاإختراع ولامعرفة ولاحكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها.[١].

إن هذا النص الوارد في العهد القديم يدل يقينا على إيمان اليهود بالنهاية التى حددتها لعنة الخطيئة الأولى التي تجمع بين المؤمن والكافر والمطيع والعاصي في نهاية واحدة ألا وهي الموت. وفي هذا المعنى تحدثت إمرأة من بني إسرائيل إلى داود الملك، إذ قالت له كما يذكر سفر صموئيل الثاني [**لأنه لابد أن نموت ونكون كالماء المهراك على الأرض الذي لايجمع**][٢].

إذاً فاليهود يعتقدون أن من إختار الطاعة إختار الحياة والسعادة والبركة ومن إختار المعصية والكفر إختار بالتالي قصر حياته وشقاوه فيها على قصرها، لكن الحياة واجهت اليهود بواقع يتنافى مع هذه العقيدة، فكثير من الأشرار والكفار عاشوا فيها بسعادة، وكثير من الأبرار إضهدوا وظلموا فيها، ودفع عدم تحقق تلك العدالة التي تحدث عنها سفر التثنية المشار إليه سابقاً، أصحاب الفطرة السليمة من اليهود إلى الإعتراض على النهاية التي وردت في سفر التكوين حيث تحدث عن لعنة الخطيئة الأولى، فكون الموت هو النهاية التي تصيب البشر جميعاً دون التفرقة بين الصالح منهم والفاسد، أمر رفضه هؤلاء بشدة.

ويحتوي العهد القديم على نصوص كثيرة يجهر أصحابها بهذا الرفض، وبما أنه من العسير جمعها فسأعرض أهم ماتوصلت إليه في هذا الموضوع. من ذلك مانسبه العهد القديم إلى أيوب، عليه السلام، حيث قال: [**فلماذا أخرجتني من الرحم. كنت قد أسلمت الروح ولم ترني عين فكنت كأني لم أكن فأقاد من الرحم إلى القبر. أليست أيامي قليلة. أترك خف عني**

---

(١) سفر الجامعة، الإصحاح التاسع، الفقرات: ٢-٦.

(٢) الإصحاح الرابع عشر الفقرة: ١٤.

فأتبلَج قليلاً قبل أن أذهب ولاأعود. إلى أرض ظلمةً وظل الموت أرضي ظلام مثل دجى ظل الموت](١).

وفي مكان آخر من السفر نفسه نجد تـأكيداً لهذا الربـط **[لأن للشجرة رجاء. إنقطعت تخلف أيضاً ولاتعـدم خراعيبها ولـو قدم فـي الأرض أصلها ومات في التراب جذعها فمن رائحة الماء تفرخ وتنبت فروعاً كـالغرث. أما الرجل فيموت ويبلـى. الإنسـان يسلم الـروح فـأين هو. قد تنفذ الميـاه من البحرة والنهر ينشف ويجف. والإنسان يضطجع ولايكون. لايستيقظون حتـى لاتبقى السموات ولاينتبهون من نومهم]**(٢).

لاشك أن لعدم رضا كاتب السفر وأمثاله من اليهـود عـن تلـك النهايـة التى قررتها لعنة الخطيئـة، واعـتراضهم السـافر علـى مضمونـها، كـان وراء محاولة البعض إيجاد مخرج آخر تستريح إليـه النفس الإنسـانية وخاصـة مع وجود حاجة تستدعي ذلك حيث تعرض اليهود لكثير من النكبات والإضطهاد عن طريق جبابرة الأرض. فأرادوا تغيير تلك النهاية بأخرى تمكنهم مـن بـث الرعـب مـن قلـوب أعدائهـم فـي الحيـاة الدنيـا بسـبب أن دعـوة إسـحق لأبيهـم يعقوب(٣) لـم تتحقـق، فقـد عـاش هـؤلاء الأعـداء ومـات كثيراً منهـم دون أن تصيبهم هذه اللعنة لذا قـرر اليهـود وجـود حيـاة بعـد المـوت يقتـص فيهـا مـن الظـالم وينصـف المظلـوم، ويحصـل اليهـود الذيـن طالمـا عـانوا مـن الظلـم والإضطهاد والتشرد على مايستحقونه من الفوز الأبدي والسعادة الكبرى التـي أعدها ياهو.

وهو مـاأكده روبير بندكتي إذ قال: "لم تبرز فكرة القيامة بوضـوح في

---

(١) سفر أيوب، الإصحاح العاشر، الفقرات: ١٨-٢٢.

(٢) سفر أيوب، الإصحاح الرابع عشر، الفقرات: ٧-١٢.

(٣) راجع سفر التكوين، الإصحاح السابع والعشرين.

الفكر اللاهوتي - اليهودي - قبل القرن ٢."[١].

مبينا بعد ذلك أسباب ظهور فكرة القيامة بقوله:

"اجتاحت الشعب والبلد كوارث تاريخية وفواجع وطنية جماعية حملت الناس على التفكير في معنى الحياة في ظل الموت - للمعنى الواسع للكلمة، واقع الموت المتوغل في (دائرة الحياة) - مما جعل المفكرين يتساءلون عن مصير المظلوم الملهوف وظالمه بعد الموت. فالظلم السائد في الدنيا يستدعي العدالة المتعالية. أدت هذه التساؤلات إلى نشوب أزمة فكرية، بل وأزمة ضمير أخلاقية. إشتدت أزمة الضمير هذه في عصر الحكم الهلنستي والحروب الدينية التي شنها المكابيون على طغيان أنطيوخس (١٧٦-١٦٤) الذي أراد إحداث تغييرات في دين العهد القديم. إن مصير الشهداء طرح بإلحاح أخيري قضية مصير الموت: نصوص العصر تشهد لشدة الإهتمام وعمق التساؤلات حول هذه القضية."[٢].

ويعد أوضح تلك الاشارات ماورد في سفر دانيال ونصه: [**وكثيرون من الراقدين في التراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للإزدراء الأبدي**][٣].

وقد أكد روبير بنداكتي على أهمية هذا النص في تعزيز عقيدة البعث عند اليهود بقوله: [يعد دانيال ١٢/١-٣ الشاهد الأول في تراث العهد القديم

---

(١) التراث الإنساني في التراث الكتابي، ص١٠٣.

(٢) روبير بنداكتي، التراث الإنساني في التراث الكتابي، ص١٠٤-١٠٥. راجع أيضا: الدكتور رفقي زاهر، قصة الأديان، ص٣١٠.

(٣) الإصحاح الثاني عشر، الفقرة:٢.

للإيمان الواضح" بقيامة الموتى"][١].

كما نجد إشارات واضحة عن البعث في سفر أشعياء، وهو من الأسفار المتأخرة، حيث جاء في الإصحاح الخامش والعشرين منه [**ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة سماء وليمة خمر على دردي سماء ممخة، دردي مصفي. ويفني في هذا الجبل وجه النقاب. النقاب الذي على كل الشعوب والغطاء المغطى به على كل الأمم. ويبلع الموت الى الأبد ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه وينزع عار شعبه عن كل الأرض لأن الرب قد تكلم.**

ويقال في ذلك اليوم هو ذات هذا إلهنا إنتظرناه فخلصنا. هذا هو الرب إنتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه. لإن يد الرب تستقر على هذاالجبل ويداس موآب في مكانه كما يداس التبن في ماء انمزبلة فيبسط يديه فيه كما يبسط السابح ليسبح فيضع كبرياءه في مكابد يديها. وصرح ارتفاع يخفضه يضعه يلصقه بالأرض إلى التراب][٢].

لقد ظهر من هذا النص أن اليوم الآخر الذي يتحدث عنه هو يوم الخلاص لبني اسرائيل، فهو يوم يرفع ياهو فيه نعنة الخطيئة عنهم فلا يصيبهم شقاء ولا موت، في حين يصيب أعداءهم الشر والبلاء نتيجة مااقترفوه تجاه شعبه المختار. ويعلل الأب ألان مرشودر التناقض الموجود في العهد القديم فيما يتعلق بعقيدة البعث، وعدم تطرق الأسفار المتقدمة لها، وتطرق المتأخرة إليها بإشارات بسيطة قائلاً:

"الف سنة ونيف تفصل بين لقاء الرب (بشعبه في حوالي منتصف القرن الثالث عشر ق.م.) وبالتأكيد الصريح على

---

(١) التراث الإنساني في التراث الكتابي، ص١٠٥.

(٢) الفقرات: ٦-٨.

وجود حياة ماوراء الموت. وفي الواقع لم تتجسد رغبة البقاء في شهادة إيمان صريحة إلا في حوالي السنوات ١٥٠ق.م. ولابد من الإشارة إلى مثل هذا البون الشائع.

فإنه يدل على أن الوحي تجسد في الثقافة الثانية حتى أنه تقيد بقيودها الأنثروبولوجية.

أحيانا مانبحث في الكتاب المقدس عن حقائق جاهزة فيحصل بنا أن نحفظ هذا الدرس، علما أن الله لايهبط أبداً وحيه وفق رأس الإنسان، بل يفيده في دم الإنسان ولحمه، مراعيا مخاطر حريته وتباطؤها. وهناك أمر آخرجدير بالإهتمام، وهو أن تدوين معظم الأسفار الكتابية قد تمّ حين أثبت إسرائيل إيمانهم بالحياة بعد الموت. فلم يعرف إيمان إسرائيل بالإله المحي مسرحاً، طوال ألف سنة، إلا المجال الأرضي، ولم يبلغ إسرائيل التثبت في رجاء الآخرة إلا بعد أن أدى للحياة الدنيا كل مايحق لها من ثمن.

ليس علينا نحن أن نجتاز الطريق نفسه. فلابد أن نحذر من حصر تعطشنا إلى الحياة فى الآخرة. إن اختبار إسرائيل تطبيق رائع لما كتبه اللاهوتى الألمانى بونهوفر (لا يحق لنا أن نؤمن بقيامة الأموات وبعالم جديد، ما لم نحب الحياة والأرض حباً كافياً يجعلنا نظن أن كل شئ ينتهي حين نفقدها)."[1]

إن الكاتب هنا يحاول أن يزيل أسباب الحيرة فيما يبدو من فساد هذه العقيدة فى العهد القديم، وذلك بإضفاء ما يمكنه من القبول عليها، ولا نعتقد أنه

(١) الموت والحياة فى الكتاب المقدس،نقلته إلى العربية،الأم ماري هنريت غانم ص٩-١٠

قبلها هو ذاته حتى تحظى بقبول غيره .

وعلى أن هناك سبباً آخر لرفع اليهود عقيدة البعث من أسفارهم، يضاف إلى السبب السابق، يتعلق أيضاً بالخطيئة الأولى وقولهم بتوارث الإنسانية للخطيئة. وأعنى بهذا السبب ما وقع فيه اليهود على مدار تاريخهم الطويل من الخطايا والذنوب التى ربطتها الأسفار المتقدمة بأشد أنواع العقاب فى الآخرة فكان من اليسير على أحبار اليهود أن يرفعوا من هذه الأسفار مثل تلك العبارات تفادياً لما تضمنته من الوعيد الشديد.

وبعد، وتلك إلمامة سريعة بآثار الإيمان بقصة الخطيئة الأولى على العقيدة اليهودية بمختلف موضوعاتها الأساسية سواء صفات الإلهية أو عقيدة النبوات واليوم الآخر. وضح من خلالها دور ذلك الإيمان فى تحديد معالم كل منها، بحيث تتلاءم مع نص الخطيئة الأولى الواردة فى سفر التكوين.

ثانياً : الناحية التشريعية:

أثرت قصة الخطيئة الأولى فى العقيدة اليهودية تأثيرا بعيدا بحيث لم يتمكن اليهود من الفصل بينها وبين بعض الشرائع الخاصة بهم، لذا يجد الباحث بعض هذه الشرائع وقد تأثر بشكل أو بآخر بإيمانهم بها.

وسيدور هذا المبحث -إن شاء الله- حول الشرائع التى تأثرت بذلك الإيمان. وكما هو معلوم فإن لعنة الخطيئة انصبت على آدم وحواء بسبب عصيانهما أمر الله وتناولهما من الشجرة المحرمة.(١). وهذه اللعنة يمكن أن تقسم إلى ثلاثة أقسام من حيث ارتباطها بآدم وحواء. قسم اتجه إلى حواء وبناتها على اعتبارها أحد المسببات الأساسية للخطيئة الأولى، وقسم اتجه إلى آدم وأبنائه الذكور بسبب طاعته لحواء وعصيانه لأمر الله، وهناك قسم

---

(١) راجع : سفر التكوين ، الأصحاح الثالث .

جمعهما معاً وانتقل منهما لجميع البشر. وسوف أقصر الحديث على القسمين الأول والثالث متجاوزة القسم الثاني لعدم تأثر شرائعهم به .

أولاً : الشرائع النسائية:

أ - الأثر البدني.

ب - الأثر الأدبي.

ثانياً : الشرائع المشتركة.

أولاً :الشرائع النسائية:

أ - **الأثر البدنى** :- تركت اللعنة التى أصابت حواء وبناتها تأثيرا جسديا عليهن يوضحه ما ورد فى سفر التكوين **(تكثيراً أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك.)**(١)

ويلاحظ أن الجزء الأول من هذه اللعنة يتعلق ببعض خواص المرأة، وأقصد بذلك الحمل والولادة، فقد جعل النص هذه الخاصية الهامة المتميزة للمرأة صفة ذم لا صفة مدح، وقد ترتب على هذا الاعتقاد كثير من الأحكام التشريعية التى يمكن وصفها بالشدة والقسوة فى معاملتهم للمرأة، وخاصة إذا كانت حائض أو نفساء اعتقاداً منهم أن هاتين الخاصيتين ترجعان إلى اللعنة التى ارتبطت بالمرأة نتيجة الخطيئة الأولى، كل ذلك واضح من الأحكام التشريعية التي فرضها اليهود على الوالدة والحائض.

فالذى يطالع حديث سفر اللاويين المتضمن هذه التشريعات، يشعر بمدى تعاسة المرأة الإسرائيلية، ومدى ما أصابها من ظلم وقسوة نتيجة إيمانهم بمضمون قصة الخطيئة، فقد جاء **(وإذ كانت إمرأة لها سيل وكان سيلها دماً فى لحمها فسبعة أيام تكون فى طمثها وكل من مسها يكون نجساً إلى المساء. وكل ما تضطجع عليه فى طمثها يكون نجساً وكل ما تجلس عليه**

---

(١) راجع: سفر التكوين، الاصحاح الثالث، الفقرة : ١٦.

يكون نجساً وكل ما مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وكل من مس متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وان كان على الفراش أو على المتاع الذى هى جالسة عليه عندما يمسه يكون نجساً إلى المساء. وإن اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه يكون نجساً سبعة ايام. وكل فراشٍ يضطجع عليه يكون نجساً.

وإذا كانت امرأة يسيل سيل دمها أياماً كثيرة فى غير وقت طمثها أو إذا سال بعد طمثها فتكون كل أيام سيلان نجاستها كما فى أيام طمثها. إنها نجسه. كل فراش تضطجع عليه كل أيام سيلها يكون لها كفراش طمثها. وكل الأمتعة التى تجلس عليها تكون نجسة كنجاسة طمثها. وكل من مسهن يكون نجساً فيغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. واذ طهرت فى سيلها تحُسب لنفسها سبعة أيام ثم تطهر. وفى اليوم الثامن تأخذ لنفسها يمامتين أو فرخي حمام وتأتي بهما إلى الكاهن إلى باب خيمة الاجتماع، فيعمل الكاهن الواحد ذبيحة خطية والآخر محرقة ويكفر عنها الكاهن أمام الرب من سيل نجاستها.)[١]

لقد أظهر هذا النص نظرة المجتمع الإسرائيلى إلى المرأة، فهي فى مراحل تطبيق اللعنة عليها -كما يدعون- وهى هنا مرحلة الحيض التى تكون فيها نجسة منجسة لكل ما حولها، سواء كان أثاثا أو ثياباً أو متاعا أو حتى من البشر، ولتخرج من هذه النجاسة لابد أن تعيش منعزلة عن العالم مدة محددة من الزمن، تندب فيها حظها العاثر الذي جعلها امرأة، وعليها بعد أن تنقضي المدة المحددة في النص أن تتقدم إلى الكاهن بذبيحة الخطية وأخرى ليكفر عنها.[٢]

---

(١) الإصحاح الخامس عشر ، الفقرات : ١٩ - ٣٠.

(٢) راجع : Goerage Bachanan Gray. Sacrifice in the old Testments , p.76

أن تتحول المـرأة بسـبب نجاسـة مؤقتـة ومحـدودة إلـى عنصـر نجـس منجس أمر يصعب تصوره فكيف بقبوله.

ولكن حالة المرأة الإسرائيلية فى حالة الحيض علـى صعوبتـه وشـدته على نفسية الأنثى يهون بالنسبة إلى حالها بعد الولادة.

فلقد قرر اليهود كما يذكر سفر اللاويين فـى موضـع آخـر أن المـرأة الوالدة عليها الكثير لتدفع، فالولادة بحد ذاتها تعتبَر عندهم مـن أكبر علامـات لعنة ياهو على حواء وبناتها.(١)

فـالأم الوالـده يلحـق بهـا قـدر لا يسـتهان بـه مـن القسـوة والشـدة فـى الشريعة اليهودية. وإن كان ذلك يختلف تبعاً لنوعية جنينها. فإذا كـان المولـود ذكراً تكون نجسة منجسـة سبعة أيـام كأيـام طمثهـا، ثـم تبقـى بعـد ذلـك ثلاثـة وثلاثين يوماً لا تلامس شيئاً مقدساً ولا تدخل بيتاً للعبادة. اما إذا كان المولـود أنثى فتضـاعف المدة لتصبح نجسه لمدة أسبوعين ثـم تبتعـد عـن بيـت العبـادة ستة وستين يوماً لا تلمس خلالها شيئاً مقدساً، ولتتجه بعد ذلك بذبيحة الخطيـة إلى الكاهن الذي يكفر عنها فتطهر.

وقد نسب سفر اللاويين هذا التشريع إلى يـاهو حيث جـاء فيـه **(وكلم الرب موسى قائلا كلم بني إسرائيل قائلا إذ حبلت امرأة وولـدت ذكـراً تكـون نجسة سبعة أيام - كما فى طمثهـا علتهـا تكـون نجسـة. وفـى اليـوم الثـامن يختن لحم غرلته ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوماً فى دم تطهيرها. كل شئ مقدس لاتمس وإلى المقدس لاتجئ حتى تكمل أيام تطهيرها. وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما فى طمثها. ثم تقيم ستة وستين يوماً فى دم تطهيرها.**

ومتى كملت أيام تطهيرها لأجل إبن أو إبنه تأتى بخروف حولي

---

(١) راجع: **YEHEZKELL KAUFMANN, THE RELIGION OF ISREAL**, Translated and Abrodged by MOSH GREENBERG, P.294.

محرقة وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطية إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن فيقدمها أمام الرب ويكفر عنها فتطهر من ينبوع دمها. هذه شريعة التى تلد ذكراً أو أنثى، وإن لم تنل يدها كفاية لشاة تأخذ يمامتين أو فرخي حمام الواحد محرقة والآخر ذبيحة خطية فيكفر عنها الكاهن فتطهر)[(١)]

وقد نتساءل هنا وما هى جنايتها التي تتطلب هذا التكفير فيأتي الجواب من مفسري العهد القديم لتوضيحه، مؤكدين فى البداية أن الإكثار من ولادة الأولاد أمر إلهى، فقالوا:

"صدر الأمر [أثمروا وأكثروا] فى (تك ١ : ٢٨) وتجدد لنوح بعد الطوفان (تك ٩ : ١) وقد أخبرنا صريحا أن سلفاء أبرام من الذين ولدوا بعد الطوفان أطاعوا ذلك (تك ١١ : ١١ و١٣ الخ)"[(٢)]

ثم بعد أن وضحوا تلك النقطة عرجوا إلى موضوع بحثنا فقالوا:

"الإيضاح الكافي الوحيد لما يبدو مخالفة القاعدة، كما ورد في الأمر بالإثمار. والفرح الملازم لتحقيق الأمومة والأبوة. مع النجاسة المنسوبة إليهما والتي يعبر عنها بجلاء فى التطهير المديد المطلوب من الأم بعد إتمام وظيفة الأمومة السامية، هذا الايضاح يوجد في السقوط واللعنة التي وقعت على المرأة بعد السقوط مباشرة. فالوجع والألم يجب أن يلازما الأمومة[تك ٣ : ١٦]".[(٣)]

لقد وجد اليهود الوجع والألم اللذين يصيبان الأم أثناء الحمل والولادة غير كافيين لتحقيق لعنة ياهو عليها، فما كان منهم إلا أن انتظروا انتهاء هذا

---

(١) الإصحاح الثاني عشر.

(٢) تفسير الكتاب المقدس، ج١ ، ص٣٠٠ .

(٣) المرجع نفسه و الصفحة نفسها

العذاب المرير ليبدأوا بنوع آخر منه، مقررين وجوب هجرها تماما وعدم الاقتراب منها فهي نجسة منجسة تنجس كل من حولها سواء كان إنسانا أو جماداً.

وهكذا تصبح الأم منعزلة تندب حظها العاثر الذي جعلها من بنات حواء، بل إن اليهود رأوا أن ذلك أيضاً ليس كافياً ففرضوا عليها ذبيحة للخطية، تقدمها بعد فترة محددة من الزمن. فبدلاً من أن يقدم لها الشكر أو التعزية على ما أصابها، والذبح لله شكراً على سلامتها وسلامة الوليد، فرضوا عليها ذبيحة للخطية، بسبب كونها إحدى بنات حواء ورثت لعنة أمها فجرى عليها ما جرى على أمها من آلام وأوجاع الحمل والولادة.

إن هذا التشريع يحتوي على قدر كبير من القسوة والظلم والمشقة على المرأة التي بطبيعة تكوينها الأنثوي تملك نفسا حساسة. وتزداد هذه الحساسية عندما تكون في مرحلة الولادة وما بعدها حيث يتطلب وضعها قدرا كبيراً من الرعاية من قبل الزوج والأهل. ولكن اليهود وبإيمانهم بلعنة الخطيئة تجاهلوا كل ذلك غير مكتفين بمضمون اللعنة بل أصدروا لعناتهم المتتالية على المرأة معتقدين أنها عنصر الأساس في خروج أبيهم آدم من الجنة، ووجودهم على هذه الأرض بكل ما فيها من كدح وشقاء، كما أن اختلاف مدة نجاسة الوالدة على حسب نوع المولود ذكرا أو أنثى ليرجع إلى لعنة الخطيئة الأولى التي أصدرها ياهو ضد حواء وتوارثتها بنات جنسها .

فاليهود يعتقدون أنها بإنجابها أنثى تكون قد جلبت إلى الأرض لعنة أخرى استحقت بها مضاعفة مدة نجاستها بسبب ما أنجبت. إن ذلك ليبين مدى ما وصل إليه اليهود في احتقارهم للمرأة، فبسبب إيمانهم بقصة الخطيئة الأولى والمذكورة فى توراتهم جعلوها فى الدرك الأسفل فى المجتمع الإنساني، فمهما تحملت من مشاق وآلام لتحقيق أمر ياهو بالإكثار من انجاب الأولاد، أو رغبة منها فى جلب السعادة إلى اسرتها لن تنال من كل ذلك إلا

اللوم والعزلة سواء كان إنجابها ذكراً أو أنثى فالحال سواء، وإن كان إنجابها للذكر سيخفف عنها نوعاً ما، بل إن مفسري العهد القديم عندما تعرضوا للنص الذي يتحدث عن هذا الاختلاف، أثبتوا عدم وجود سبب آخر للتفرقة بين ولادة الذكر وولادة الأنثى من حيث مدة التنجيس، مشيرين إلى أن السبب وراء هذه التفرقة لا بد وأنه السبب نفسه الذى ذكروه عند حديثهم عن نجاسة الوالدة، وقد أشرت إلى ذلك فيما مضى، وخلاصته أن على الأم أن تتطهر بعد الولادة بسبب السقوط واللعنة التي وقعت على المرأة بعد السقوط مباشرة، واختلاف مدة النجاسة بحسب جنس الوليد يرجع أيضاً إلى اللعنة، هذا ما قرره مفسرو العهد القديم، فقد جاء على لسانهم:

"فى حالة ولادة طفل، ذكر تستمر نجاسة الأم، فيما يختص بالبيت، إلى اليوم الثامن، وعندما يجرى طقس الختان على ابنها [تك ٢١ : ٤] ثم تبقى أيضاً نجسة، فيما يختص بالواجبات الدينية العامة، مدة ثلاثة وثلاثين يوماً أخري، وفي حالة ولادة أنثى تضاعف المدتن، ولم يذكر سبب ذلك. وبما أن هذه المدة توصف بأنها أيام نجاسة فربما كان التفسير راجعاً إلى الاعتبارات التي ذكرناها آنفاً. وليس من المرجح أن يكون السبب جسدياً أو بيولوجياً، وفي آخر مدة الأربعين أوالثمانين يوما كان عليها أن تقدم خروفا حوليا كمحرقة وطيراً كذبيحة خطية أو طيرين إذ لم تنل يدها كفاية لخروف"(١)

الأثر الأدبى :

وإذا أردنا الانتقال إلى الحديث عن الجزء الثاني من لعنة حواء، نجد أن

---

(١) تفسير الكتاب المقدس، ج١ ، ص٣٠١ .

التشريعات اليهودية حافلة بأمثلة السيادة المطلقة للرجل على المرأة ذلك لتأثر اليهود بإيمانهم بلعنة الخطيئة التي تحدثت عن هذه السيادة الأبدية، فقد جاء فيها **(وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك)**[١]

ولكثرة هذه التشريعات وتنوعها سأكتفى في حديثي هنا عن تشريعين ذوي دلاله واضحة على تأثر أصحابها بإيمانهم بالقصة موضوع البحث، وهي:

١- الزواج .

٢- الملكية الخاصة .

١- الزواج :

تميل المرأة فطرياً إلى فكرة الزواج عندما تبلغ سنّاً معينة تؤهلها لتحمل مسئولية زوج وأطفال، بل إن الزواج حلمها الوردي الذي تنتظره لتحقيق آمالها في تكوين أسرة سعيدة مترابطة يجمع بين أفرادها الحب والوئام ويرفرف على أجوائها الأمان والاستقرار.

ولكن حال المرأة اليهودية يختلف ولا شك، فالمرأة اليهودية عندما تقبل على الزواج لا بد أن يراودها وبمرارة ويأس الجحيم الذى ستؤول إليه، فشريعتها قد فرضت عليها بسبب لعنة أمها حواء ألواناً من العذاب لا يمكن لرجل تحمله فكيف بالمرأة، فهى ما أن تتزوج حتى تفقد ما بقي لديها من كرامة، وتتحول إلى مجرد أمة مملوكة لهذا الزوج، فلا يحق لها الاعتراض أو الامتناع عن تنفيذ أوامر زوجها، ولو كانت هذه الأوامر معقولة لوجب الصمت، فالمرأة بطبيعة الحال تحب أن تكون مرءوسة من زوجها نوعا ما، أما حالها في أحكام الزواج عند اليهود، فقد فاق ما يمكن أن تتحمله كإنسانة،

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الفقرة : ١٦.

فالمهر الذي يعتبر ركناً من أركان الزواج في الديانة اليهودية[١] جعل من المرأة سلعة معروضة للبيع يشتريها الرجل من أبيها لتصبح زوجة بل أمة له لا تستطيع الخلاص منه أبداً. وعليها كزوجة القيام بجميع أعمال المنزل التي تفوق طاقتها[٢] كما حدد ذلك "Arthur Hertzberg" عند حديثه عن دور المرأة في أعمال المنزل، فقال:

"إن على المرأة أن تطحن الحبوب، وتخبز، وتغسل الملابس، وتطبخ، وترضع ولدها، وتنظف البيت وتنظمه، وتغزل وتخيط الثياب، ولكنها إن أحضرت معها خادماً تابعاً لها من بيت أبيها فإنها تعفى من الطحن والخبز والغسيل، وإن أحضرت خادمين معها أعفيت من الطبخ والرضاعة، وإن أحضرت ثلاثة فإنها تعفى من تنظيف البيت وتنظيمه، واذا أحضرت أربعة فإنها تعفي من كل الأعمال، ولكن ربي Eliezer، يقول إن الزوجة إذا أحضرت معها مائة خادم، فإنها لا تعفى من الغزل، ولزوجها أن يرغمها عليه، لأن البطالة تقود إلى الفساد"[٣]

إن المرأة اليهودية المتزوجة فى مقياس بني إسرائيل، خادمة مجدة مثابرة لا تكل ولا تمل تؤدي الأعمال المنزلية التي يتطلب أداؤها وجود أكثر

---

(١) راجع : الدكتور محمود عبد السميع شعلان، نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام ج١، ص١٣٧.

(٢) راجع : الدكتور أحمد شلبى، اليهودية، ص٣٠٩ – ٣١٠، نقلاً عن Judaism. والدكتور محمود عبد السميع شعلان، نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام ج٢،ص٤٧.

(٣) الدكتور أحمد شلبي، اليهودية، ص٣٠٩.

من أربع خادمـات، فهي تقوم بالإضافة الى عملهن بالغزل الذي لا يسقط عنها،

ولو كان لديها عدد كبير منهم، لأن البطالة -كما شرعوا- تقود إلى الفساد، بالاضافة إلى أن الزوج في شريعة بني إسرائيل غير مكلف مطلقاً مهما كان ثراؤه بإحضار الخدم لزوجته، وعليها إذا رغبت في ذلك اللجوء لوالدها ليتكفل هذا الأخير بتكاليفهم، ومن الغريب في هذه القضية أن أسفار العهد القديم عندما تصور صفات المرأة الفاضلة تركز بشكل واضح على عنصر الخدمة، جاء في سفر الأمثال **(إمرأة فاضلة من يجدها لأن ثمنها يفوق اللآلئ. بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج إلى غنيمة. تصنع له خيراً لاشراً كل أيام حياتها، تطلب صوفاً وكتاناً وتشتغل بيدين راضيتين. هي كسفن التاجر. تجلب طعامها من بعيد. وتقوم إذ الليل بعّد وتعطي أكلا لأهل بيتها وفريضة لفتياتها. تتأمل حقلاً فتأخذه وبثمر يديها تغرس كرماً. تنطق حقوَيها بالقوة وتشدد ذراعيها. تشعر أن تجارتها جيدة سراجها لاينطفي في الليل. تمد يديها إلى المغزل وتمسك كفاها بالفلكة. تبسط كفيها للفقير وتمد يديها إلى المسكين. لاتخشى على بيتها من الثلج لأن كل أهل بيتها لابسون حللاً. تعمل لنفسها موشيات. لبسها بوص وأرجوان. زوجها معروف في الأبواب حين يجلس بين مشايخ الأرض، تصنع قمصاناً وتبيعها وتعرض مناطق على الكنعاني. العز والبهاء لباسها وتضحك على الزمن الآتي.)**[١].

فالمرأة كما يذكر النص سلعة تباع وتشترى، والمرأة الفاضلة بسبب فضلها يرتفع سعرها، مقياس هذا الفضل ينحصر في عملها المتواصل ليل نهار في خدمة زوجها وأسرتها فهي تعد الطعام، تفلح الأرض وتزرعها، تخيط ثياب أسرتها، وحين يأتي المساء لاتركن للراحه بل تكمل مابقي من

---

(١) الإصحاح الحادي والثلاثون، الفقرات: ١٠-٢٥.

عملها، الذي لاينتهي ولو على ضوء خافت. أما زوجها فيكفيه فخره بزوجته الفاضلة في مجالس شيوخ بني إسرائيل، التي يتعدى عملها كل ذاك ليصل إلى العمل لكسب رزقه ورزق عياله. فهي تصنع الثياب وتعرضها للبيع، بل تذهب إلى الكنعانيين تعرض بضاعتها غير آبهة بما قد يصيبها على أيدي أعدائها، في وقت يجلس ذلك الزوج المفخم ذاكراً إياها بالخير مفتخرا بها لايشغله شاغل في هذه الحياة، بل إن الزوجة الفاضلة عند بني إسرائيل، التي يصيبها كل ذلك تستقبل أيامها المقبلة ببشر وضحك غير مكترثة بما تحمله معها من هلاك وشقاء يفوق أيامها الماضية إذ أخذنا في الحسبان التغيرات التي تجد في كيان الأسرة، والتي تؤدي الى زيادة متطلبات أفرادها مع مرور الوقت.

وليس لإبنة حواء إذا عجزت عن تحمل هذه الأعباء الإنفصال عن زوجها، فالزواج في مفهوم الديانات اليهودية:

"قيد تكبل به المرأة لايفكه سوى الرجل، فالمرأة التي دفع فيها المهر كالعبد الذي أشتري بالمال، كلاهما يعتقه سيده متى شاء بغير حساب بل إن نصوص التلمود تقرن بصريح العبارة طلاق المرأة بعتق العبد، فكلاهما جزآن لايحتاجان سوى لإرادة منفردة هي مشيئة السيد"(١).

٢- الملكية الخاصة:

تنظر اليهودية بكسير من التشكك في القدرة العقلية للمرأة، ومن ثم تتجه إلى الحجر على تصرفاتها المادية، أو على الأقل إلى تضييق دائرة هذه

---

(١) دكتور محمود عبد السميع شعلان،نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام ج٢ص٤٧١، نقلاً عن الدكتور ثروت أنيس الأسيوطي، نظام الأسرة بين الإقتصاد والدين في المجتمعات البدائية. بنو إسرائيل، ص٢٥٨-٢٥٩.

التصرفات مما يتاح لها من الملكية الخاصة التي تقل كثيرا عن ملكية الرجل في ضوء الأحكام الشرعية، فهي قبل أن تبلغ الثانية عشرة تحرم من الميراث وعلى الورثة القيام برعايتها إلى أن تبلغ هذه السن. أما إذا كانت أكبر من ذلك فلها سهم ولأخيها سهمان على أن يكون نصيب أخيها البكر أربعة أسهم.

إن تحديد اليهود هذه السن ليتمكن جنس حواء من الحصول على الميراث لم يكن إعتباطاً، فهذه السن هي السن المحددة في شريعتهم لزواج البنت، ومن ثم فهناك إحتمال قوي لإنتقال ميراثها تلقائيا في سن الثانية عشرة إذا تم زواجها في هذا السن، وعلى هذا فإن ميراثها يخرج من ملكية أهلها إلى ملكية زوجها.

وقد تعرض الدكتور أحمد شلبي لهذا الموضوع قائلاً:

"المرأة المتزوجة كالقاصر والصبي المجنون، لايجوز لها البيع ولاالشراء وينص الفكر اليهودي على أن جميع ماللمرأة ملك لزوجها، وليس لها سوى مافرض لها من مؤخر صداق في عقد الزواج تطالب به بعد موته أو عند الطلاق منه، وعلى هذا فكل مادخلت به من مال، وكل ماتلتقطه وتكسبه من سعي وعمل، وكل مايهدي إليها في عرسها، ملك حلال لزوجها، يتصرف فيه كيف يشاء بدون معارض ولا منازع.

وبالنسبة لكثرة ماشوهد من وقوع الشقاق والفرقه بين الأزواج، فقد إستقر رأي السادة الأرباب على وجوب الأخذ بمشروع (وقف الزوجية) ومعنى وقف الزوجية أن توقف أموال الزوجة، ويصير الزوج قيماً عليها. ويستغلها، دون أن يبيعها أو يرهنها، فتصبح الزوجة بذلك مالكة لرقبة الأموال، والزوج مالكاً لمنفعته، فإذا حصلت الفرقة عادت الثروة

للزوجة")(١).

فالمرأة في عرف اليهود في حكم القاصر دائما، سواء كانت تحت سن الثانية عشرة أو تعدت هذه السن، فهي في كلتا الحالتين خاضعة خضوعا تاما لسيادة الرجل من الناحية المعنوية والمادية، وعليها أن تتقبل قدرها ولعنة أمها حواء التي انتقلت إليها بسبب الخطيئة الأولى دون أدنى اعتراض أو تذمر.

ثانيا: الشرائع المشتركة:

ويتمثل القسم الثالث في الأحكام المتعلقة بالموت، فقد كان لإيمان اليهود بالخطيئة الأولى أثر واضح على جوهرها، وهي من الأهمية بمكان بحيث لايمكن تجاهلها أو التغاضي عنها. يمكن لنا أن نعبر عن هذا القسم بلعنة الموت، هذه اللعنة أصدرها ياهو - كما يحكي سفر التكوين - ضد آدم بعد المعصية، ومنه انتقلت الى عامة البشر، فاليهود يعتقدون أن الموت آخر مرحلة من مراحل الحياة الإنسانية، فقد جاء في سفر التكوين عند الحديث عن الخطيئة الأولى: **(حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب والى التراب تعود)**(٢)، لذا أصبح الموت مدار قلقهم وخوفهم مما دفعهم إلى إعتبار الجثة نجسة تنقل النجاسة بطريقة عجيبة، كما فرضوا لإزالة هذه النجاسة المفتعلة شروطا قاسية.

وردت هذه النجاسة بتفاصيلها المعقدة في الإصحاح التاسع عشر من سفر العدد، والذي جاء فيه **(وكلم الرب موسى وهارون قائلاً هذه فريضة الشريعة التي أمر بها الرب قائلاً. كلم بني إسرائيل أن يأخذوا إليك بقرة حمراء صحيحة لاعيب فيها ولم يعل عليها نيرٌ فتعطونها لالعازار الكاهن فتخرج إلى خارج المحلة وتذبح قدامه. ويأخذ العازار الكاهن من دمها**

---

(١) اليهودية، ص٣٠٩.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح الثالث. الفقرة: ١٩.

بأصبعه وينضح من دمها إلى جهة وجه خيمة الاجتماع سبع مرات. وتحرق البقرة أمام عينيه يحرق جلدها ولحمها ودمها مع فرثها. ويأخذ الكاهن خشب أرز وزوفا وفرمزا ويطرحهن في وسط حريق البقرة ثم يغسل الكاهن ثيابه ويرحض جسده بماء وبعد ذلك يدخل المحلة ويكون الكاهن نجساً إلى المساء. والذي أحرقها يغسل ثيابه بماء ويرحض جسده بماء ويكون نجساً إلى المساء. ويجمع رجل طاهر رماد البقرة ويضعه خارج المحلة في مكان طاهر فتكون لجماعة بني إسرائيل في حفظ ماء نجاسة. إنها ذبيحة خطية والذي جمع رماد البقرة يغسل ثيابه ويكون نجساً إلى المساء. فتكون لبني إسرائيل وللغريب النازل في وسطهم فريضة دهرية.

من مس ميتاً ميتة إنسان مايكون نجساً سبعة أيام. يتطهر به في اليوم الثالث وفي اليوم السابع يكون طاهراً.

وإن لم يتطهر في اليوم الثالث ففي اليوم السابع لايكون طاهراً كل من مس ميتاً ميتة إنسان قد مات ولم يتطهر ينجس مسكن الرب. فتقطع تلك النفس من إسرائيل. لأن ماء النجاسة لم يرُش عليها تكون نجسة. نجاستها لم تزل فيها.

هذه هي الشريعة. إذا مات إنسان في خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان في الخيمة يكون نجساً سبعة أيام. وكل إناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فإنه نجسٌ. وكل من مس على وجهه الصحراء قتيلاً بالسيف أو ميتاً أو عظم إنسان أو قبراً يكون نجساً سبعة أيام. فيأخذون للنجس من غبار حريق ذبيحة الخطية ويجعل عليه ماءً حياً في إناء. ويأخذ رجلٌ زوفا ويغمسها في الماء وينضحه على الخيمة وعلى جميع الأمتعة وعلى الأنفس الذين كانوا هناك وعلى الذي مس العظم أو القتيل أو الميت أو القبر. ينضح الطاهر على النجس في اليوم الثالث واليوم السابع. ويطهره في اليوم السابع فيغسل ثيابه ويرحض بماء فيكون طاهراً في المساء.

أما الإنسان الذي يتنجس ولايتطهر فتباد تلك النفس من بين الجماعة لأنه نجس لسبعة مقدس الرب. ماءً النجاسة لم يرُش عليه. انه نجس. فتكون لهم فريضة دهرية. والذي رش ماء النجاسة يغسل ثيابه والذي مس ماءَ النجاسة يكون نجساً إلى المساء. وكل مامسه النجس يتنجس والنفس التي تمس تكون نجسة إلى المساء).

ونستخلص مما سبق أن اليهود يعتبرون من لامس جثة إنسان نجس لسبعة أيام عليه أن يتطهر في اليوم الثالث، أما إذا امتنع فيباد أو يقطع من إسرائيل لأنه يتسبب بنجاسته في تنجيس بيت الرب، ولانعلم كيف يكون حال من لامس جثة أمه أو أبيه أو زوجته أو ابنه. ولصعوبة الموقف نسي التطهر في اليوم الثالث للوفاة بسبب حزنه لفراق الأحبة لابسبب إهماله تطبيق هذه الشريعة، حال هذا الإنسان كحال غيره يبـ ويقطع من اسرائيل، وزيادة على ماسبق تجدهم يقررون نجاسة الخيمة التي توضع فيها الجثة ومن دخلها ومن فيها بل حكموا بنجاسة ما فيه من أوان تركت مفتوحه أو كانت عليها أغطية غير محكمة الإغلاق، أما إذا كان أحدهم سائراً في الصحراء ولامس عن طريق الخطأ جثة أو عظم إنسان أو حتى قبراً يصبح نجساً ولمدة سبعة أيام.

أما شروطهم لتحقيق الطهارة من نجاسة الموت فشاقة تصل إلى حد التعجيز إذ لايمكنهم الحصول عليها دون رماد البقرة الحمراء.(١)، ولانعرف كيف يكون التطهر من مس الميت بتراب ميت المُحَرَقة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى البقرة نفسها كانت نجسة، وقد تنجس ذابحها ومحرقها، فكيف تحولت البقرة النجسة، إلى وسيلة لتطهير النجاسة، وأخيراً كيف تمنح البقرة الحمراء كل هذه البركات التي يحرم منها الإنسان الميت.

---

(١) راجع: George Bachanan Gray, Sacrifice in the old Testaments, P.59.

ولنا أن نتساءل أيضا إذا عدم البقر الأحمر عندهم، هل يعني ذلك الحكم عليهم بالإبادة. ألم يذكر النص أن الذي لايتطهر برمادها يقطع ويباد من إسرائيل لأنه ينجس بيت الرب، لابد أن اليهود المتدينين يحرصون كل الحرص على إمتلاك عدد لايستهان به من البقر الأحمر. خشية أن يلامس أحدهم جسة دون قصد منه.

ومن خلال العرض السابق أستطيع أن أقرر أن هذه التشريعات بتفاصيلها المعقدة تشير وبوضوح إلى إيمان اليهود الثابت بنص الخطيئة الأولى الذي دفعهم إلى وضع تشريعات معينة تتفق مع إيمانهم بها، فيها مخالفة لفطرة الإنسان وسنن الحياة.

الباب الثاني

المسيحية والخطيئة الأولى

الفصل الأول : العقائد المسيحية المرتبطة بالخطيئة الأولى.

الفصل الثاني: الإثم الفردي والغفران في تصور الكنيسة.

تمهيـد

ورث النصارى عقيدة الخطيئة ضمن ماورثوه من عقائد العهد القديم وشرائعه، ولكن يبدو أن القلق الذي لابس هذه العقيدة قد سرى إلى عقول أحبار المسيحية، حيث اكتشفوا أن هذه العقيدة التي تأكدت من خلال نصوص العهد القديم لاتستند إلى أساس عقلي مقبول، وذلك في عصر بدأ العقل فيه يلعب دورا مهما في تقرير العقائد، ومن ثم بدأ علماء المسيحية يتلمسون مبررات القبول لهذه العقيدة التي أثقلت كاهل الإنسانية قرونا طوالا حيث يشعر أبناء الجنس البشري أنهم محاصرون بهذه الخطيئة القدرية الموروثة التي لايد لهم فيها ولا مهرب لهم منها.

وقد انتهت جهود علماء المسيحية إلى إيجاد المخرج المنشود للإنسانية من قبضة الخطيئة الأولى بما قرروه من أن قتل المسيح وصلبه كان الفداء من هذه الخطيئة، وبالإضافة إلى ذلك فقد كان هذا المخرج يشكل هدفا آخر من أهداف هؤلاء العلماء، وهو تحقيق عالمية المسيحية التي ذهب نبيها فداء للناس جميعا على اختلاف أجناسهم وأديانهم وعصورهم.

ولكن إذا كانت الخطيئة الأولى على هذا النحو من الفداحة، وإذا كان أثرها بهذا المستوى من العموم، فمن المنطقي أن لاتكون شخصية الفادي شخصية عادية، بل ولا يكفي أن يكون الفادي مجرد نبي، فبقدر الخطيئة يكون الفداء، وبقدر الفداء تكون مكانة الفادي، ومن هنا ارتفع علماء النصارى بشخص المسيح عن منزلته الحقيقية إلى القول ببنوته لله عز وجل، وهكذا ظهر أثر الإيمان بالخطيئة الأولى واضحاً على ثلاث من العقائد الأساسية في المسيحية وهي:

١- بنوة المسيح لله.

٢- الفـداء.

٣- عالمية المسيحية.

ثم لم يلبث علماء المسيحية أن اكتشفوا ضرورة الإبقاء على مبدأ الإثم الفردي الذي لاتشمله عقيدة الفداء العام، وحاولوا مع ذلك تحديد مايتعلق به من وسائل التكفير.

وسأتناول هذه القضايا بمزيد من التفصيل، وبما يؤكد علاقتها القوية مع الإيمان بالخطيئة الأولى.

الفصل الأول

العقائد المسيحية المرتبطة بالخطيئة الأولى

المبحث الأول: بنوة المسيح لله.

المبحث الثاني: الفـــــــداء.

المبحث الثالث: عالمية المسيحية.

المبحث الأول

بنوة المسيح لله

يمكّن الإعتقاد في بنوة المسيح ركيزة أساسية في الديانة المسيحية التي تسعى إلى ترسيخ القول أن عيسى، عليه السلام، ابن الله بنوة حقيقية تتطلب من معتنقي المسيحية الإيمان بها إيماناً تاماً.

ونستطيع الوقوف على جوانب من مفهوم هذه القضية من خلال استعراض بعض أقوال علماء الديانة المسيحية مثل يوحنا الدمشقي الذي يقول:" نعترف بالمسيح وحده أنه ابن الله بعد التأنّس أيضاً وأنه هو هو نفسه ابن الإنسان. مسيحٌ واحد وربٌ واحد، وحده الإبن الوحيد وكلمة الله يسوع ربنا..."(١).

وكذلك الأب منير خوام الذي يوضح أن المسيح نفسه قال:" انه هو المسيح، والمخلص، وابن الإنسان السابق للوجود والأخروي... وابن الله في المعنى الحقيقي للكلمة"(٢)، واعتماداً على المصادر المسيحية فإن هذه العقيدة غدت جزءاً من المسيحية في القرن الثاني الميلادي كما أكد على ذلك شارل جنيبير عندما ذكر أنه: "منذ القرن الثاني أصبح من المبادئ المعتمدة: أن عيسى هو ابن الله، ينتسب إليه نسبة مباشرة وان كانت من نوع خاص، ثم إنه أيضا هو الله"(٣).

---

(١) المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، عربه الارشمندريت أدريانوس شكور، ص١٦٤.

(٢) المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية، ص٢٥٠.

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود، ص١٥٧.

وقد تأصل هذا الاعتقاد عقب انعقاد مجمع[١] نيقية تحت رعاية القيصر قسطنطين إمبراطور الدولة الرومانية "الذي قيل إنه كان وثنيا أصلا وأزمع الدخول في الديانة النصرانية، وفرضها على الشعوب المغلوبة على أمرها في تلك الدولة، فرأى ألا تتعارض عقيدة النصارنية المزمع تطبيقها مع أصول معتقداته الوثنية[٢].

وقد نتج عن هذا المجمع قانون أطلق عليه قانون الإيمان، والتسبيحة وهو قانون لا يختلف حوله المؤرخون، وكذا علماء الأديان على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم.[٣]. ويتضمن هذا القانون نصوصا رسخت هذه العقيدة، نقتبس بعضها فيما يأتي:

---

(١) المجمع: المفهوم: المجامع هي اجتماعات تتألف قبل كل شئ من الأساقفة... لأخذ بعض القرارات وتطبيقها.

في المجامع المحليه... كان الأساقفة يمثلون كنائسهم المحلية. أما الاجتماع الذي يدعو إليه ويديره ويثبته البابا ويجمع ممثلين عن الكنيسة كلها يدعى جمعا مسكونيا. عندما يتحاورون ويقررون مع البابا، وتحت إدارته، يمارسون، حسب التعليم الكاثوليكي والحق القانوني... سلطة الكنيسة العليا، وعندما يتبنى المجمع تحديدا رسمياً، فان لهم إذ ذاك العصمة في مادة الإيمان، معجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة المجمع.

(٢) المستشار محمد عزت الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان – حقائق ووثائق –، ص١٤٨.

(٣) القس إلياس مقار، إيماني، ص٦٥-٦٦. راجع أيضا: الدكتور علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص١٢٧-١٢٨. والدكتور أحمد شلبي، المسيحية ص١٤٤-١٤٥.، والدكتور داود على الفاضلي، أصول الديانة المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، ص٢٣٧.

"تؤمن بإله واحد أب ضابط الكل، خالق كل الأشياء. مايرى ومالا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح. ابن الله. المولود من الأب، المولود الوحيد، أي من جوهر الآب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود وغير مخلوق، مساو للآب في الجوهر الذي به كان كل شئ في السماء وعلى الأرض... وأما الذين يقولون إنه كان زمان ولم يوجد فيه، وإنه لم يكن له وجود قبل أن يولد، وأنه خلق من العدم، أو إنه من مادة وجوهر آخر. أو أن ابن الله مخلوق أو أنه قابل للتغير أو متغير، فهم ملعونون في الكنيسة الجامعة الرسولية"(١).

ونتيجة لما ورد في هذا القانون أصبح عيسى، عليه السلام، في اعتقاد النصارى ابن الله يتساوى معه في الجوهر، وبالتالي فإن عدم الإيمان بهذا المعتقد -عندهم- يؤدي إلى الكفر.

أما ركيزة الأخذ بهذا القانون عند النصارى فيوضحها القس إلياس مقار الذي يرى أنها:

---

(١) القس إلياس مقار، إيماني، ص٦٥-٦٦. راجع أيضاً: محمد عبد الله بن الترجمان الميروقي، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، دراسة وتعليق عمر وفيق الداعوق، ص١٧٥. وأبا الفضل المالكي المسعودي، الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل، ص٥٦. والدكتور داود علي الفاضلي، أصول الديانة المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، ص٢٣٧. والدكتور أحمد شلبي، المسيحية، ص١٤٤. والدكتور علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص١٢٧-١٢٨. والشيخ محمد أبو زهره. محاضرات في النصرانية، ص١٥٤. والشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمر، كتاب منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، ص٢٤-٢٥.

"تتمشى في رحاب الكتاب المقدس من مطلعه إلى نهايته ومع أن الكتاب لم يضع لها الصورة اللاهوتية المحددة التي انتهت إليها الأجيال. إلا أنه رسم الخطوط الواضحة الصريحة الأكيدة التي تكونت منها هذه الصورة"(١).

مفهوم البنوة ودلالتها في العهد الجديد

إن من المهم لمن يرغب في تتبع أصول الديانة المسيحية الإستعانة بالمصادر والمراجع، التي يرى فيها معتنقو المسيحية الركيزة الأساسية التي يمكن للمسيحي اعتبارها من الأسس التي أدت إلى اتخاذ هذا القانون بشكل عام، أو إلى فرض عقيدة بنوة المسيح لله بشكل خاص على أتباع الديانة المسيحية.

وعند الرجوع إلى تلك المصادر نجد الإشارات فيها إلى هذه العقيدة قليلة جداً، مما يتعارض مع الأهمية التي يوليها النصارى لهذه العقيدة، وسأعرض فيما يأتي أهم النصوص التي يبدو من ظاهرها تقرير هذه البنوة.

١- فمن ذلك ماجاء في إنجيل متى الإصحاح السابع عشر منه، على لسان الإله (هذا هو ابني الحبيب الذي سررت به. له اسمعوا.)(٢).

٢- وما ورد في إنجيل متى عند الحديث عن محاكمة عيسى، عليه السلام، على يد رئيس الكهنة، والذي وجه إليه استفساراً جاء فيه: (**أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله. قال له يسوع أنت قلت وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين**

---

(١) إيماني، ص٦٠. راجع أيضاً: الدكتور أحمد شلبي، المسيحية، ص١٢٦.

(٢) الفقرة ٥.

القوة وآتياً على سحاب السماء)[١].

٣- ماجاء في إنجيل لوقا عن الأحداث التي سبقت ولادة المسيح، عليه السلام، بقوله **(فأجاب الملاك قال لها -أي لمريم- الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك أيضاً القدوس المولود منك يدعي ابن الله.)**[٢].

٤- وكذلك النص الذي ورد في إنجيل يوحنا الإصحاح الخامس منه وهو **(من لايكرم الإبن لايكرم الأب الذي أرسله. الحق الحق أقول لكم من سمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية.)**[٣].

٥- كما ورد في الإنجيل نفسه (أنا والأب واحد)[٤]، هذه جملة من النصوص الإنجيلية التي بنى عليها النصارى اعتقادهم ببنوة المسيح لله بنوة حقيقية، وقد حاول شراح الأناجيل تأكيد هذه العقيدة بالتعليق على مضمونها محاولة منهم التوفيق بينها وبين قانون الإيمان، ومن ذلك ماقاله بعضهم تفسيرا للبنوة المشار إليها في النصوص السابقة وأمثالها أن "ابن الله: لقب من ألقاب المسيح... يدل على شرف طبيعته ووظيفته... وقد تكررت هذه الشهادة لبنوة المسيح"[٥]، إن تكرار إستخدام الأناجيل لهذا التعبير يدل من وجهة نظر المفسر على شرف طبيعة المسيح وألوهيته فهو إله من إله.

---

(١) الإصحاح السادس والعشرون، الفقرتان: ٦٣و٦٤. راجع أيضا: إنجيل مرقس، الإصحاح الرابع عشر، الفقرتان: ٦١و٦٢. وإنجيل لوقا، الإصحاح الثاني والعشرون، الفقرات ٦٧-٧٠.

(٢) الإصحاح الأول: الفقرة: ٣٥.

(٣) الفقرتان: ٢٣و٢٤.

(٤) الإصحاح العاشر، الفقرة: ٣٠.

(٥) تفسير العهد الجديد، ص٦-٧.

دحض عقيدة البنوة:

وعقب عرض ماجاء من أقوال وآراء حول عقيدة البنوة في المصادر المسيحية، ستكون المحاولة هنا التعرف على دلالات البنوة من وجهة نظر أخرى للنصرانية، ففي الكتاب المقدس بعهديه نجد أن لفظ "البنوة لله" استخدم بمفهوم عام فكل تقي وبر يطلق عليه عند ذلك "ابن الله"(١)، وتقرر دائرة المعارف الكتابية أن اللقب ابن الله يحمل عدة مفاهيم، فهو:

١- يطلق على الملائكة كما جاء في سفر أيوب منه **(جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب)** ١:٦. وسموا بذلك لأنهم خلائق من صنع يدي الله، أو لأنهم كائنات روحية قريبة الشبه بالله الذي هو الروح.

٢- فأطلق على الأمة اليهودية، حيث يقول الرب لفرعون في سفر الخروج. **(إسرائيل** [كجماعة بني] **ابني البكر)** خر٢٢:٤، والسبب هو أن إسرائيل كان موضع اختيار الله الذي هو الروح.

٣- وأطلق على ملوك اسرائيل كممثلين للأمة المختارة، فيقول الرب عن سليمان: **(وأنا أكون له أبا ويكون لي ابنا)** ٢ص٧:١٤.

٤- كما أطلق اللقب في العهد الجديد على جميع القديسين **(بما أنكم أبناء)** غل ٤:٦ **(أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله. أي المؤمنون باسمه)** يو١:١٢ .(٢).

---

(١) رلجع: محمد تقي الدين الهلالي، البراهين الإنجيلية على أن عيسى، عليه السلام. داخل في العبودية ولاحظ له في الألوهية. ص٦.

(٢) مادة ابن الله. بتصرف بسيط. راجع أيضا: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج٣ ص١٩٦-١٩٩. والدكتور أحمد حجازي السقا، أقانيم النصارى. ص٢٣. والدكتور محمد تقي الدين الهلالي، البراهين الإنيجلية على أن عيسى، عليه السلام، داخل فى العبودية ولاحظ له في الألوهية، ص٦.

ونلحظ مما سبق أن استخدام اللفظ كما في الكتاب المقدس كان استخداماً مجازياً لايعني البنوة بمفهومها البشري، غير أن مفسري النصوص من النصارى هم الذين حوروا معناه المجازي إلى معنى حقيقي فقرروا بنوة المسيح لله.

ومن هذا المنطلق بالإمكان القول: إن النصوص الإنجيلية السابقة وأمثالها والتي اعتمد النصارى عليها في تثبيت اعتقادهم ببنوة المسيح لله فيها نظر، وبالإضافة إلى احتوائها على معاني تصريفها إلى المعنى المجازي لتنفي بذلك فكرة بنوته الحقيقية، وتؤكد بشريته وهو ماسيظهر فيما يلي:

النص الأول الذي يعبر فيه الإله عن سروره بابنه، فيقول فيه **(له اسمعوا)** فلو كان المسيح ابناً لله مساوياً له في الجوهر، إله من إله، لكان الأجدر أن يقول عند حديثه إلى عباده عن إبنه الإله (اسجدوا لله) أو (اعبدوه) ولو في موضع واحد في الأناجيل، وهو مالم يرد مطلقا، فأمره سبحانه لخلقه بالإستماع إلى عيسى بدل الأمر بعبادته، يعد تقريراً لنبوته وليس بنوته، فالعقل السليم يفرق بين واجب العباد تجاه الله الخالق المدبر، وبين واجبه تجاه أنبياءهم، فهو في الحالة الأولى عليهم أن يوجهوا العبادة والتقديس لخالقهم، أما في الحالة الثانية فعليهم الإستماع لأنبيائهم وتنفيذ شرع الله الذي يوحيه إليهم ليبلغوه للناس، وعلى هذا فالبنوة المشار إليها في النص بنوة مجازية، القصد منها تكريم عيسى، عليه السلام، وتعظيم شأنه، وهو استخدام ليس بغريب في الكتاب المقدس كما ظهر سابقاً.

أما النص الثاني فهو الذي يتحدث عن محاكمة عيسى[١]، عليه السلام،

(١) أقر أني هنا لاأضع نفسي موضع الإنكار لهذه المحاكمة أو تقريرها، إذ أن غايتي مناقشة المسيحين المؤمنين بهذا النص مناقشة موضوعية دون تعصب، ولو كان تعصب للحق الذي لابد أن أفك لجامه في موضعه من هذه الدراسة -إن شاء الله- فغرض هذه المناقشة توضيح الحقائق التي تكمن خلف عبارات كتابهم المقدس

فإننا نجد فيه استفسار رئيس الكهنة من عيسى عن حقيقة كونه "عليه السلام" ابن الله، فأجابه المسيح أنت قلت، إن قراءة النص من قبل غير متخصص غير ملم بالاسلوب المستخدم في صياغة الكتاب المقدس، سوف يدفع بصاحبه إلى الإعتقاد أن البنوة المقصودة فيه بنوة حقيقية. ولكن الأمر يختلف عند الباحث الذي يتحرر الحقيقة، الذي يجب عليه أن يتذكر أن رئيس الكهنة هذا يعد قمم العلم بأسرار اليهودية ومضامينها، وعليه أيضا أن يتذكر أن الطرف الثاني في المحاكمة هو عيسى، عليه السلام، الذي شهد له علماء اليهود بالعلم وقوة الحجة وهو لم يتعدى بعد الثانية عشرة، يدل على ذلك أنه عندما بلغ هذه السن قام مع أسرته بزيارة للقدس في عيد الفصح كعادتهم كل عام، وهناك افتقدته أسرته لتجده بعد ذلك جالسا في الهيكل يحاور المعلمين، ويقيم الحجة عليهم(١).

لقد كان الحوار في تلك المحاكمة بين رجلين معروفين بعلمهما بالكتاب المقدس. ومن الطبيعي أن يستخدما فيه المصطلحات الواردة في هذا الكتاب، فرئيس الكهنة يدرك معنى البنوة المجازية لله، التي تعني قدرا عظيما عنده -سبحانه- واستفساره ذاك كان الغرض منه معرفة حقيقية دعوى عيسى -عليه السلام- فهل يدعي مكانة عظيمة عنده -تعالى- تؤهله للقول بالبنوة المجازية لله، فما كان من عيسى -عليه السلام- إلا أن رد بالإيجاب، ويدعم هذا التفسير في أن البنوة هي مجازية لاحقيقية،مايقرره عيسى -عليه السلام-

---

(١) ورد في إنجيل لوقا، الإصحاح الثاني (ولما كانت له اثنتى عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد، وبعد ماأكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في أورشليم ويوسف وأمه لم يعلما. وإذ ظناه بين الرفقة ذهبا مسيرة يوم وكانا يطلبناه بين الأقرباء والمعارف. ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه. وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالساً في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم. فكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته)، الفقرات:٤٢-٤٧.

عن نفسه في النص السابق حيث يقول: **(وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء)**(١).

والذي يهمنا هنا من هذه الإضافة أنها تتمثل في قوله عن نفسه (ابن الإنسان) لأنها تثبت أن البنوة المعنية هنا بنوة مجازية بدليل أنها جاءت تالية للنص السابق، وكأنما أراد منها منع تفسير تلك البنوة بالمعنى الحقيقي، وليضعها في نطاق التكريم والتعظيم شأنه -عليه السلام- عند الله -سبجانه وتعالى-.

وقد يَردُ علينا بعض علماء الديانة المسيحية بأن في قوله (ابن الإنسان) دلالة على تواضع المسيح وإشارة إلى ناسوته، أو إلى غير ذلك من الأمور التي تبتعد به -عليه السلام- كل البعد عن كونه بشرا رسولا، وهذا البعض أشار إليه قاموس الكتاب المقدس، الذي يبين أمرا طريفا عند حديثه عن هذا اللقب إذ قال "يوجد في الأربعة الأناجيل ثمانية وسبعون مثلا يستخدم فيها يسوع هذه العبارة (ابن الإنسان) عن نفسه."(٢).

وهذا الحصر وإن كان قائما على تكرار الموجود في الأناجيل الأربعة إلا أن كثرة وروده على لسان المسيح،-عليه السلام- وكثرة تردده على ألسنة كتاب الأناجيل، على صغر حجمها مقارنة بالعهد القديم، بل مقارنة ببقية العهد الجديد، يوحي بوجود تناقض في اعتماد هذه العقيدة، إذ كيف يكون عيسى، -عليه السلام- ابن الله، إله من إله -على حسب معتقد النصارى- في حين يعترف علماؤهم بأنه -عليه السلام- كرر على لسانه أنه بشر ابن بشر.

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح السادس والعشرين الفقرة:٦٤. راجع أيضا: إنجيل مرقس الإصحاح الرابع عشر، الفقرة:٦٢.وإنجيل لوقا، الإصحاح الثاني والعشرون، الفقرة :٦٩.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، مادة ابن الإنسان.

وفي محاولة من بعض المصادر لتعليم كثرة هذا الإستخدام جاء أنـــه "ربما استخدم المسيح هذه العبارة كثيراً لأن فيها دلالة على أنه المسيا* وهـي في نفس الوقت تصلح في الإشـارة إلـى حياتـه المتوضعـة علـى الإرض كالإنسان الكامل"(١).

ومن السهل القول إن هذا التعليل ضعيف بـل متهافت، فهل يعقل أن يستخدم المسيح هذا الوصف بهذه الكثرة الغريبة لتقرير تواضعـه، أو الإشـارة إلى كونه المسيا؟ ثم لمـاذا لـم يشر إلـى كونـه المسيا مباشـرة، إذا كـان هـذا هدفهم؟.

والواقع أن أصحاب القاموس لما وجدوا أنفسهم في موقف حرج نتيجة التناقض بين وصف الأناجيل للمسيح -عليه السلام- بأنه "ابن الله"،ثم وصفهـا له بأنه "ابن الإنسان"، وتكـرار هـذا الوصـف كثيرا، مما يتنـاقض مـع إحـدى العقائد الأساسية المشار إليها، حاولوا الخروج برأي توفيقي في هذا التنـاقض، وهم لذلك يذكرون كل مايخطر على بالهم كوجه من وجوه الحل، ولكـن حيـن نفكر قليلاً فيما انتهـوا إليـه نشـعر أن محـاولتهم فـي هـذا السبيل ليسـت علـى المستوى المناسب، فهم مثلا يـرون أن المسيح اسـتخدم عبـارة "ابـن الإنسـان" ليعبر عن حياتـه الكاملـة في الأرض، فإذا رجعنا إلى نـص المحاكمـة الـتي

---

* المسيا أو المسيح، وهي حرفياً تعني الممسوح، أي الذي مسح بزيت مقدس إشـارة إلـى أنه قد أفرز أو خصص، لخدمة الله. وقد أطلق اليهود هذا الإسم، "المسيا" أو "المسيح"، على المخلص الذي كانوا يؤمنون بأن الله سوف يرسله لكي يرد الملك للأمة، ويؤسس ملكوت الله علـى الأرض، والصيغـة العبريـة للإسم "المسـيا" قريبـة جداً مـن الصيغـة العربية له "المسيح" بل إنها شبيهة بها تماما في المعنى، نقل عن الأسقف دافيد بـراون، هل صلب المسيح، نقله إلى العربية جاد المنفلوطي، ص١٢-١٣.

(١) قاموس الكتاب المقدس، مادة ابن الإنسان.

استخدمت فيه هذه العبارة وجدنا إشارة واضحة إلى أنه ابن إنسان، حتى بعد تجاوز الحياة الأرضية، فهو، عليه السلام، يقول -كما ينسب إليه إنجيل متى- **(الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء)**[١].

والذي يظهر لنا أن أصحاب قاموس الكتاب المقدس خطرت لعقولهم كل الاحتمالات حتى البعيد منها حول المراد من استخدامه لهذا الوصف، وبهذه الكيفية، ماعدا مايتبادر إلى ذهن كل مفكر باحث عن الحقيقة، ألا وهو رغبته -عليه السلام- في تقرير نبوته وبنوته المجازية لله، وتثبيت ذلك في عقول أتباعه، فهو لايعدو أن يكون نبياً من المقربين.

وأوردت دائرة المعارف الكتابية عرضا مطولا عن كثرة استخدام ابن الإنسان في الأناجيل، محاولة منها على مايبدو للرد على تساؤل القارئ المسيحي المفكر للعهد الجديد، الذي لاشك أنه سيتوقف كثيرا عند هذا الوصف، ومما جاء في ذلك العرض:

" كان الرب يسوع يحب كثيراً أن يطلق على نفسه هذا اللقب، كما يتضح من الأناجيل، فيذكر في متى أكثر من ثلاثين مرة، ويذكر في مرقص خمس عشرة مرة. وفي لوقا خمسا وعشرين مرة، وفي يوحنا اثنتي عشرة مرة. وفي جميع هذه الحالات كان يسوع هو الذي يطلق على نفسه هذا اللقب، ماعدا في حالة واحدة حين سأله الجمع الواقف على مايقصد بعبارة **(ابن الإنسان)** قائلين: **(من هو هذا ابن الإنسان؟** (يو ١٢: ٣٤)"[٢].

---

(١) الإصحاح السادس والعشرون، الفقرة: ٦٤.

(٢) دائرة المعارف الكتابية، مادة ابن الإنسان.

أما تعليل استخدامه -عليه السلام- هذا التعبير بهذه الكثرة، ومايقصده من وراء ذلك فان دائرة المعارف تذهب إلى القول إنه:

"يبدو لأول وهلة أن هذا اللقب تعبير قوي عن العنصر البشري في شخص ربنا يسوع المسيح، كما أن (ابن الله) يشير إلى العنصر الإلهي. هذا هو الظن الغالب والشائع بين الناس.. "[١].

أما لماذا استخدم المسيح هذا اللقب فتقول:"إن استخدام المسيح للقب (ابن الإنسان) في الإشارة إلى شخصه، يدل على بعض المميزات الهامة في طبيعته كإله كامل وإنسان كامل."[٢].

ومن هذه المميزات قولهم:

"ان لقب (ابن الإنسان) يتضمن أنه (المسيا) ولكنه تجنب إستخدام الأسماء المباشرة للمسيا، وذلك لأن المعاصرين له من اليهود لم يكونوا على استعداد لقبول إعلانه ذلك، ولكنه في كل مراحل خدمته لم يتردد في استخدام لقب (ابن الإنسان) الذي كان يعني عنده الكثير، كما أنه -ولاشك- كان يعني الكثير أيضا لأتباعه المقربين، إلا أنه لم يحمل أي دلالة عن المسيا لعامة الشعب، ويتضح هذا من الحيرة التي أظهرها المستمعون إليه، لسؤالهم: (من هو هذا ابن الإنسان؟) (يو ١٢: ٣٤)"[٣].

---

(١) دائرة المعارف الكتابية، مادة ابن الإنسان.

(٢) المرجع نفسه والمادة نفسها.

(٣) المرجع نفسه والمادة نفسها. راجع أيضا: لجماعة من اللاهوتيين المسيحيين برئاسة عبد الفادي القاهراني. رب المجد ص٣٣١-٣٣٤.

هذا جزء يسير من تعليل دائرة المعارف الكتابية لهذا الإستخدام والذي سأكتفي به لعدم جدوى ذكره كاملا فهو تعليل يدور في الدائرة نفسها ليصل إلى نقطة البدء.

ويلاحظ مما سبق وجود اتفاق واضح بين ماورد في هذه الدائرة وقاموس الكتاب المقدس حول كثرة استخدام المسيح لهذا الوصف. وإن كانت دائرة المعارف الكتابية أشارت إلى أن هذه الكثرة تدل على حبه -عليه السلام- له أما اختلاف الكتابين حول عدد المرات الذي استخدمه فيها، عليه السلام، فأمر لايعنينا هنا،فالمهم هو إقرارهما لهذه الكثرة بحيث لم يكن بالإمكان تجاهلها، مما جعلهما يخصصان للحديث عن أسبابها، وتفسيرها، وتعليلها، قدراً لايستهان به من الجهد والاهتمام محافظة منهما فيما يبدو على المتوارث من العقائد المسيحية التي تتعارض مع هذا الإستخدام.

ولكن الذي يعنينا أيضا من عبارات دائرة المعارف الكتابية، هو خلوها من ايراد جواب عيسى، عليه السلام، للجمع الذي سأله عما يقصد بعبارة "إبن الإنسان". إذ اكتفت بالإشارة إلى السؤال دون الجواب، وحرصا على تقصي الحقيقة رجعت إلى إنجيل يوحنا للوقوف على النص المشار إليه المتعلق بسؤال الجمع لعيسى، عليه السلام، عما يقصده بهذا الوصف، فوجدته كالآتي:

(من هو هذا -ابن الإنسان- فقال لهم يسوع النور معكم زماناً قليلاً بعد. فسيروا مادام لكم النور لئلا يدرككم الظلام. والذي يسير في الظلام لايعلم إلى أين ذهب مادام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور.)[١] .

ويتبين لنا من تكملة النص السبب وراء عدم ذكر دائرة المعارف الكتابية له كاملاً، فقد جاء جواب عيسى -عليه السلام- الى الجمع ليؤكد أنه

---

(١) الإصحاح الثاني عشر، الفقرات: ٣٤:٣٦.

بشر له نهاية فهو يقول: **(النور معكم زمانا قليلاً)** فإن كان معهم الآن إلا أنه لن يكون معهم دائما، وهو بهذا يقرر فناءه وعدم ألوهيته، وبالتالي عدم بنوته بنوة حقيقية لله، وفي هذا رد على قانون الإيمان الذي ورد فيه **(وأما الذين يقولون إنه كان زمان لم يوجد فيه، وإنه لم يكن له وجود قبل أن يولد، وإنه خلق من العدم، أو أنه من مادة أو جوهر آخر، أو إن ابن الله مخلوق، أو إنه قابل للتغيير أو متغير، فهم ملعونون من الكنيسة الجامعة الرسولية)**[١].

أما قوله-عليه السلام- للجمع **(مادام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور)**[٢]. ففيه وصفه -عليه السلام- للمسيحيين المؤمنين بـ (أبناء النور)، ولنا أن نتساءل لم استخدم المسيح -عليه السلام- في حديثه إليهم هذا الوصف؟ فإذا كان هو إلها من جوهر إله، كما يقرر قانون الإيمان والتسبيحة فلماذا لم يشر إلى مكانته عنده كعبيد، كأن يقول مثلا: (لتصيروا عبادي المقربين)-سبحانه وتعالى عما يشركون-بدل قوله:**(لتصيروا أبناء النور)**[٣].

وإذا قيل لنا أن إستخدامه للبنوة هنا جاء بالمعنى المجازي للدلالة على عظم مكانتهم عنده، قلنا نحن نوافقكم في الرأي على أن هذا الاستخدام دل على عظم مكانتهم عنده، ولكن كأتباع متقين لاكعباد، فهم مكرمون عنده لاتباعهم نور الحق الذي جاء به-عليه السلام-من ربه الله ليبلغهم به، ولنا أن نقول أيضا إن إقراركم أن تعظيم الشأن هو المقصود من وراء إستخدام عيسى -عليه السلام- لهذا اللفظ بالمعنى المجازي هنا،يلزمكم بالتالي إقرار استخدامه -عليه السلام- لهذا اللفظ بالمعنى المجازي عند حديثه عن بنوته لله، فغرضه من ذلك الإشارة إلى عظم مكانته -عليه السلام- عنده سبحانه، فهو كما سبق

(١) القس إلياس مقار، إيماني، ص٦٦.

(٢) إنجيل يوحنا، الإصحاح الثاني عشر، الفقرة: ٣٦.

(٣) الإصحاح نفسه.

وأن أشرت لايعدو كونه نبيا من المقربين.

ولاأعتقد أن دائرة المعارف الكتابية لم تذكر النص كاملا لعدم استيعابها المراد، بل إن ذلك كان بسبب رفضها له وتمسكها بمعطيات دينها الذي أقره القساوسة، وفيه أن عيسى ابن الله مساو له في الجوهر، بل من المؤكد أن جواب عيسى -عليه السلام- لو كان إقرارا لهذه الألوهية والبنوة لذكرته دائرة المعارف الكتابية، بل لكتبته بخط عريض، وبما أن جواب عيسى، -عليه السلام- لم يكن مرضياً لهم وهم الذين يؤمنون ببنوته لله بنوة حقيقية، عمد كتاب الدائرة إلى تجاهل مضمونه، وكأنه لايعنيهم في شئ.

أما تعليلهم استخدام عيسى -عليه السلام- له متضمنا أنه "المسيا" فإنهم يرون أنه لم يصرح به لفظاً لأن اليهود لم يكونوا على استعداد لقبول إعلانه، فتعليل ضعيف لأنه يوحي بأنه لم يلجأ إلى ذلك مراعاة لعدم تقبلهم لأن يكون كذلك، وبالتالي أخفى حقيقة كونه "المسيا" مستخدما لفظ "إبن الإنسان" الذي يعنيه ضمنا، في حين نجد القساوسة يذكرون أنه أعلن أنه ابن الله بنوةً حقيقية مساوٍ لله في الجوهر إلهاً من إله -تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا- فهل يعقل أن يكتم كونه "المسيا" مستخدما تعبيرا غامضا مراعاة لليهود، في حين يقرر كما يذكر أكثر علماء الديانة المسيحية بنوته الحقيقية لله ومن ثم الوهيته، فإذا كان اليهود غير مستعدين لسماع أنه "المسيا" الذي بشروا به فهل كانوا على استعداد لسماع أنه "ابن الله" مشارك لله في الألوهية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجدهم قرروا أهمية لفظ "ابن الإنسان" له، عليه السلام، وللمقربين إليه، ومع هذا نجدهم يقولون أنه لفظ لايحمل للشعب أي دلالة على أنه (المسيا)، أفلا يؤكد كل ذلك أن استخدام المسيح لـ "إبن الإنسان" بهذه الكثرة كان الغرض منها إقرار بشريته، عليه السلام، والإشارة إلى أنه نبي لله على الحقيقة.

أعود للرد على أدلة النصارى فأذكر لوقا الذي[١] تحدث عن الأحداث السابقة لولادة المسيح -عليه السلام- والذى تضمن الإشارة إلى دعوته بـ (ابن الله).

الظاهر من عبارات هذا النص أن القصد من وراء هذه التسمية إدخال الطمأنينة في نفس مريم التي ابتليت بإنجابها طفلاً دون زواج، فأراد الله أن يظهر لها بهذه التسمية عظيم شأن هذا المولود وأنه المقرب من الله المعظم عنده -سبحانه-.

أما نص إنجيل يوحنا[٢]، الذي قرر أن من أركان الإيمان المسيحي إكرام الابن كإكرام الأب، فهو نص يخلو من إي إشارة مباشرة أو غير مباشرة إلى البنوة بمعناها الحقيقي، لأمرين:

أولهما: التأكيد على أن إكرام الأنبياء هو ركن من أركان الإيمان في جميع الأديان السماوية، وهو أمر لايخص المسيحية دون غيرها ليفسر بالبنوة الحقيقية لله.

وآخرهما: أن قراءة النص كاملاً تصرف البنوة عن معناها الحقيقي لتضعها في المعنى المجازي، فقد صرح النص على لسان عيسى. عليه السلام، أنه رسول مرسل وذلك في قوله: **(الحق الحق أقول لكم من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية)**[٣].

فقد قرر أن طريق النداة والحياة السعيدة في اليوم الآخر هو الإيمان والاستماع لكلامه الذي أرسل به، وهو توجيه لرسالته وبشريته، ولكن النص الأخير الذي أشرت إليه عند الحديث عن إستدلال النصارى بالبنوة فهو مدار

---

(١) راجع: إنجيل لوقا. الإصحاح الأول، الفقرة: ٣٥.

(٢) راجع: الإصحاح الخامس، الفقرتان: ٢٣و٢٤.

(٣) إنجيل يوحنا، الإصحاح الخامس، الفقرة: ٢٤.

خلاف علماؤهم، فالنص يتحدث عن الوحدة بين الأب والابن، وعن تحديد مفهوم هذه الوحدة اختلف مفسرو العهد الجديد، فقال بعضهم: " ليس في وحدة الإرادة، وتوافقها فحسب، ولكن في وحدة الطبيعة الإلهية[١]، في حين قال البعض الآخر: "لايحدد البشير طبيعة الوحدة بين الأب والإبن"[٢]، والواقع أن الباحث عند قراءته للنص كاملاً يجده أبعد مايكون عن المفهو المسيحي بالوحدة المؤدية إلى القول بالبنوة الحقيقية لله، وإلى القول أن عيسى عليه السلام، إله من إله. فمجرد النظر إلى النص كاملاً يظهر الاستدلال على بشرية عيسى، عليه السلام، وعجزه، وحاجته إلى عون الله، فالنص يتحدث عن أن اليهود أحاطوا بعيسى قائلين له **(وإلى متى تعلق أنفسنا إن كنت أن المسيح فقل لنا جهراً. أجابهم يسوع إني قلت لكم ولستم تؤمنون. الأعمال التي أنا أعملها بإسم أبى تشهد لي. ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافي كما قلت لكم. خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياة أبدية ولم تهلك إلى الأبد. ولايخطفها أحد من يدي -أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل ولايقدر أحد أن يقطف من يد أبي أنا والأب واحد. فتناول اليهود أيضا حجارة ليرجموه.**[٣].

ويتضح لنا من تكملة النص أن الله سبحانه هو الذي أمد عيسى، -عليه السلام- بالمعجزات، وهو سببها، ولن يتمكن أحد من أخذها أو منعها، ليقرر بعض ذلك عظمة الله وعلوه على الكل، وإقراره هذا يفسر المراد من قوله أنه والأب واحد، فهو والأب واحد في إطار إرادته سبحانه، مع وجود

---

(١) ويسلي كلارك متى هنري وغيرهم، تفسير بشارة يوحنا، نقله إلى العربية الدكتور عزت زكي، ص ١٨٤.

(٢) تفسير الكتاب المقدس، ج٥، ص٢٧٣.

(٣) إنجيل يوحنا، الإصحاح العاشر، الفقرات: ٢٤-٣١.

فارق بينهما يتضح في كون الخالق ذو إرادة عليا، وأن عيسى رسول مبلغ شرع الله لعباده منفذ لأوامره مؤيد بالمعجزات من قبله، وهكذا نجد أن معنى الابوة مجازي كمعنى البنوة، كما سبق بيانه.

أما تناول اليهود الحجارة ليرجموه، فليس لأنهم اعتقدوا أنه -عليه السلام- قصد بكلامه ذاك ألوهيته، وأنه إله من إله، بل لما اعتلج في نفوسهم من حسد، ولرفضهم الاعتراف بنبوته وفضله ومكانته عند الله، ويؤكد ذلك قتلهم وإيذاؤهم للأنبياء كما هو معروف ومقرر في كتبهم المقدسة. ثم إني من خلال محاولاتي الوصول إلى نصوص تتحدث عن هذه البنوة في سفر الأعمال، وجدت أن اصحاحاته الأولى خالية من وصف المسيح ببنوته لله، وهو أمر مثير للغاية، خصوصاً إذا ماتذكرنا أن النصارى تنسبه إلى لوقا الحواري كاتب الإنجيل الثالث، إذ كيف يمكن لهذا الحواري المقرب من عيسى -عليه السلام- ابن الله -على حسب زعمهم- أن يهمل هذه العقيدة الأساسية المهمة في سفره هذا، في حين يؤكد النصارى أنه تعرض لإثباتها في إنجيله، وفي ذلك تناقض واضح، ينم عن تزعزع الأساس الذي بني عليه هذا المعتقد، لما أهمل لوقا ذكرها بل حرصاً منه على تثبيت الحقيقة في قلوب النصارى، إن عدم ذكره لهذه العقيدة في إصحاحاته الأولى من سفر الأعمال، يدل على أنها ليست في مقام العقائد الأساسيه التى دعا إليها عيسى، عليه السلام، وأمر تلاميذه بالدعوة إليها فيه بنوة مجازيه لاأكثر. وهو نبي مقرب من الله -سبحانه-.

لقد كان خلو الإصحاحات الأولى من سفر الأعمال من هذا الوصف من الوضوح بمكان، لم تتمكن معه دائرة المعارف الكتابية من إنكاره، فقررته ولكنها كعادتها حاولت إيجاد مخرج يناسب تبنيها لهذا المعتقد، وذلك بقولها:

"فيما قبل بولس الرسول: لايذكر لقب (ابن الله) إلا مرة واحدة في الإصحاحات الاثنى عشر الأولى، وذلك عن موضع

كرازة بولس في المجامع بالمسيح (أن هذا هو ابن الله) (أع٩:٢)، وهو أمر يدعو للعجب، وبخاصة أن سفر الأعمال تتمه لإنجيل لوقا، والتفسير الوحيد لذلك، هو أن الكنيسة الأولى في أورشليم -فيما قبل بولس- كانت تفضل عدم استخدامه. لاشك في أنهم كانوا يعظمون الرب يسوع، ولكن لعل استخدام هذا اللقب في الكرازة لليهود، كان يثير حفيظتهم، ويؤدي إلى الاصطدام بهم، وهو الأمر الذى كانت تحاول الكنيسة في أيامها الأولى -قبل استشهاد استفانوس- أن تتجنبه. ولايمكن القول بأن الجيل الأول من الكنيسة، كان يجهل هذا اللقب، حيث أن الرب نفسه قد استخدمه، ولكن لعلهم -كما يقول كولمان- كانوا يذكرون تحفظ يسوع في استخدامه (كما يظهر ذلك في إنجيل مرقس)"[١].

إن خشية الكنيسة الأولى من يهود القدس إلى الدرجة التي تمنعها من الإعلان عن عقيدتها يعتبر أمراً مرفوضاً بداهة، إذ كيف يعتقد النصارى أن صاحب سفر الأعمال أعلن هذه العقيدة في إنجيله وأخفاها هنا، وكيف لم يخش على نفسه هناك، وخشى عليها هنا؟ ثم إن أحداث الإنجيل كانت سابقة لسفر الأعمال،[٢] واليهود يدركون مادعا إليه المسيح، وما يدعو إليه أصحابه، وسكوت هذه الإصحاحات عن ذكر هذه العقيدة لم يكن ليمنع اليهود من إلحاق الأذى بالنصارى.

---

(١) مادة، ابن الله.

(٢) كتب إنجيل لوقا حوالي عام ٦٠م، أما سفر الأعمال فكتب حوالي عام ٦٢ أو ٦٣م.
راجع: قاموس الكتاب المقدس، مادة إنجيل لوقا.

ولكن الذي أجده أكثر إقناعا هو ماقاله كولمان من أن الكاتب والحواريين، الذين يتحدث عنهم سفر الأعمال في إصحاحاته الأولى، كانوا يتذكرون معلمهم المسيح وتحفظه الظاهر في استخدامه لهذا اللقب، فكان حرصهم على تتبع سنته، عليه السلام، وبالتالي امتناعهم عن استخدامه، وهي السنة التي أكدت على عدم أهمية هذا اللفظ من الناحية العقدية، لأنه لايعدو أن يكون لفظا مجازيا، اقترن بالمسيح لبيان فضله ومقامه عند الله، فهو رسول الله، ونبيه ايده الله بوحيه، ومعجزاته ورعايته.

تأييد النصوص اللاهوتية المسيحية لإنسانية المسيح:

لو سلمنا بصحة قولهم إن المسيح ابن الله، خالق لامخلوق، إلى آخر بنود قانون الإيمان. فلن يكون تسليمنا هذا آخر المطاف إذ إن كثيرا مايكون حديث الأناجيل بشكل خاص، والعهد الجديد بشكل عام متناقضا مع هذا القانون، الذي يقرر بنوته لله. فالإنجيل الأول من العهد الجديد يورد للمسيح نسبا بشريا في أول إصحاحاته، وهو على النحو التالي **(كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم. إبراهيم ولد إسحاق. وإسحاق ولد يعقوب. ويعقوب ولد يهوذا وإخوته. ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار. وفارص ولد حصرون. وحصرون ولد أرام. وأرام ولد عمينا داب. وعمينا داب ولد نحشون. ونحشون ولد سلمون. وسلمون ولد بوعز من راحاب. وبوعز ولد عوبيد من راعوث. وعوبيد ولد يسى. ويسى ولد داود الملك. وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا وسليمان ولد رحبعام. ورحبعام ولد أبياً. وأبياً ولد آسا. وآسا ولد يهوشافاط. ويهوشافاط ولد يورام. ويورام ولد عزيا. وعزيا ولد يوثام. ويوثام ولد أحاز. وأحاز ولد حزقيا. وحزقيا ولد منسى. ومنسى ولد آمون. وآمون ولد يوشيا. ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبى بابل.**

وبعد سبى بابل يكنيا ولد شألتئيل. وشألتئيل ولد زربابل. وزربابل ولد ابيهود. وابيهود ولد ألياقيم. وألياقيم ولد عازور. وعازور ولد صادوق. وصادوق ولد أخيم. وأخيم ولد أليود. وأليود ولد اليعازر. واليعازر ولد متان. ومتان ولد يعقوب. ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذي يدعي المسيح.

فجميع الأجيال من ابراهيم إلى داود أربعَة عشر جيلاً. ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلاً. ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً[١].

وليس الهدف من إبراز هذا النص المطول الخاص بنسب المسيح، كما يرد في إنجيل متى مناقشة صحة النسب أو عدم صحته،ولكن إلقاء الضوء على بعض أوجه التناقض بين تصوص العهد الجديد، وما ذكر في قانون الإيمان من تأكيد على بنوة المسيح لله، فكيف يكون المسيح في اعتقادهم ابن الله، وابنا لداود ليصل نسبه إلى إبراهيم؟ وهل يمكن لأي إنسان يعقل قبول مثل هذا التداخل الذي تطرحه الديانة النصرانية بجعلها نسبين للمسيح، أولهما لله، والآخر بشري؟ وقد حلل الشيخ رحمت الله الهندي مشكلة هذا التناقض في نسب المسيح، فأورد ماذكره لوقا في إنجيله من أنه ابن يوسف، وآدم ابن الله[٢] فعلق على ذلك بقوله:

"وظاهر أن آدم عليه السلام ليس إبنا لله بالمعنى الحقيقي ولا إلها، ولكن لما ولد بلا أبوين نسبه إلى الله، ولله در لوقا لقد أجاد ههنا، لأنه لما كان المسيح عليه السلام مولودا بلا أب فقط نسبه إلى يوسف النجار، ولما كان آدم عليه السلام مولودا بلا أبوين نسبه إلى الله."[٣].

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح الأول، الفقرات: ١-١٧.

(٢) راجع: الإصحاح الثالث، الفقرات: ٢٣-٣٨.

(٣) إظهار الحق، دراسة وتحقيق الدكتو محمد ملكاوي، ج٣. ص٧٥٤-٧٥٥.

ولا تعدّ قضية النسب التي وجدت في العهد الجديد المظهر الوحيد الذي يتعارض مع البنوة الحقيقية لله -سبحانه عما يشركون- فتعميده، عليه السلام، من قبل يوحنا المعمداني مظهر آخر من مظاهر التناقض، والتعارض مع ماورد في بنود قانون الإيمان التي تجعل منه -عليه السلام- إله من إله، مساوياً له في الجوهر، خالق الكل غير مخلوق.

فقصة التعميد كما يذكرها متى -في إنجيله- تتعارض مع فكرة بنوته لله -عز وجل- فالتعميد في الديانة المسيحية 'علامة على التطهير من الخطيئة والنجاسة..."[١] كما أن معمودية يوحنا المعمداني تسمى" معمودية التوبة لمغفرة الخطايا... وكان طالبو المعمودية يعترفون بخطاياهم وندمهم عليها ويعلنون إيمانهم بالله..."[٢] فقد تحدث إنجيل متى عن تعميد، عيسى، عليه السلام، على يد يوحنا المعمدان بقوله: (**جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه. ولكن يوحنا منعه قائلاً أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلي، فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن. لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر. حينئذ سمح له. فلما اعتمد يسوع صعد من الماء**[٣]) إن اصرار المسيح أن يتم تعميده من قبل يوحنا عجيب، فإذا كان إله من إله، فكيف يتم تعميده بالمفهوم المسيحي، من قبل مخلوق؟ فهل المخلوق يطهر الإله من الخطايا؟ أو العكس؟ وهل لله خطايا أصلا؟ وتمضي الأناجيل في سردها لقضية التعميد على شكل لايوحي بالقدسية، فهي تقول إن المسيح بعد أن تم تعميده جرب من قبل الشيطان، الذي حاول جاهدا تحويله إلى عبد من عبيده، إلا أن محاولته باءت بالفشل، فقد ثبت المسيح على إيمانه بالله، عندها

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، مادة معمودية.

(٢) المرجع نفسه، مادة معمودية، يوحنا المعمدان.

(٣) الإصحاح الثالث، الفقرات: ١٣-١٦.

فقط أتت الملائكة لتخدمه.[١] وهنا نجد أمراً يدعو إلى الحيرة، وهو كيف يمكن لمخلوق -الشيطان- أن يعمل على اختبار الإله المعبود، كما يشير انجيل متى قائلا: (**ثم صعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس. فبعد ماصام أربعني نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً. فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً. فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمةٍ تخَرج من فم الله. ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل. وقال له ان كنت إبن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك. فعلى أياديهم يحملونك لكي لاتصدم بحجر رجلك. قال له يسوع مكتوب أيضا لا تجرب الرب إلهك, ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها. وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي. حينئذ قال له يسوع اذهب ياشيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد. ثم تركه إبليس وإذ ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه**)[٢].

وتستخرج من النص السابق دلالات أخرى تنقض الاعتقاد في ألوهية عيسى وبنوته لله[٣]، إذ يذكر النص صوم المسيح لله، والصوم عبادة لايقوم بأدائها إلا العبد المؤمن، وإقرار النصارى بصومه عليه السلام يلزمهم القول أنه عبد لمن صام له، كما أن الضمير في لفظ (ملائكته) في قوله (لأنه

---

(١) راجع: شهاب الدين أحمد بن ادريس المالكي القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص١٥٥. وابن حزم. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢،ص١٦-١٧. والدكتور محمد تقي الدين الهلالي، البراهيم الإنجيلية على أن عيسى، عليه السلام، داخل في العبودية ولاحظ له في الألوهية، ص٥-٦.

(٢) الإصحاح الرابع، الفقرات:١-١١.

(٣) راجع: القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص٦٦-٦٧.

مكتوب أنه يوصي ملائكته....)[١]يعود إلى الله، وهو مايؤكد أن الملائكة من خلقه وحده ، وهي ملك له سبحانه عما يشركون، ويضاف إلى ماسبق أن ردالمسيح جاء ليؤكد ثقته التامه فى الله الخالق، الذى لايمكن أن يكون موضع تجربة منه بطرح نفسه من الجبل تجربة لله، كما ان رفض المسيح للسجود للشيطان هو في حد ذاته إقرار منه بعقيدة التوحيد التي أكدها بقوله **(لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد)**[٢] ومن الأدلة المهمة التي يمكن استخلاصها في دحض بنوة المسيح، أنه عليه السلام، لم يصرح في أناجيلهم بهذه البنوة المزعومة التي ترتب عليها اعتقادهم في ألوهيته وبنوته لله، وقد أشار رحمت الله الهندي إلى هذه المسألة فقال: "وأعجب... أن عيسى عليه السلام، مابين هذه العقيدة إلى عروجه ببيان واضح"[٣].

ثم ناقش رحمت الله الهندي ماذهب إليه بعض علماء النصرانية في تفسير أسباب عدم إشارة المسيح إلى بنوته للإله بشكل صريح، مثل صاحب ميزان الحق في كتابه المسمى بـ (مفتاح الأسرار) الذي طرح استفسارا جاء فيه"إن لو قلت لمَ لم يبين المسيح ألوهيته ببيان أوضح مما ذكر، ولم لم يقل واضحاً ومختصراً أني أنا الله لاغير؟"[٤] ثم حاول أن يعلل هذا الاستفسار بجملة آراء كان من بينها قوله:

"إن كبار ملة اليهود أرادوا مرارا أن يأخذوه ويرجموه، والحال أنه ماكان بين ألوهيته بين أيديهم **إلا** على طريق الألغاز"[٥]. أي أن خوفه منهم منعه من ذلك ، وقد تناول الشيخ رحمت الله الهندي هذا التعليل بالمناقشة،

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح الرابع، الفقرة:٦.

(٢) المرجع نفسه، الفقرة: ١٠.

(٣) رحمت الله الهندي،إظهار الحق، دراسة وتحقيق الدكتور محمد ملكاوي،ج٣،ص٧٢١

(٤) المرجع نفسه، ص٧٢١

(٥) المرجع نفسه، ص٧٢١.

فأشار إلى أن المسيح، عليه السلام.

"ماجاء عندهم إلا لأجل أن يكون كفارة لذنوب الخلق، ويصلبه اليهود،وكان يعلم يقيناً أنهم سيصلبونه، ومتى يصلبونه فأي محل للخوف من اليهود في بيان العقيدة؟ والعجب أن خالق الأرض والسماء والقادر على مايشاء يخاف من عباده الذين هم من أذل أقوام الدنيا، وَلايبين لأجل خوفه العقيدة التي هي مدار النجاة. وعباده من الأنبياء مثل إرميا واشعيا ويحي عليهم السلام لايخافون منهم في بيان الحق، ويؤذون إيذاء شديداً ويقتل بعضهم، وأعجب منه أن المسيح عليه السلام يخاف منهم في بيان هذه المسأله العظيمة، ويشدد عليهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غاية التشديد حتى يصل ..إلى السب، ويخاطب الكتبة والفريسيين مشافهةً بهذه الألفاظ: ويل لكم أيها الكتبه والفريسيون المراؤون. وويل لكم أيها القادة العميان. وأيها الجهال العميان. وايها الفريسي الأعمى. وأيها الحيات والأفاعي. كيف تهربون من دينونة جهنم؟!.

ويظهر قبائحهم على رؤوس الأشهاد حتى شكا بعضهم بأنك تشتمنا. كما هو مصرح في الباب الثالث والعشرين من إنجيل متى، والحادي عشر من أنجيل لوقا. وأمثال هذا مذكوره في المواضع الأخرى من الإنجيل أيضا. فكيف يظن بالمسيح عليه السلام أن يترك بيان العقيدة التي هي مدار النجاة لأجل خوفهم؟! حاشا ثم حاشا أن يكون جنابه هكذا"[١].

---

(١) رحمت الله الهندي،إظهار الحق،دراسة وتحقيق الدكتور محمد ملكاوي، ج٣،ص٧٢٢.

بل إنه، عليه السلام، لم يتطرق إلى هذه العقيدة في أول وعظ وجهه لأتباعه، هذا ما يطالعنا به إنجيل متى[١]، وهو أمر يثير التساؤل بشكل واسع، فكيف تخلو خطبته الأولى تماما من أي إشارة يمكن عدّها مدخلاً للقول بتلك البنوة المزعومة ولو على سبيل المجاز، بل إن مضمون الخطبة وشمولها لنواحي العقيدة والشريعة جعل هذا الأمر أشد غرابة. فهل يعقل أن يهمل المسيح لو كان حقا ابن الله -بنوة حقيقية- تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرا -تقرير هذه الحقيقة فلا يتطرق إليها ولو بالإشارة، وإن كانت الإشارة لاتكفي لتقرير العقائد. في حين أنه يصرح وبوضوح يغني عن التفسير أنه لم يأت ليغير ديانة بني إسرائيل، بل أتى لإكمالها، كما أنه يشير إلى مراده من هذا الإكمال فيتحدث عن الشرائع التى تغيرت فى عهده عليه السلام-حديثا منفصلا-مطولا وهو بين الحين والآخر يذكر السامعين بأن الإله الخالق هو في السماء.

فيقول: **(لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات)**[٢]

و**(فكونو أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السوات هو كامل)**[٣]

و**(فصلوا أنتم هكذا "أبانا الذي في السموات")**[٤]

و**(يغفر لكم أيضا أبوكم السماوي....)**[٥]

وتدل هذه العبارات وأمثالها، التي تنتشر بكثرة في هذه الخطبة، على حقيقة كونه نبياً مرسلاً من الله الذي في السماء، كما أن استخدامه، عليه السلام، للفظ الأبوة الظاهر في الأمثلة السابقة والمنتشرة أيضا في خطبته عند وصفه للإله، هو استخدام مجازي باتفاق أهل الكتاب، وكذلك استخدامه للفظ البنوة عند حديثه عن المؤمنين.

---

(١) راجع:إنجيل متى،الإصحاح الخامس والسادس والسابع،وإنجيل لوقا،الإصحاح السادس.

(٢) إنجيل متى. الإصحاح الخامس، الفقرة: ١٦.

(٣) الإصحاح نفسه، الفقرة ٤٨.

(٤) إنجيل متى،الإصحاح السادس، الفقرة: ٩.

(٥) الإصحاح نفسه الفقرة:١٤.

وقد قال في هذا الشأن **(طوبي لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون)**[١].
كما قال في موضع آخر **(وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم. لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات.)**[٢].

ولاشك أن تكرار استخدامه، عليه السلام، للفظ الأبوة والبنوة بالمعنى المجازي، وبهذه الكيفية في أول وعظ يوجهه لأتباعه أهمية كبرى، إذ إنه يوضح من خلالها أن البنوة بمعناها البشري قد تأخذ بعدا من الشرف والكمال أكبر بكثير من البنوة الحقيقية، إذ قصد بالإبن الحب والولاء والتقدير للآب[٣]، وقصد بالآب العطف والرحمة والرعاية والإحسان. وحينئذ قد تصبح البنوة المجازية أهم من البنوة الحقيقية[٤]. وهذا ماأشار إليه المسيح عندما نهاهم عن إطلاق هذا المعنى على أحد من أهل الأرض وذلك بقوله:

(لاتدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات. ولاتدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح.)[٥].

ومن ثم يتضح الفرق بين المسيح، عليه السلام، وخالقه سبحانه إذ حصر بقوله هذا الأبوة المجازية للعباد جميعاً في الإله الواحد دون أن يكون له، عليه السلام، تميز ببنوة حقيقية ترفعه على سائر العباد.

---

(١) انجيل متى، الإصحاح الخامس، الفقرة: ١٠.

(٢) الإنجيل نفسه، الإصحاح السادس. الفقرة: ٤٤.

(٣) راجع: محمد حسن بن عبد الرحمن، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح، ص٨٧.

(٤) راجع: أبا حامد الغزالي، الرد الجميل الإلهيه عيسى بصريح الإنجيل، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوي، ص١٧٢-١٧٤.

(٥) إنجيل متى، الإصحاح الثالث والعشرون، الفقرة:٩.

المبحث الثاني

الفــداء

أشرت في التمهيد لهذا الباب إلى أهمية الفداء كعقيدة مسيحية، وإلى العلاقة القوية بين هذه العقيدة، وعقيدة الخطيئة الأولى، وهو ماأعرض له هنا بشئ من التفصيل.

المعنى اللغوي لمصطلح الفداء

يقصد بكلمة الفداء في اللغة العبرية "الترضية وإزالة الأحقاد بعد دفع التعويض."[١] ويقصد بها في العربية "استنقذه بمال أو غيره فخلصه مما كان فيه، يقال فداه بمال وفداه بنفسه فهو فاد"[٢].

المعنى الإصطلاحي للفداء

أما المعنى الإصطلاحي للفداء فيقصد به كما يذكر هنري أبو خاطر: "الفداء خلاصا للبشرية، وهو من صلب العقيدة المسيحية، والعقيدة تنهار والفداء يفقد معناه إن لم يتجسد الله ويخلص البشرية من شوائب الخطيئة الأصلية"[٣].

وفي توضيح آخر نجد أن المقصود بعقيدة الفداء هو:

> "علم فداء الإنسان اللاهوتي، علم خلاصه... كما أن الله بذاته في تدبير الخلاصي الفعّال والعطية التي يقدَمها من ذاتيته، بالمعنى القوي للكلمة، هو خلاص الإنسان، هكذا بإمكاننا أن ننظر، تحت شكلها الخلاصي، إلى كل حقيقة هي موضوع الوحي والعقيدة، إذّاك لن تكون عقيدة الخلاص جزءا بسيطا،

---

(١) عوض سمعان، فلسفة الغفران في المسيحية، القسم الأول، ص٨١.

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادة فدي، ج٢، ص٦٧٧.

(٣) نظرات في الحتمية والجبرية والحرية، ص١٣٥.

محدودا موضوعيا، من العقيدة"[١].

وبعد هذه اللمحة السريعة حول مفهوم الفداء لغة، واصطلاحا، يتبين لنا أن المقصود به في العقيدة المسيحية، فداء الإنسان من الخطيئة الأصلية التي انتقلت إليه من أبويه آدم وحواء، فتحمل وزرها وشقي بسببها.

وقد أصبحت هذه العقيدة بحسب مضمونها الاصطلاحي المسيحي إلزامية لمعتنقي هذه الديانة منذ عام (٣٥٢)م إثر قيام مجمع نيقية، واعتماده لقانون الإيمان، الذي أشرت إلى بعض قراراته عند الحديث عن بنوة المسيح. وبما أن الحديث هنا يتعلق بالفداء فسنقوم بعرض الجزء الخاص بهذه العقيدة كما وردت في هذا القانون إذ جاء فيه:

"...**الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل -أي المسيح- وتجسد وتأنس وتألم ومات، وقام أيضا في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات بالروح القدس...**"[٢].

وقد حاولت الوصول إلى نصوص إنجيلية تتحدث عن هذه العقيدة، للأهمية التي تتسم بها الأناجيل من الناحية العقدية، لمقارنتها بغيرها من أسفار العهد الجديد، فوجدت أن الحديث فيها عن الفداء يكاد يكون معدوما، وبالتالي رجعت إلى بقية أسفار العهد الجديد لعلي أجد مايمكن وصفه مصدرا أصيلا لعقيدة الفداء. فوقفت على جملة من النصوص التي تتحدث عن هذه العقيدة في الرسائل المسيحية.

والسؤال الذي يطرح هنا ما تعليل علماء النصارى حول مسألة قلة الحديث عنها في الأناجيل وكثرتها في ماعداها من أسفار العهد الجديد.

وقد وجدت في كتاب (المسيحية نشأتها وتطورها) جوابا عن هذا

---

(١) معجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة عقيدة الفداء.

(٢) القس الياس مقار، ايماني، ص٦٦.

الإستفسار إذ يقول مؤلفه عن الحواريين "إن موت عيسى في نظر الاثنى عشر ليس بالتضحية التكفيرية"(١).

وانطلاقاً من محور البحث هنا، وهو عرض عقائد الديانة المسيحية كما يؤمن بها أصحابها اليوم، فسوف أشرع في عرض بعض نصوص العهد الجديد التي أشارت إلى المفهوم المسيحي لهذه العقيدة، آخذة في الحسبان عرض بعض ماورد من إشارات في هذا الشأن في الأناجيل.

١- فقد جاء في إنجيل متى في الإصحاح العشرين: **(إن ابن الإنسان لم يأت ليُخدَم بل ليَخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين.)**(٢).

لقد علق على أهمية هذا النص بالنسبة للنصارى أحد مفسري العهد الجديد فقال:

"(يبذل نفسه فديه)... تتيح هذه الجملة المهمة إحدى المناسبات القليلة التي فيها تذكر عقيدة الكفارة البدلية في الأناجيل الثلاثة الأولى"(٣).

٢- وجاء في إنجيل يوحنا **(لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم.)**(٤).

ومما فسر به هذا النص قول أحدهم:

"هل.. تعطينا نفس أقوال يسوع أو هل تعطينا تفسير البشير عن مهمة المسيح، وبلاشك أن البشير قد دخل بعمق إلى فكر يسوع، وإذا كانت هذه الأقوال ليست كلماته بالذات، فإنها، بالتأكيد تحوي نفس قلب البشري المجيدة. على أنه ليس عندنا مبرر للاستنتاج أن هذه -العبارة- لم تكن ليسوع في مجمل

(١) شارل جنيبير، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود، ص٩١.

(٢) الفقرة: ٢٨.

(٣) تفسير الكتاب المقدس، ج٥، ص٦٩.

(٤) الإصحاح الثالث، الفقرتان: ١٦و١٧.

القرينة التي أمامنا"[١].

ولو كان صاحب هذا التفسير على اقتنع بظاهر ماورد في نص يوحنا، لما أثار هذه الاحتمالات. وإن كان يبدو -بتفسيره هذا- محاولا إقناع نفسه بما تمليه عليه عقيدته المتوارثة.

وسأنتقل الآن من الأناجيل إلى الرسائل المسيحية، حيث من السهل الوقوف على نصوص تتعلق بالفداء، من بينها:

١- ماورد في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: **(الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لايهبنا أيضاً معه كل شئ.)**[٢].

٢- وكذلك ماورد في الإصحاح الخامس منها: **(لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيرا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح)**[٣].

٣- والنص الذي جاء في رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية، وهو: **(ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة تحت الناموس يفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني)**[٤].

٤- وما جاء في رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس: **(لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع)**[٥].

٥- ومما نجد في هذا الصدد قول بطرس الرسول في الرسالة الأولى، من الإصحاح الثاني: **(الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة**

---

(١) تفسير الكتاب المقدس، ج٥، ص٢٤٣.

(٢) الإصحاح الثامن، الفقرة:٣٢.

(٣) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، الفقرة: ١٧.

(٤) الإصحاح الرابع، الفقرتان: ٤و٥.

(٥) الإصحاح الثاني، الفقرتان: ٥و٦.

لكي نموت في الخطايا فنحيا للبر، الذي بجلدته شفيتم.)[١].

ويتضح لنا من استعراض النصوص السابقة التي تتعلق بمسألة الفداء في أسفار العهد الجديد، إن المسيح جاء فداء لبني آدم يحمل عنهم أوزارهم، وخطاياهم التي حلت عليهم بموجب الخطيئة الأولى.

أهم المبررات التي استند إليها علماء المسيحية في تقرير عقيدة الفداء:

يلاحظ الباحث في عقيدة الفداء أن علماء المسيحية حاولوا جاهدين تقديم تبريرات تساند ترسيخ القول بعقيدة الفداء، مما جعلها مدار اهتمام كثير منهم، فعملوا جاهدين في مؤلفاتهم العقيدية للإجابة عن التساؤلات التي قد تطرح من قبل معتنقي المسيحية وغيرهم، وعن أسباب تحميل الإنسانية وزر الخطيئة الأصلية، وهي خطيئة فردية صدرت عن آدم وحواء.

وفي محاولة منهم لتبرير التصاق وزرها بالبشريه كافة، عمدوا إلى اختلاق تفاسير تقربها من الواقع والمنطق، ليقبل بها أتباع المسيحية دون تشكيك فيها.

ولما كانت الآراء التي تناولت هذا الموضوع من قبل علماء النصرانية كثيرة ومتشعبة، فسوف أعمد الى إختيار أمثلة منها، لتوضيح أنماط تبريرهم لها، فمن ذلك أن أحد علماء الديانة المسيحية ذهب إلى القول إنه:

"لما كان الإنسان لايستطيع التكفير عن خطاياه بالدرجة التي تفي مطالب عدالة الله التي لاحد لها، وكان الله وحده الذي يستطيع القيام بهذه المهمة... لذلك فإن تكفير الله بنفسه عن خطايانا بمعنى احتمال نتائجها في نفسه... عوضا عنا قبل أن يغفرها لنا، أمر لايجوز الاختلاف بشأنه على الإطلاق... وكل ما في الأمر أن الله في عفوه عنا يتحمل إساءتنا في

---

(١) الفقرة: ٢٤.

نفسه، ليس فقط بسبب العطف علينا، بل أيضا لإيفاء مطالب عدالته لأن هذه ليست مجرد شريعة لديه كما هى الحال معنا بل إنها صفة من الصفات التي تتميز بها ذاته، ولذلك من الضروري إيفاء مطالبها بأي حال من الأحوال"[١].

كما ذهب إلى أن الخطيئة الأولى أصبحت جزءاً من طبيعة الإنسانية بموجب قانون الوراثة، إذ:

"لايمكن لكائننا أن يلد آخر مغاير له... وبما أن آدم الذي ولد منه البشر جميعا كان قد فقد بعصيانه حياة الاستقامة الذي خلقه الله عليها وأصبح خاطئاً قبل أن ينجب نسلاً، إذا كان أمراً بديهياً أن يولد أبناؤه جميعا خطاه بطبيعتهم نظيره لأننا مهما جلنا بأبصارنا في الكون لانجد لسنة الله تبديلا أو تحويلاً، ولذلك قال الوحي (**بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم**) رومية ٥: ١٢-٢١"[٢].

في حين يذهب كالوين أحد زعماء البروتستانتية إلى القول:

"حينما يقال إننا استحققنا العذاب الإلهي من أجل خطيئة آدم، فليس يعني ذلك أننا بدورنا كنا معصومين أبرياء، وقد حملنا -ظلما- ذنب آدم... الحقيقة أننا لم نتوارث من آدم (العقاب) فقد، بل الحق أن وباء الخطيئة مستقر في أعماقنا على سبيل الإنصاف الكامل، وكذلك الطفل الرضيع تضعه أمه مستحقا للعقاب، وهذا العقاب يرجع إلى ذنبه هو، وليس من ذنب أحد

---

(١) عوض سمعان. فلسفة الغفران في المسيحية، القسم الأول، ص١١٦-١١٧.

(٢) عوض سمعان، فلسفة الغفران في المسيحية، القسم الأول، ص١٨. وراجع أيضا: القس أميل زكي، والقس فايز فارس، والقس منيسي عبد النور، إيماني الإنجيلي، ص٥٢-٥٤.

غيره"[١]، فالخطيئة فى نظر كالوين مستقرة فى نفوسنا وهو مايجعلنا كبشر مستحقين العقوبة. وقد بالغ فى إظهاره هذا الإستحقاق عندما أكد استحقاق الطفل الرضيع للعقاب لأنه يعد مذنبا. ويمكن القول إن استقرار الخطيئة في نفوس ذرية آدم في ضوء شرح كالوين لايختلف كثيرا عن رأي القائل بتوارث لعنة الخطيئة الأولى، وقد حاول أحد علماء الديانة المسيحية تخليص المؤمن المسيحي من الإحساس بالظلم نتيجة الإقرار بتحمل خطيئة آدم، فحاول تبرئة آدم من المسئولية الفردية لتتحول إلى مسئولية جماعية لعله بذلك يدفع المؤمن إلى قبول المشاركة في العقاب دون اعتراض أو استنكار فقال:

> "آدم هو مثال الإنسان، الإنسان الذي وجد في حالة النعمة وسقط، إذن سقوط آدم من النعمة هو سقوط كل إنسان. إذا خطيئة آدم هي خطيئة كل إنسان. فليس المقصود أن الخطيئة تنتقل بالتوارث والتسلسل لأنها ليست تركة أو ميراثا إنما المقصود أن آدم - الإنسان قد أخطأ، فأخطأ آدم الجميع إذا، كل واحد قد أخطأ وذلك لأنه إنسان."[٢].

أما تبرير قاموس الكتاب المقدس بقبول عقيدة الفداء، فقد جاء على النحو التالي: "مبدأ الفداء الذي أكمله المسيح إذ قدم نفسه لفك كل قيد ورفع كل مسئولية وافتداء جميع من كانوا تحت رق عبودية الخطيئة بشرط أن يقبل الخاطئ الفادي بإيمان قلبي"[٣].

---

(١) الدكتور محمد على حماية، التجسد والصلب، بين الحقيقة والافتراء ص ٢٧ نقلا عن: CALVIN, Instil> bk 11. Ch. sec 8.

راجع أيضا: محمد مجدي مرجان، المسيح إنسان أم إله. هذبه وحققه وعلق عليه عبد الرحمن دمشقية، ص١٣٨. واسبيروا جبور، في التوبة. ص٦٩-٧١.

(٢) ندرة اليازجي، رد على اليهودية واليهودية المسيحية، ص١٠٥.

(٣) مادة، فدى، فادٍ افتدى.

فهم يبررون تحقيق خلاص الإنسانية من ميراث الخطيئة بموت المسيح بن الله –على زعمهم– دون غيره من المفروض، والأسباب، كشرط لغفران الله لخطيئة آدم، بأن صفات الله الكاملة لايمكن أن تطغي إحداها على الأخرى، فصفة العدل ثابتة لله، وكذلك صفة الرحمة، والله يرحم عباده ويرغب في نجاتهم من هذه العقوبة الموروثة، ولكن العدل لابد أن يتحقق فينال الخاطئ العقوبة التى تناسب خطيئته فلا سبيل لطغيان صفة الرحمة على العدل وإلا كان ذلك تنقيصا فى صفات الله الكاملة. وعلى هذا كان الحل الأمثل –لديهم– للخروج بالإنسان المخطئ إلى بر الرحمة هو نزول الإبن–المسيح– وتجسده وصلبه وموته فداء عن الخطيئة، هذا ماتحدثت عنه كتب العقيدة المسيحية.

وقد قال القس لبيب ميخائيل في شرحه لهذه الموازنه:

"إن الله الرحيم هو أيضا إله عادل، وأن الله المحب هو أيضا إله قدوس يكره الخطية! وإذا تركزت هذه الصورة في أذهاننا،... سندرك على الفور أن صفات الله الأدبية الكاملة لايمكن أن تسمح بغفران الخطية دون أن تنال قصاصها، وقد أعلن الله عن عقاب الخطية في الكلمات **(ها كل النفوس هي لي. نفس الأب كنفس الإبن. كلاهما لي. النفس التي تخطئ هي تموت)** حز ١٨: ٤، فالخطية إذاً ليست من السهولة حتى يمكن غفرانها بكلمة دون أن تنال القصاص. وعلى هذا فإن الصليب يبدو أمامنا ضرورة حتمية للتوفيق بين عدل الله ورحمته"(١).

---

(١) قضية الصليب، ص٢٧. راجع أيضاً: الشماس عبد الله زاخر الحنبي، البرهان الصريح في حقيقة سري دين المسيح وهما سر تثليث وسر التجسد. ص٨٥-٨٧. وابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى، ص٣٦.

أما هنري أبو خاطر فيؤكد أهمية الصلب لتحقيق الفداء ويوضح أن هذه الأهمية ترجع إلى فداحة الخطيئة الأصلية بقوله: "... واستعادة الإنسان كانت على قدر معصيته، والمعصية كبيرة، والاستعادة أطلت على صلب المسيح

وعلى موت المسيح."(١).وقد عبر عوض سمعان عن المسألة تعبيرا مختلفا بقوله "الله يتأثر مع روحانيته المطلقه بالخطايا التي نأتيها... كما أن العدالة لديه..صفة ثابتة فيه يجب إيفاء مطالبها مهما كانت الظروف والأحوال..ومن ثم لايمكن أن يصفح إلا إذا كان الصفح قانونياً،أو بالحرى متوافقاً مع عدالته المطلقه كل التوافق"(٢).

إن هذا الكلام المتناقض يوقع من يقرأه في حيرة من أمره، ويدفع به إلى التساؤل عن مقصود وروحانية الله؟ وعن معنى التأثر هنا؟ لقد جاء عوض سمعان بكلام جعل فيه الإله في منزلة البشر، فهو مع روحانيته يتأثر من الخطايا، ومن ثم يعجز –سبحانه– أمام بنود القانون عن تحقيق المغفرة، لو أراد، هنا جاءت الأسباب الموجبة لعقيدة الفداء.

ويحرص عوض سمعان على تأكيد عجز الله التام أمام غفران الخطايا دون قصاص، أو رفع القصاص دون فداء. ويمضي في نقاشه، وجدله لإثبات مبدأ الفداء، فيقول:

" لو كان من الجائز أن تقل عدالة الله وقداسته عن رحمته ومحبته، لكان من الجائز أن ينقذ جميع البشر من خطاياهم ويقربهم إلى حضرته بكلمة واحدة، كما خلق العالم من قبل بمثل هذه الكلمة... إذاً فمع رحمته ومحبته اللتين لا حد لهما. فإن من مستلزمات الكمال الذي يتصف به، ألا يتساهل في شئ من مطالب

---

(١) نظرات في الحتمية والجبرية والحرية، ص١٣٣.

(٢) فلسفة الغفران في المسيحية، القسم الأول، ص٨٤.

عدالته وقداسته، وبما أنه لايستطيع سواه إيفاء مطالب هذه وتلك، إذاً لاسبيل للخلاص من الخطيئة ونتائجها إلا بقيامه بافتدائنا بنفسه...لأن هذا يكون أكثر موافقة لكماله من الصفح عنا وتقريبنا إليه بوسيلة لاتتفق مع عدالته وقداسته"(١).

ولقد إنتهى عوض سمعان، كغيره من علماء النصارى إلى أن الحل الأمثل لمشكلة الإنسان الأزلية تنحصر في تحمل المسيح الفداء.

على أن هذه الفكرة لاترتبط فقط بعلماء المسيحية المحدثين، وإنما ترجع الى أقدم المصادر المسيحية، حيث نجد محاولات لتأصيلها، وافتعال المبررات لها، فعن هذه العقيدة تحدث بولس قائلاً: **(الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا)**(٢).

وقال أيضاً **(ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاه مات المسيح لأجلنا. فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب)**(٣).

وقد علق القس لبيب ميخائيل، على هذين النصين فقال "فدم يسوع المسيح المهراق على الصليب هو الوسيلة الوحيدة للغفران والتبرير لأنه (بدون سفك دم لاتحصل مغفرة) عب٩: ٢٢"(٤).

ومن الملاحظ أن هناك صلة وثيقة بين الدين والفداء في مختلف الأديان، ومن أمثلة ذلك ماورد في سفر اللاويين الإصحاح السابع عشر **(لأن نفس الجسد هي في الدم فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم.**

---

(١) عوض سمعان، فلسفة الغفران في المسيحية، القسم الأول، ص١٢٢-١٢٣. راجع أيضاً: القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة، عربه القس مرقس داوود ص٤١-٤٣. ومكس ميشيل، حياة المسيح، ص١٠١-١٠٥.

(٢) رسالة بولس إلى أهل أفسس، الإصحاح الأول، الفقرة:٧.

(٣) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح الخامس، الفقرتان: ٨و٩.

(٤) قضية الصليب، ص١٢٧.

لأن الدم يكفر عن النفس)[١]، غير أن النصارى انطلقوا من هذه الفكرة الشائعة إلى تقرير إحدى عقائدهم الأساسية، لأن الخطيئة الأولى لم تكن لتزول بسفك دم حيوان، فاستعادة الإنسان لحالته الأصلية قبل المعصية تتطلب سفك دم أزكى، وأطهر، وأقدس من جميع الذبائح الحيوانية[٢]. ويتضح هذا المسلك في الرسالة إلى العبرانيين التي جاء فيها: **(لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسيين يقدسَ إلى طهارة الجسد فكم بالحرى يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدّم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميته لتخدموا الله الحي.**

ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون إذ صار موت لفداء التعديات التي في العهد الأول ينالون وعد الميراث الأبدي)[٣].

إن هذه الأقوال التي تؤكد أنه -سبحانه- ملزم أمام الخطيئة، أما بتنفيذ القصاص وأما فداء الإنسانية بسفك دم المسيح، لم تكن موضع تأييد من علماء العقيدة المسيحية، فبعضهم يعتقد أنه -سبحانه- لم يكن مجبرا على ذلك، وهو ماذكره معجم اللاهوت الكاثوليكي بقوله:

> "فلا يجوز أن تصور الله كما لو كان مجبرا أن يقاصص خطيئة الإنسان (كما تصنع سلطة بشرية لضعفها بعقوبة ليس الهدف منها إلا القصاص. إن عقوبة الخطيئة ليست سوى الحقيقة الواقعية التي صنعها الله حراً والتي يجابهها الإنسان الخاطئ عندما يضيع هدفه"[٤].

---

(١) الفقرة :١١.

(٢) .راجع: الأسقف دافيد براون، هل صلب المسيح، نقله إلى العربية، جاد المنفلوطي، ص١٠٩-١١٧.

(٣) الإصحاح التاسع، الفقرات ١٣-١٥.

(٤) معجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة عقوبة الخطيئة.

يظهر أن أصحاب هذا القول أرادوا تنزيه الله -سبحانه- ورفع الإلزامية عنه والتبعية لإحدى صفاته، أو لقانون وضعه بنفسه.

وقد دفعت بهم رغبتهم في تصوير شناعة الخطيئة وحاجتها إلى المسيح، إلى القول إن التوبة الصادقة، والأعمال الصالحة لن تنجي صاحبها من لعنة الخطيئة، بل لن تخفف حتى من وطأتها عليهم، وتأكيداً لما ذهبوا إليه في هذا الشأن قالوا إن أنبياء الله خطاة، كما عبر عن ذلك أحد علماءهم قائلا:

الأنبياء وان كانوا أفضل من غيرهم من الناس، غير أنهم فى ذواتهم خطاة مثلهم وإن لم يكن بالفعل فبالقول والفكر..، لذلك فإنهم من تلقاء أنفسهم لايتوافقون مع الله فى صفاته السامية كما يقعون من جهة استحقاقهم الذاتى تحت طائلة قصاصه الأبدي"[١].

كما ذهب آخر إلى القول إن موسى، عليه السلام، يعد:

"من أعظم وأقدر القديسين الأتقياء الذين عاشوا في أي وقت.. وبالرغم من عظمته فقد كان إنساناً وأخطأ. وقد عاقبه الله على الخطية وحرمه من إتمام رغبته العظمى في الدخول إلى أرض الموعد. ومهما كانت عظمة موسى فإنه لولا نعمة المسيح له لكان قد هلك واستحق عقاباً أبدياً على خطيته. إن الله قد خلصه كما أنه يخلص جميع الذين يتوكلون على المسيح"[٢].

بل إنهم عندما تحدثوا عن بلعام أحد أنبياء بني إسرائيل قالوا "من الغباء أن تدعوه بأي شئ غير أنه نبي حقيقي، وهذا لايعني بالطبع أنه كان إنساناً كاملاً، لقد إرتكب خطايا شنيعة جداً"[٣].

---

(١) عوض سمعان فلسفة الغفران في المسيحية، القسم الأول، ص٧٦. راجع أيضا: محمد مجي مرجان، المسيح إنسان أم إله، هذبه وحققه وعلق عليه عبد الرحمن دمشقية، ١٣٥-١٣٦.

(٢) تفسير الكتاب المقدس، ج١، ص٣٨٥.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٩١.

كما قال آخر "إن ... اليمبس -أي جهنم- مقراً لأرواح الصالحين الأبرار الذين أوصدت في وجههم أبواب السماء بسبب خطيئة آدم الأولى، فلبثوا حتى مجيئ آدم الثاني -أي المسيح-"(١) فما قيمة الأعمال الصالحة؟ وماقيمة التوبة الصادقة إذا كانت لعنة الخطيئة تصل الصالحين والأنبياء وتجعل مقرهم السعير؟

ويتحدث عوض سمعان عن فشل التوبة في تحقيق نجاة الإنسان أو إخفاء شناعة الخطيئة فيقول:

"إذا تاب الإنسان توبة حقيقية عن الخطيئة في كل مظهر من مظاهرها، وإن كان هذا من المتعذر على الإنسان القيام به من تلقاء ذاته،...؟ فإنه لايكون قد فعل أكثر مما يجب عليه، أو بالحرى لايكون قد أتى جميلاً يمكن أن يكون تعويضا عن خطاياه الماضية، حقا قد ينسى الإنسان هذه الخطايا، وقد ينساها الناس أيضا، لكن الله لاينساها فالماضي والحاضر والمستقبل حاضر أمامه. ولذلك قال الحكيم (**الله يطلب ما قد مضى**) (الجامعة ٣:١٥) فالتوبة مهما كان شأنها، ليست بكافية للصفح عما مضى من خطايا..."(٢).

فإذا كانت توبة المؤمن الصادق عن خطايا الأمس، ليست كافية للصفح، كما تقرر الديانة المسيحية، فهل إتجاه المؤمن المسيحي للأعمال الصالحة يخفف عنه وزره.

عن هذا يتحدث القس لبيب ميخائيل فيقول:

---

(١) بولس سلامة، مع المسيح، ص٢١٣، راجع أيضاً: عبيدة الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمد شامة، ص١٧٤.

(٢) فلسفة الغفران في المسيحية، القسم الأول، ص ٦٩.

"الواقع أن الأعمال الصالحة حينما تؤدي بقصد الخلاص من عقاب الخطيئة، تعتبر إهانة كبرى لذات الله، إذ انها دليل على اعتقاد من يقوم بها بأن في قدرته إزالة الإساءة التي أحدثتها الخطيئة في قلب الله عن طريق عمل الصالحات، وتأدية بعض الفرائض والصلوات... وكأن قلب الله لايتحرك بالحنان، إلا بأعمال الإنسان!! وياله من فكر شرير مهين!!."

يقول بولس الرسول:

(الإنسان لايتبرر بأعمال الناموس ... لأنه بأعمال الناموس لايتبرر جسد ما... لأنه إن كان بالناموس بر، فالمسيح إذاً مات بلا سبب) غلا ٢: ١٦، ٢١... ومع هذا فإن الأعمال الصالحة تعتبر تعبيراً جميلاً عن إحساسنا بمحبة الله لنا، إذا صدرت عن قلب يعرف فضله عليه، ويشعر بحبه الغامر الذي ظهر على الصليب... فإننا نستطيع القول بأن الأعمال الصالحة هي تعبير عن شكرنا لله.... وإذاً ففي مقدورنا أن نقرر بأن أعمالنا وصلاحنا، وذبائحنا، وعطايانا، كل هذه لاتستطيع أن تغطي الإساءة التي أحدثتها الخطية في قلب الله!".[١]

وهكذا عدت الديانة المسيحية حرص الإنسان المؤمن على التزام السلوك السوي، واجتنابه المنكرات، أمراً لايؤجر عليه، فحاله كحال المسيحى الذي يرتكب المعاصي ولايأبه بالصالح من الأعمال، وقد تحدث بولس الرسول عن ذلك فقال: "**أما الذي يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين. وأما الذي لايعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً.**"[٢]

---

(١) القس لبيب ميخائيل، قضية الصليب، ص١١٣-١١٦.

(٢) رسالة بولس الرسول الى أهل رومية، الإصحاح الرابع، الفقرتان: ٤و٥

المبحث الثالث

عالمية المسيحية

انبثق عن عقيدة الفداء عند النصارى الإيمان بعالمية المسيحية، لأن الفداء في تفسيرهم اللاهوتي لم يكن فداء لبني إسرائيل قوم المسيح دون غيرهم، بل شمل العالم أجمع، وإلا عذ هذا تحيزا لهم وظلما لغيرهم، وهو محال، فصفة العدل من صفات الإله الثابتة في الديانة المسيحية. رغم كثرة تخبطهم في تصورهم لهذه الصفة.

وقد أكد الدكتور جورد فورد عمومية الفداء بقوله: "العاقل يعلم أن شروط الخلاص والهلاك أجل وأعدل من أن تكون مذهبية وأن تتنوع وتختلف باختلاف الشعوب والنحل"(١). فالفداء كان فداء للإنسانية من حمل الخطيئة الأولى ولعنتها التي إنتقلت إليها إثر معصية آدم وحواء، ومن ثم كان الأمل في النجاة من هذا الميراث المضني منحصرا في الإيمان بالمسيح الفادي.

معالجة نصوص العهد الجديد وشرائحه لهذه العالمية:

يمكن تقسيم نصوص العهد الجديد التي يستند إليها النصارى في القول بعالمية المسيحية إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : يشرح شمولية الفداء ويؤكدها.

القسم الثاني : ينسب للمسيح أقوالا تؤكد قوله بهذه العالمية.

القسم الثالث : يتحدث عن المسيح كديان للعالم.

وستكون الإشارة إلى كل من هذه الأقسام على حدة، مع ذكر رأي شراح العهد الجديد لهذه العالمية من خلال تفسيرهم لبعض هذه النصوص،

---

(١) نور العالم، ص٣٨.

ومن ثم الإشارة إلى مفهوم بعض علمائهم لهذه العالمية.

القسم الأول:

تبين مما سبق قول النصارى بالفداء، فالسبيل الوحيد -عندهم- للخلاص هو الإيمان بالفادي الذي بذل دمه فداء للإنسانية من حمل الخطيئة الأولى، في هذا الشأن يتحدث العهد الجديد فيقول:

١- ماورد في إنجيل مرقس الإصحاح السادس عشر. **(من آمن واعتمد خلص. ومن لم يؤمن يُدن.)**[١]، ويلاحظ على النص السابق عموميته في التأكيد على عقيدة الخلاص الذي يتحقق بالإيمان.

٢- وفي رسالة يوحنا الأولى هناك مايفيد هذه العمومية بشكل واضح وقد جاء فيه: **(فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار هو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم)**[٢].

٣- كما ورد في سفر الأعمال الإصحاح العاشر منه: **(أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا.)**[٣].

وقد قام أحد مفسري العهد الجديد بتفسير هذا النص فأكد هذه العمومية قائلا:

"إن كل من يؤمن به سواء كان يهوديا أو إمميًا، **(ينال باسمه غفران الخطايا)** حتى لو لم يكن قد عرف الله من قبل، أو قام بأعمال البر"[٤]، ويؤكد هذا التفسير قولهم بعالمية المسيحية على أساس أن الخلاص المشار إليه في نص سفر الأعمال وماشابهه خلاص للعالم أجمع دون تميز، ودون شروط

---

(١) الفقرة: ١٦.

(٢) الإصحاح الثاني، الفقرة:٢.

(٣) الفقرة: ٤٣.

(٤) جون ويسلي وآخرون، تفسير أعمال الرسل، نقله الى العربية الدكتور عزت زكي، ص٩٢

سوى الإيمان بالمسيح الفادي، وقد علل الدكتور جورج فورد هذه العالمية مؤكدا لفحواها بقوله:

"فكما أن الله لكل البشر لايمكن تخصيصه بفئة أو ملة أو أمة دون غيرها، يجب أن يصح ذلك أيضا في من هو إبن الله الوحيد... وتخصيص النصارى إياه بهم وحدهم خطأ عظيم ناتج عن إهمالهم درس الإنجيل وعدم إعتمادهم تعاليمه. فيسوع ابن مريم مسيح كل من يقبله من بني البشر أجمعين في كل زمان ومكان ودعوته عمومية لجميع الناس بقطع النظر عن المذهب والجنس. وكل ذلك مؤيد وموضح في الإنجيل.

كل الأنوار التي من صنعة البشر تكون محصورة في مكان واحد معلوم بخلاف الذي خلقه الله فهو عام ويضيء على كل العالم وفرق كهذا ظاهر بين الدين الذي هو ابتداع بشري ليحصر زعيمه وكتابه في فئة واحدة من البشر وبين الذي يوحيه الله ويعلنه للناس فيكون عاما ويشمل البشر جميعا ولايتحمل الإنحصار أو الإحتكار.

فيسوع المسيح مخلص لكل البشر والكتاب المقدس أي التوراة والإنجيل رسالة موجهة لكل البشر على السواء."[١]

القسم الثاني:

لم يستند النصارى في إثبات عالمية الديانة المسيحية إلى أساس عالمية الفداء، وشمولية الخلاص للعالم فقط ، بل استندوا في ذلك -أيضا- إلى بعض النصوص الواردة في العهد الجديد التي تتحدث في مجملها عن

---

(١) الدكتور جورج فورد، نور العالم، ص٦٣-٦٤ .

ظهور الفادى- المسيح- لتلامذته وأمره لهم بنشر الدعوة بين الناس، وكذا النصوص التي تتحدث عن ظهوره، لبولس أثناء توجهه لدمشق للنيل من اتباع الديانة المسيحية، حيث تلقى بولس الأمر بنشر الدعوة المسيحية بين الأمم من المسيح نفسه، وسوف نستعرض فيما يأتي بعض هذه النصوص.

أ- مسألة ظهور المسيح لتلامذته

فقد ورد في انجيل متى ما يشير إلى هذا حيث جاء فيه على لسان المسيح(**فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم**)[١]، كما تحدث إنجيل مرقس في الإصحاح السادس عشر عن هذه القصة فقال: (**أخيرا ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام، وقال لهم إذهبوا الى العالم اجمع واكرزو* بالانجيل للخليقة كلها. من آمن واعتمد خلص. ومن لم يؤمن يدن**)[٢]، وعندما فسر جون ويسلي هذه الوصية أكد عالمية المسيحية بقوله:

"يتكلم الرب دون حدود أو قيود، ولذا فلو لم يسمع أى مخلوق في أى سن بهذا الإنجيل، فأما أولئك الذين كان يجب أن يبشروا ولم يفعلوا والذين كان يجب أن يسمعوا أو كلاهما قد خالف وصية الله هنا"[٣].

بل إن بعض علماء الديانة المسيحية عدّ هذا النص بمثابة إلزام لابد من تطبيقه فقالوا: "هذه الكلمات تلزم الكنيسة في جميع الأجيال بإرسال

(١) الاصحاح الثامن والعشرون، الفقرة:١٩.

* الكرازة: في معناها انواسع... اعلان كلمة الله يقوم به من أعطوا رسالة لذلك في الكنيسة باسم المسيح.

والكرازة في اليونانية... بشارة، معجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة الكرازة.

(٢) إنجيل مرقس، الإصحاح السادس عشر - الفقرات: ١٤-١٦.

(٣) جون ويسلي، تفسير إنجيل مرقس نقله إلى العربية إدوارد وديع عبد المسيح،ص٩٣.

الإنجيل إلى كافة العالم إلى أن تتلمذ كل شعوب الارض:[١].

غير أن نص مرقس الذي يتركز عليه تأكيد النصارى في القول بعالمية المسيحية، يعتريه كثيرا من ضعف، بسبب ما ألمح إليه أكثر علمائهم من عدم معرفة مصدر الفقرات الإثنتي عشرة الأخيرة من الإصحاح السادس عشر وهي التي إمتدت على النص المشار إليه، ومما ورد في هذا الشأن ما ذكر من أن:

"هذه الأعداد الإثنى عشر الأخيرة تعرض مشكلة هي من كبريات المشكلات النصية في العهد الجديد. تكون التفاصيل الرئيسية على النحو التالي، لايورد المخطوط السيناني، والمخطوط الفاتيكاني شيئا من هذا القسم مع أن الذين نسخوهما ربما كانوا على علم به. وتأتي أربع مخطوطات أخرى أقل وزنا وشأنا بخاتمة مغايرة وأقصر جدا...أما معظم المخطوطة الأخرى المكتوبة بالخطوط الكبيرة والخطوط العادية الجارية...فتؤيد إدراج الأعداد ٩-٣٠ من الإصحاح السادس عشر... الرأي المقبول عامة وهو إما أن يكون إنجيل مرقس قد أصيب بتشويه في آخر صفحة منه في وقت جد مبكر وإما أن مرقس لم يكن بوسعه أن يتمه. ربما بسبب تفاقم الإضطهاد. ويبقى هناك على كل حال إمكانية رغبة مرقس في أن يختتم الكلام على نحو فجائي منقطع عند العدد الثامن..."[٢].

---

(١) تفسير العهد الجديد، ص١٢٨.

(٢) تفسير الكتاب المقدس، ج٥، ص١٦٦. راجع أيضا: دائرة المعارف الكتابية. مادة إنجيل مرقس. وقاموس الكتاب المقدس مادة إنجيل مرقس.

إن كل الإحتمالات التي وردت في النص السابق تدفع الى رفض مضمون نص مرقس بما يشمله من تفسير، فهو نص لم يتمكن علماؤهم من إثبات صحة نسبته لمرقس كاتب هذا الإنجيل، ولانعرف كيف نال هذا النص من علماؤهم الإقرار والتقديس على مافيه من غموض، أدى إلى قولهم أنه من أكبر المشكلات النصية في العهد الجديد لعدم وجوده في المخطوطات المعتمده لديهم، أو أن السبب في ذلك قد يعود إلى ماأصاب إنجيل مرقس من تشويه، أو لعدم تمكن مرقص من كتابته أصلاً لخوف أصابه من تزايد الإضطهاد، او لرغبته في عدم إضافتها.

ب - مسألة ظهور المسيح لبولس(١)

أورد سفر الأعمال هذه القصة على لسان بولس فذكر أنه تلقى تكليف المسيح له بنشر دينه بين الأمم قائلا له: **(قم وقف على رجليك لأني لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به منقذا إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا...)(٢).**

لقد حدد بولس بكلامه هذا السياسة التي إعتمد عليها في نشر الديانة المسيحية، وجعل غفران الخطايا الأساس في هذه الدعوة، كما أكد أن من لم

---

(١) بولس: ذكر إنه كان من ألد أعداء المسيح وهو يوناني الجنسية، واسع الثقافة وبعد حادثة الصلب بأربع سنين يفاجئ الناس باعتناقه المسيحية ودفاعه عنها وبتكريس وقته، وماله للدعوة إلى المسيحية، كتب "١٤" رسالة أرسلها إلى مختلف الأمصار، وقد لقح المسيحية بكثير من الأفكار والعقائد العالمية حتى يضمن لها القبول في مختلف الأصقاع ومات سنة ٦٧ أو ٦٨ ب.م. راجع: دائرة المعارف الكتابية. مادة بولس الرسول وقاموس الكتاب المقدس. مادة بولس.

(٢) سفر الأعمال. الإصحاح السادس والعشرون، الفقرات:١٦-١٨

يؤمن بالفادي، وهو يعمل البر لن ينال من بره هذا شيئا وإلى الجحيم مصيره»

وفي هذا الشأن تحدث بولس إلى أهل رومية قائلاً: (**الذي يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين. وأما الذي لايعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر بإيمانه يحسب له براً**)[١]، ويتبين لنا مما سبق أن الحديث عن عالمية الديانة المسيحية كان يستدعي الإشارة إلى بولس الذي أخذ على عاتقه نشر هذه الديانة في أرجاء المعمورة وقتئذ، وقد فسرت دائرة المعارف الكتابية هذه المسألة لتأكيد تكليف المسيح لبولس، وجاء هذا التأكيد على النحو التالي:

"القناعة ... التي أصبحت واضحة أمام بولس، هي أن الرب يسوع المسيح قد اختاره ليكون رسولاً للأمم يحمل إليهم رسالة الرب الذي صلب وقام، ولكي يأتي بهم إلى وحدة الجسد في المسيح كان واثقاً أن الرب أعطاه فهما جديداً لتدبير الفداء"[٢].

القسم الثالث:

ومن الدلالات التي إعتمدتها المسيحية لتثبيت فكرة عالمية المسيحية، ماورد في العهد الجديد عن المسيح كديان للعالم، مقررة أن خالق السموات والأرض موجد البشر لن يتولى حساب ذرية آدم، فحسابهم من إختصاص المسيح، وقد وردت جملة من النصوص المسيحية تدل على ذلك، منها:

١- ماورد في إنجيل يوحنا: (**لأن الآب لايدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للإبن**)[٣].

---

(١) الإصحاح الرابع، الفقرتان: ٤و٥.

(٢) مادة بولس الرسول. راجع أيضاً: المستشار محمد عزت الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق، ص٤١٦.

(٣) الإصحاح الخامس، الفقرة: ٢٢.

٢- كما ورد في إنجيل متى: **(ومتى جاء إبن الإنسان في مجده وجميع الملائكة قديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يامباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم... ثم يقول أيضا للذين عن اليسار إذهبوا عني ياملاعين إلى النار الأبدية المعدة لأبليس وملائكته...)**(١).

وللدلالة على الأهمية التي شملتها هذه العقيدة يكفينا النظر إلى قرار مجمع نيقية المعتمد عام ٣٢٥م، والذي تحدث عن المسيح فقد قال: **(وسيأتي من هناك -أي السماء- ليدين الأحياء والأموات)**(٢).

وقد فصلت دائرة المعارف الكتابية ما سيحدث في هذا اليوم مبينة حالة المؤمنين الحقيقيين بقولها: "سيكون كل المؤمنين بجانب المسيح عند الدينونة ..."(٣).

كما أكدت أن هذا الحساب سيكون شاملا للإنسانية كلها إذ قالت: "والذين سيقفون أمام المسيح للدينونة هم كل البشر إبتداء من آدم وبلا إستثناء ولكن بخاصة كل المدينين..."(٤).

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح الخامس والعشرون، الفقرات: ٣١-٤١.

(٢) القس إلياس مقار، إيماني، ص٦٦.

(٣) مادة مجئ المسيح، راجع أيضاً القديس أغوسطينوس خواطر فيلسوف في حياة الروحية للقديس أغوسطينوس، نقلها إلى العربية الخوري يوحنا الحلو، ص٥٩.

(٤) دائرة المعارف الكتابية، مادة مجيء المسيح. راجع أيضا: القديس أغوسطينوس، خواطر فيلسوف في حياة الروحية للقديس أغوسطينوس، نقله إلى العربية، الخوري يوحنا الحلو، ص٥٤.

كما قررت أن التفرقة بين السعيد والشقي في يوم الدينونة تكون على أساس الإيمان بالمسيح بقولها:

"وأما جماعة المؤمنين القديسين الذين تبرهن أعمالهم على إيمانهم وبرهم، فسوف لايأتون إلى الدينونة... وسوف يدين المسيح الناس حسب أعمالهم... وحيث إن أساس كل عمل خاطئ إنما هو عدم الإيمان، فسيكون الفصل هو الإيمان أو عدم الإيمان"(١).

وهكذا أصبح هذا اليوم يمثل في نفوس اتباع الديانة المسيحية الحلم الذي يتطلعون إليه، ويعقدون الأمل على حدوثه، فإيمانهم بالفادي سيحقق لهم السعادة، والنعيم، والنجاة، من الخطايا.

وعن هذه القضية تتحدث رسالة رومية قائلة **(إذا لاشئ من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح. لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت،**(٢).

كما يقرر علماء المسيحية أن حدوث هذا اليوم محال مالم تنتشر دعوة المسيحية في ذرية آدم، التي حملت الخطيئة عن أبيها واحتاجت فداء المسيح وخلاصه، وعن ذلك تحدث إلياس مقار فقال:

> "ثمة علامة أكيدة تسبق مجئ المسيح، وهي وصول رسالة الإنجيل إلى كل العالم، إذ يقول السيد: **(ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم)** (مت٢٤:١٢) ولاينازع أحد قط في ضرورة وصول هذه

---

(١) دائرة المعارف الكتابية، مادة مجئ المسيح. راجع أيضا: القديس أغوسطينوس، خواطر فيلسوف في حياة الروحية للقديس أغوسطينوس. نقله إلى العربية الخوري يوحنا الحلو، ص٥٩-٦٠.

(٢) في الأصحاح الثامن، الفقرتان: ١و٢.

الرسالة إلى جميع أطراف الأرض قبل مجئ المسيح... إذ ستصبح الأرض كلها للرب ولمسيحه، وتحكم مبادئ الإنجيل... حياة الناس، وجميع تصرفاتهم وأعمالهم، وعليه فيمكننا أن نؤكد مبدئيا أن الكرازة بالإنجيل في كل الأرض هي القدر المتيقن المتفق عليه عند الجميع، وإنها لابد أن تتم قبل مجئ المسيح"(١).

ويتبين لنا مما سبق عظم الإهتمام بمبدأ عالمية المسيحية فلا يتصور الإيمان بها دون العمل على نشرها في أصقاع المعمورة، ولذا نجد النصارى يعملون بجد على تحقيق هذا المبدأ مستخدمين شتى الوسائل في إقناع الأمم بالفادي المسيح. وستكون لنا رجعة إلى هذا الموضوع، لإلقاء الضوء على جانب آخر يتعارض وقولهم بالعالمية، تفادي النصارى الوقوف عنده، لقوة حجته في دحض قولهم بهذه العقيدة.

---

(١) إيماني، ص٥٣٧.

الفصل الثاني

الإثم الفردي والغفران في تصور الكنيسة

يتبين لنا من العرض المتقدم أن الأساس الأول في الديانة المسيحية هو عقيدة الخلاص، فالمسيح المخلص نزل من السماء وصلب ومات ليخلص المؤمنين من وزر الخطيئة الأولى، التي تحملتها البشرية قرونا طويلة، فالإبتلاء في عرف المسيحية ليس إلا نتيجة للعنة الخطيئة التي أوقعها الإله على آدم وذريته بعد السقوط، وقد أشار إلى ذلك معجم اللاهوت الكاثوليكي فذكر "أن سبب العذاب والألم والموت هو الخطيئة عينها -أي الخطيئة الأصلية-"[١]، وهذا يعني أن موت المسيح كان لرفع هذه اللعنة، كما أشار القس إلياس مقار إلى هذه المسألة فقال:"موت المسيح كان كفارة وفداء عن العقوبة التي وقعت على الجنس البشري كله بسقوط نائبه الأول"[٢].

ورغبة منه في توضيح غاية الخلاص قال إنها "ليست هي رفع الخطية كعقوبة فحسب، بل أكثر من ذلك التحرر منها كعادة وسرطان ومرض."[٣]

واعتمادا على هذه العقيدة فإن المؤمن المسيحي يتحول بعد الفداء إلى حالة النقاء التي خلق عليها الإنسان الأول قبل السقوط خال من الخطيئه ولعنتها، سعيدا كما كان قبلها. غير أننا لو تناولنا هذا الأمر من منظور واقعي

---

(١) مادة الخطيئة الأصلية.

(٢) إيماني، ص ٣٩٨.

(٣) القس إلياس مقار، إيماني، ص٤١٠. راجع أيضاً: شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي القرافي، الأجوبة الفاخرة ص١٠٩. وعبد المجيد الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى - إلى نهاية القرن الرابع/العاشر، ص٣٩٩-٤٠٠.

فسنجد أن الحياة المسيحية لم تتغير، فما زالت كما عرفها التاريخ تشوبها المكاره ويعتريها الشقاء، والمؤمن المسيحي مازال مثقلا بالمصائب يشقي ويتعب، والشرور لم تزل تحيط بمجتمعات ترفع الصليب فوق رؤسها.

وقد أثار هذا التناقض بين الواقع الذي يعيشه الفرد المسيحي، والعقيدة التي آمنوا بها، سؤالاً مهماً هو، لم إذاً صلب المسيح ومات، مادام ذلك لم يغير معالم الواقع المر؟ وأين الخلاص الذي وعدوا به؟ ولم يكن مصدر هذا السؤال استنتاجاً بني على الظن، فقد إعترف بوجوده كثير من علماء الديانة المسيحية، ومنهم القس إلياس مقار، الذي حاول في كتابه (إيماني) تفسير مايتضمنه من تناقض، قائلاً:

"ولكن السؤال مايزال يتابعنا، إذ بأى معنى يخلص المسيح من الخطية؟ ومن الواضح إذا كان مخلصا حقا، فلابد أن يخلص إلى التمام من جميع ما تطبعه أو تتركه الخطية في حياة الإنسان وفي لغة أخرى لابد أن يتمم"(١).

وأمام تلك التناقضات إنقسم المؤمنون بالمسيح إلى قسمين:

قسم حاول تطبيق تعاليم المسيح المثالية إعتقادا منهم أنهم نالوا الخلاص بإيمانهم به، منتظرين تغير حالهم تحقيقا لوعد قدم لهم من رجال الكنيسة، ليفاجئوا بأن الشقاء مازال ملازما لهم والمصائب تزورهم بين الحين والآخر، الأمر الذي أصابهم بخيبة مريرة دفعتهم للإبتعاد عن الكنيسة ورجالها، رافضين سلطانها وتعاليمها، فقد أثبتت التجربة الواقعية فساد أقوال رجالها وتعاليمهم.

وقسم آخر إتبع هواه مرتكبا المخازي غير آبه بالفضائل الأخلاقية التي نادت بها الأديان السماوية، إعتماداً منه على الخلاص الذي وعد به من

---

(١) ص٣٨٥.

قبل الكنيسة فبإيمانه يخلص لا بالأعمال، فالفاسق والصالح سواء بإيمانهما بالمسيح الفادي، وهكذا ابتعد هذا القسم عن الكنيسة، فما الداعي للإرتباط بها وتنفيذ تعاليمها مادام المسيحي قد نال الخلاص بإيمانه القلبي لا بالأعمال.

وعن الإعتقاد بهذا الخلاص، تحدث بولس في رسالته إلى أهل رومية بقوله: (**بِرُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون. لأنه لافرق. إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله لإظهار بره في الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع. فأين الإفتخار. قد إنتفى بأي ناموس. أبناموس الأعمال. كلا. بل بناموس الإيمان. إذا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس**)(١).

كما ورد في السفر نفسه في الإصحاح الخامس منه أنه قال: (**لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد إزدادت للكثيرين. وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية. لأن الحكم من واحد للدينونة. وأما الهبة فمن جرى خطايا كثيرة للتبرير. لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح. فإذا كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة. لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً.**)(٢).

---

(١) رسالة بولس الى أهل رومية، الإصحاح الثالث، الفقرات:٢٢-٢٨.

(٢) الرسالة نفسها، الفقرات: ١٥-١٩.

ولمعالجة هذا الإنقسام الذي سبب حرجا لرجال الكنيسة، حاول بعض الباحثين المسيحيين التفرقة بين الخطيئة الأصلية التي إنتقلت للبشرية من آدم والخطيئة الفعلية التي تصدر عن الإنسان بذاته هو.

أما كيف يمكن أن يرتكب المؤمن الخطايا وهو الذي تطهر من الخطيئة الأولى ولعنتها ليصبح كما كان عليه الإنسان الأول قبل السقوط نقيا خالياً من أي فساد. فقد حاول تفسيره أحد رجال الدين المسيحي فقال:

"الإنسان لايرث من أبويه مجيئه إلى العالم بما يحفل به هذا المجئ من شقاء أو ضيق أو ألم أو تعاسة أو شدة قد يلاقيها في هذه الأرض، بل يرث أكثر من ذلك مركز أبويه القانوني أمام الله...

-الخطيئة الأصلية- التي تلاحق مولود كل إمرأة بنص الكتاب والواقع، فالكتاب يفيد بأن الجنس البشري ورث الأبوين الأولين في سقوطهما الجرم وفساد الطبيعة، ألم يقل داود في ذلك: (**هاأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بي أمي**) (مزاه:٥) وقال بولس (**من أجل ذلك كإنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع**) (رو٥:١٢).

والواقع يشهد بذلك تماما لأن آدم وحواء إما أنهما كانا في سقوطهما نائبين عن الجنس البشري. أو أن هذا السقوط كان قاصراً عليهما دون أن يمتد إلى أولادهما، فإذا كان الأمر الأخير فمعنى ذلك أننا نولد أبرياء في استقلال تام عن كل نزعة أو ميل أو إنحراف إلى الشر أو الفساد أو الخطية،... وهذا مالا يستطاع التسليم به على وجه الإطلاق !!.. فإذا أمكن التسليم بالطبيعة البشرية الفاسدة من واقع الإختيار

الملموس في حياة الناس، فإن النتيجة تنتهي بنا بالدليل العكسي إلى قبول السبب والتسليم بحقيقة الوراثة الآتية إلينا من الأبوين الأولين، فإذا أضيف إلى هذا أننا خطاة ومدينون ليس على أساس الخطية الأصلية فحسب، بل على أساس ماترتكب من خطايا فعلية مستمرة دائمة أمام الله، أضحى مركز كل بشري مركز المدين أمام الله بدين الخطية الأصلي والفعلي معاً... لقد خلق الله الإنسان وربطه بطبيعته تعالى ونظامه وناموسه الأدبي، وكل خروج على هذه الطبيعة وحكمها الأدبي وعدالتها وحقها وقداستها لابد أن ينال الجزاء، والإنسان بهذا المعنى مدين من هامة رأسه إلى أخمص القدم، وفي حاجة إلى الخلاص من دين الخطية"(١).

وهكذا أصبح المؤمن المسيحي في وضع لايحسد عليه، فما كاد يفرح بالخلاص المزعوم حتى اعتراه الأسى، فقد وقع بما خلص منه، فهاهي ذي خطاياه تضيق خناقها عليه بسلاسل الشقاء والألم والحزن.

وهذا ماأرادت الكنيسة أن يحدث، فهي تريده مهزوما ضعيفا لاجئا إليها يبحث عن النجاة، والإجابة عن هذه القضايا التي عجز العقل عن فهمها، فكيف يحمل وزر خطية أبويه وخطيئته الشخصية، في حين يحمل أبواه وزر خطيئتهما فقط، وإذا كان العدل تحقق بصلب المسيح فداء من الخطيئة الأولى وميراثها، فهذا الفداء نعمة لآدم وحواء الذين نجوا بالفداء من خطيئتهما، وأصبحا نقيين من الدنس كحالتهما الأولى قبل السقوط، أما إبن آدم فبعد الفداء من الخطيئة الأصلية، مازالت عليه الخطايا الفعلية التى صدرت منه نتيجة ميراث فساد الطبيعة الذي إنتقل إليه من أصله الأول.

---

(١) القس إلياس مقار، إيماني، ص٣٨٥-٣٨٧.

فما السبيل للنجاة من هذه الخطايا، إذا كانت التوبة والأعمال لاتؤدي إليها. ولقد عمدت الكنيسة عند رؤية أتباعها وهم على هذه الحالة من الإضطراب، أن تصدرت عقولهم مقررة أن مفتاح النجاة بأيدي رجالها، فهي التي بإمكانها غفران هذه الخطايا الفردية أو جزء منها مقابل الاعتراف وأداء التعويض الذي يقرره رجل الدين.

ولتطفي على ذلك ثوب الشرعية أصدرت قانونا بمنح هذه الصلاحية لرجل الدين، وهو الصادر عن المجمع الثاني عشر المنعقد في روما عام١٢١٥م.(١)، فقد كان من أهم قرارات هذا المجمع مانصه "الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء"(٢)، ولكن رجال الكنيسة، وعلى رأسهم البابا "الرئيس الأعلى للكنيسة كلها حسب التعليم الكاثوليكي"(٣)، من ذرية آدم، فإذا غفرت خطيئتهم الأصلية بالفداء كما يقرر دينهم، فمازالت خطاياهم الشخصية تلاحقهم أينما ذهبوا، فكيف يتسنى لمخطئ تبرئة مخطئ وكيف يمنح الغفران من هو في حاجة إليه(٤)، ولتفادي هذا الاحتجاج الذي ترتفع به أصوات الكثيرين، أصدروا قرارا آخر يفيد عصمة البابا، وهو القرار الصادر عن المجمع العشرين المنعقد في روما عام ١٨٦٩م.(٥).

وهكذا أصبحت قرارات الكنيسة قرارات تتسم بالعصمة من الضلال، فرأسها البابا معصوم، وعصمته تلك تنتقل بالتالي لقراراته. ولكن ما هي

---

(١) راجع: متولي يوسف شلبي، أضواء على المسيحية ص١١٥. راجع أيضا: الدكتور رؤوف شلبي، يأأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص٢٤٧.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) معجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة البابا.

(٤) راجع: كتاب المباحث في إعتقادات بعض الكنائس، ص٥٦-٦٣.

(٥) راجع: متولي يوسف شلبي، أضواء على المسيحية، ص١١٦. راجع أيضا: الدكتور رؤوف شلبي، المسيحية الرابعة، ص١٤٩. وشريف محمد هاشم، الإسلام والمسيحية في

العصمة وما حدودها؟ فقد تكفل معجم اللاهوت الكاثوليكي ببيان المراد منها فقال:

"تعني هذه الكلمة أن تعليم الكنيسة عندما يعرض عقيدة إيمانية بصورة نهائية وموجبة، هو معصوم بالنعمة من كل ضلال... وبما أن الكنيسة هي وجود تاريخي في يسوع المسيح لإرادة النعمة الإلهية وبالتالي، في الحقيقة والمحبة، للخلاص النهائي الذي لايناهضه شئ في هذه الحياة، فإنه من الواجب أن تعصم بمجملها بقوة نعمة الله (وليس بقوى أعضائها البشرية) لكي لاتنحط عن الحقيقة الإلهية"(١).

أما من أين إستمدت الكنيسة هذا الوجود التاريخي في يسوع المسيح، فيشير إليه القس إلياس مقار، إذ يقول:

"إن للكنيسة سلطان لاشبهة فيه، وهي تستمد هذا السلطان من وعد المسيح وأمره إذ قال لبطرس:**(وأعطيك مفتاح ملكوت السموات فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات وكل ماتحله على الأرض يكون محلولاً في السموات)**(مت١٦-١٩) على أن المسيح وهو يعطي هذا السلطان لبطرس لم يعطه إياه كفرد، بل كالتلميذ المعترف والمؤمن بلاهوت المسيح عندما قال: **(أنت هو المسيح ابن الله)** وقد أكد المسيح هذا بما لايدع مجالا للبس، إذ بين أن هذا سلطان الكنيسة كلها: **(وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار. الحق أقول لكم كل ماتربطونه على الأرض يكون مربوطاً في**

(١) معجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة العصمة.

السماء وكل ماتحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء) (مت ١٨: ١٧و١٨). وقد تأيد هذا السلطان بأمر المسيح قبل الصعود عندما قال: **(دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والإبن والروح القدس)** (مت٢٨: ١٨و١٩) وهذا حق لأن الكنيسة كمنظمة على الأرض ينبغي أن يكون لها سلطان يقرر وينظم ويدعم كيانها ورسالتها وأعمالها..."[١].

وهكذا أرست الكنيسة سلطانها في نفوس أتباعها بنصوص من الأناجيل، وبقرارات مجمعية، لتتحول بعد ذلك لكيفية استثمار هذه السلطة فأصدرت ماأسمته بالوصايا الخمس، وجعلت تطبيقها ملزما لكل مسيحي بعد التعميد[٢] وبلوغه السابعة من العمر.[٣] والذي يهمنا هنا من تلك الوصايا، الوصية الرابعة فقد جاء فيها: "الإعتراف السنوي (إذ كانت هناك خطايا مميتة)"[٤].

كما تكفل معجم اللاهوت الكاثوليكي ببيان ماهية هذا الإعتراف تحت مسمى "سر التوبة"، مبينا أنه يكون سرا بين الكاهن والخاطئ الذي يعترف

---

(١) إيماني، ص ٤٧٩. راجع أيضا: معجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة الكنيسة.

(٢) المعمودية في العهد الجديد تشبه الختان في العهد القديم، وكلاهما علامة على العهد. ويصرح الله للمُعمِد، بواسطة هذه العلامة. بغفران الخطايا، ومنح الخلاص، أما للمُعمَد فيتعهد هو أو المسئولون عنه، بالطاعة لكلمة الله والتكريس لخدمته... أي أن المعمودية تختم وتشهد على إتحاد المؤمنين بالله، والبنوة وغفران الخطايا وبموت المسيح وقيامته...، راجع: قاموس الكتاب المقدس، مادة معمودية.

(٣) راجع: معجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة وصايا الكنيسة. والدكتور رؤوف شلبي. ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، ص٢٦٠.

(٤) المرجع نفسه.

بذنبه، مضيفا أنه:

"بواسطة هذا السر يبعد الهلاك عن الإنسان ويمحي الفعل الذي به سلّمَ الخاطئ لسلطان الشيطان...

إن الندامة الباطنية التي أساسها الإيمان هي شرط مسبق ضروري لتتميم السر بصورة صحيحة وفعالة ... إن الاعتراف يجب أن يعم الخطايا الثقيلة كلها التي بعد فحص ضمير جدّي يتعرفْ الإنسان إلى مسئوليته شخصيا في إرتكابها ويقر بذنبه. على هذه الخطايا وحدها يدور الإعتراف وأيضا على جنس الخطايا وعددها مع ما هناك أيضا من خطايا نسيت في إعتراف سابق... إن الإعتراف تغطيه السرية التي تنبع من طبيعة السر... ومنذ المجمع اللاثراني الرابع هناك واجب، فرضته الكنيسة. واجب جذري بالإعتراف بصورة صحيحة مرة في السنة إذ ماتعرفنا إلى خطايانا الثقيلة وذنوبنا... أن السلطان المعطي للكاهن يتضمن الحق والواجب بأن يفرض على التائب -حسب فطنته الروحية- تعويضا يوازي بشكل ما ثقل الخطيئة ومعطيات التائب الروحية ...

وأن أساس فرض هذه التوبة هو في أن غفران الخطيئة المرتكبة بعد العماد لايمحو ضرورة كل نتائج الخطيئة وعقوبتها، بل عكس ذلك إن الإنسان بواسطة عقوبات الخطيئة التي لابد منها، والتي يتحملها بصبر وبواسطة نظام التوبة التي يقبلها بإرادته أو التي تفرض عليه، يعني جدية العدل الإلهي وثقل الخطيئة ويدخل في أعماق مشاركة المسيح في آلامه...إن خادم سر التوبة هو الكاهن الذي، لكي يعمل

بصورة صحيحة بالسلطان السري المعطَي له لغفران الخطايا[١].

ويتضح لنا من النص أن إعتراف المؤمن وتوبته في قانون الكنيسة ليسا كافيين للخلاص من الخطيئة الفردية، فلابد من تعويض يوازي خطيئته يفرضه الكاهن عليه اعتمادا على فطنته الروحية في تحديده. وللتعويض أهمية كبرى في الديانة المسيحية – فقد قرر علماؤها أن:

"التعويض السري في سر التوبة هو جزء من هذا السر... ومن المهم أن يتم هذا التعويض السري بضمير ووعي، كتعويض لما هدمته الخطيئة في الإنسان كتعويض مثلا لحب مجروح. لضرر أرتكب لصيت ثُلب ..الخ.. فإذا لم نتمم التعويض السري بعد أن نكون قد أكدنا إرادتنا كليا للتعويض يظل السر صحيحا، إنما يجب أن نقوم بذلك التعويض متحملين نتائج الحقيقة الأليمة"[٢].

أما لو امتنع المسيحى عن أداء التعويض الذي فرض عليه من قبل الكاهن، فسيكون مصيره دخول المطهر بعد الموت مباشرة كمرحلة تطهيرية قبل يوم الدينونة، هذا ماذكره معجم اللاهوت الكاثوليكي بقوله:

"الإنسان يخضع لهذه المراحل التطهيرية إذ يموت مبررا بالنعمة بمقدار ماتكون حالة "العقاب" (المستحق) لاتزال موجودة فيه ولم تزول بزوال الخطايا بالغفران يوم التبرير، وبمقدار ما بالإمكان أن تزيل هذه الحالة عقوبات تعويضه.

أما عن طبيعة هذه المراحل الصحيحة وعن مكان هذه العقوبات فليس لنا في الكتاب المقدس أي دليل... لايجب أن تمنعنا كلمة المطهر من أن نجد

---

(١) مادة:سر التوبة.

(٢) معجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة التعويض.

كلمة أصح وأحسن لندل على هذه المراحل التي نوهنا عنها ... التي تعني حرفيا النار المطهرة"[١]

وهكذا استطاعت الكنيسة إرساء سلطانها على أتباعها، فلابد لهم من طاعتها طاعة تامة، فهي مؤسسة بأمر المسيح معصومة رأس وقراراتها إلزامية، مما أهلها لغفران خطايا رعاياها بحسب ماترى، وعلى المؤمن المسيحي إن أراد الخلاص من خطاياه الشخصية التقدم إليها مرة كل عام على الأقل ليعترف ويتلقى أمرها بتنفيذ التعويض.

وكأني بها تريد من كل فرد من أتباعها أن يدفع ضريبة كنيسة لتتمكن من إدارة شئونها وتوسعة سلطانها وسيطرتها على أتباعها، إلا أن مطامع رجالها لم تزل تتزايد وتتسع، فأصدروا صكوك الغفران التي عادت عليهم بمزيد من الأرباح[٢]، ولقد نقل ويل ديورانت عن أحد المعارضين - وهو الكاثوليكي- المساوئ التي نتجت عن فرض صكوك الغفران فقال:

"إن المساوئ ذات الصلة بصكوك الغفران تنشأ كلها تقريبا من سبب واحد وهو أن المؤمنين بعد أن يشهدوا مراسم التكفير وهي الشرط المقرر المعترف به لنيل المغفرة، يطلب أن يقدموا من المال مايتناسب مع ثرائهم وبذلك أصبح المال الذي يؤدي للأعمال الخيرية

وهو الذي يجب أن يكون من الأعمال النافلة التي لايلزم بها إنسان،

---

(١) مادة المطهر.

(٢) راجع: لإبن محمد عبد الله الترجمان الميروقي، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، دراسة وتعليق عمر وفيق الداعوق، ص١٦٩-١٧١. ونورمان كانتور، العصور الوسطى الباكرة-القرن الثالث /التاسع الميلادي، ترجمة وتعليق الدكتور هاشم عبده هاشم، ص١٤٣-١٤٥، والدكتور قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص٣٣.

أصبح هذا المال في بعض الحالات هو الشرط الأساسى لغفران الذنوب.. وكثيرا ما أصبح المال لا العمل الصالح هو الغاية المقصودة من الغفران ولسنا ننكر أن العبارات التي صيغت فيها قرارات البابوية يخيل إلى الإنسان معها أنها لاتحيد مطلقا عن عقائد الكنيسة وأن الاعتراف والندم والأعمال الصالحة المنصوص عليها في هذه العقائد هي الشرط الأساسي لنيل المغفرة، إلا أن الجانب المالي كان يبدو واضحاً في جميع الأحوال وكان للهبات المالية المقام الأول في هذا الأمر كله مما يسربل الكنيسة بالعار ويجعلها مضغة في الأفواه. اتخذت صكوك الغفران شيئا فشيئا صورة الصفقات المالية، وأدى هذا إلى كثير من النزاع بين السلطات الزمنيه التي كانت تتطلب على الدوام حظها من هذه الموارد.

ولايقل عن بيع صكوك الغفران دلالة على حب الكنيسة للمال قبولها أو طلبها المال أو الهبات أو الوصايا نظير تلاوة الأدعية والصلوات التي يقولون إنها تقصر المدة التي تقضيها روح الميت في المطهر لتعاقب عن ذنوبها وكان الصالحون الأتقياء من الناس يخصصون من أموالهم جزءاً كبيرا لهذا الغرض لتنجو به روح قريب لهم أو ميت فارق الحياة الدنيا أو ليقصروا المدة هم أنفسهم في المطهر بعد موتهم أو يلغوها إلغاءاً تاما. ولهذا أخذ الفقراء يشكون من أن عجزهم عن أداء الأموال نظير الأدعية والصلوات أو لابتياع صكوك الغفران يجعل الأغنياء على الأرض لا الوادعين هم الذين يرثون ملكوت السموات، ولقد كان كوليس حصيفا حين امتدح المال لأن (من يمتلك المال يستطيع نقل الأرواح إلى الجنة)"[١]

---

(١) ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة الدكتور عبد الحميد يونس، م٦،ج١، ص٥١-٥٢.

الباب الثالث

الإسلام والخطيئة الأولى

الفصل الأول: قصة الخطيئة الأولى كما يعرضها الإسلام.

الفصل الثاني: موقف الإسلام من الآثار الناشئة عن الخطيئة الأولى في اليهودية.

الفصل الثالث: موقف الإسلام من العقائد المرتبطة بالخطيئة الأولى في المسيحية.

تمهيـد:

لم يقر الإسلام بكل ماورد في الكتاب المقدس حول قصة الخطيئة الأولى، بل قرر بعض ماورد فيه وأنكر البعض الآخر، كما أن له موقفا من قضية الآثار التي نتجت عن الإيمان بالخطيئة الأولى في الديانتين السابقتين، كما سيتبين من خلال الحديث في هذا الباب - إن شاء الله.

الفصل الأول

قصة الخطيئة الأولى كما يعرضها الإسلام

عندما نعرض لمعصية آدم وحواء في الإسلام، لابد أن نسترشد بما ذكر في القرآن الكريم المرجع الأول للمسلمين، إذ تكررت الإشارة إليها في أكثر من موضع فيه، وهذا التكرار يدل على الأهمية التي يوليها الإسلام لمضمون هذه القصة.

والمتأمل في القرآن الكريم يلحظ أن هذه القصة ترد مجملة في بعض السور، في حين تتوسع في سور أخرى لتورد تفاصيل إضافية عنها، دون أن يكون هناك أي تعارض في الحالتين، لأن الآيات الكريمة تلتقي جميعها حول مضمون واحد، يختلف اختلافا كبيرا في سرد أحداثها عما ذكر في التوراة.

فالمضمون القرآني لهذه القصة يبدأ دائما بشرح أسباب العداوة الأزلية بين بني آدم والشيطان، وهو شرح له أهميته إذ به يستطيع الإنسان أن يقدر عداوة هذا المخلوق وشره، مما يدفع به إلى الحذر منه وتجنب غوايته وضلاله.

ومن الآيات التي نجد فيها تصويرا تفصيليا لهذه القصة قوله تعالى:[**ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين، قال مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرج إنك من الصاغرين، قال أنظرني إلى يوم يبعثون، قال إنك من المنظرين، قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم**

شاكرين، قل أخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين].[١].

ونجد هنا أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا أنه بعد أن أتم خلق الإنسان أمر ملائكته بالسجود والخضوع له إظهاراً لفضله، فامتثل جميع الملائكة لأمره، إلا إبليس الذي امتنع عن الإمتثال لهذا الأمر، كما يؤكد ذلك قوله تعالى: [**إلا إبليس لم يكن من الساجدين**][٢].ولايعني الإستثناء في هذه الآية الكريمة أنه /لعنه الله/ كان من الملائكة، وقد وضح ذلك الأستاذ سيد قطب بقوله:

"يوحي السياق أن إبليس لم يكن من جنس الملائكة، إنما كان معهم - فلو كان منهم ماعصى. وصفتهم الأولى أنهم [**لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايأمرون**]* والإستثناء هنا لايدل على أنه من جنسهم فكونه معهم - يجيز هذا الإستثناء، كما تقول: جاء بنو فولان إلا أحمد. وليس منهم إنما هو عشيرتهم"[٣].

والواقع إن القرآن نفسه يوضح جنس إبليس ويبين أنه ليس من الملائكة، كما أشير إلى ذلك في قوله تعالى: [**وإذ قلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه**][٤]. أما السبب الذي يكمن وراء عصيانه وعدم خضوعه لأمره سبحانه فيعود إلى كبره وغطرسته، إذ اعتقد بأفضلية أصله على أصل آدم المخلوق من طين،

---

(١) سورة الأعراف، الآيات ١١:١٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١١.

* سورة التحريم، الآية ٦.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٥٨.

(٤) سورة الكهف، الآية ٥٠.

ولم ينظر لعنه الله إلى التشريف الذي لحق بهذا المخلوق، عندما خلقه الله سبحانه بيده نافخاً فيه من روحه[١]، ولم يلتفت إلى خاصية العلم التى تفرد بها آدم عليه السلام -بفضل علام الغيوب- فزاده ذلك شرفا. قال تعالى: **[إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين]**[٢]. وقال:**[قال ياإبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين]**[٣].

كما قال سبحانه عن علم آدم: **[وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون]**[٤].

وقد كان الجزاء عصيان إبليس وتمرده عن الإمتثال لأمر الله، أن طرد من الجنة وكتبت عليه الذلة والمهانة، وبيّن القرآن الكريم حال إبليس بعد أن صدر حكم الله عليه، إذ نذر نفسه لغواية الإنسان وإضلاله، ولتحقيق ذلك طلب من الله سبحانه أن ينظره إلى يوم الدين، وما أن سمع أنه من المنظرين حتى أعلن عداوته وحقده على هذا المخلوق وذريته، مقررا عزمه على إضلال وإغواء من يقدر عليه منهم وبكل الوسائل، وبدلا من أن يتوجه إلى الله تائباً طالباً العفو والصفح معترفاً بذنبه، توجه إليه طالبا إمهاله ليتمكن من إغواء الإنسان بغضاً وحقداً منه وحسداً، وكأني به - لعنه الله - قد علق

---

(١) راجع: إبن كثير، تأثير القرآن العظيم. ج٢، ص٢٠٣، وعبد الرحمن ابن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٣، ص٨.

(٢) سورة ص، الآيتان ٧١و٧٢.

(٣) سورة ص، الآية ٧٥.

(٤) سورة البقرة، الآيات من ٣١-٣٣.

ذنوبه وشروره وتمرده على آدم، فدفعته قوى الشر فيه إلى إلحاق لعنته بمن فضله الله تعالى عليه، وبمن كان حسب ظنه المتسبب لما أصابه من طرد وذلة ومهانة، وبعد أن أخبرنا تعالى بمدى عداوة إبليس لآدم تحدث عن معصية آدم - الخطيئة الأولى - لتكون لنا عبرة ودرساً فيزيدنا ذلك حذراً منه، فقد أسكن الله سبحانه وتعالى آدم وزوجه الجنة، وأوصاهما بعدم الإقتراب من شجرة عينها لهما، مبيحاً لهما كل شئ عداها، وتوضيح ذلك في قوله تعالى: [**ويا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين**](١) فأمر الله سبحانه وتعالى - كما تبين في الآية الكريم - لايقتصر على تحريم الأكل من الشجرة المعينة على آدم وحواء بل شمل كذلك تحريم الاقتراب منها، ولم يقتصر أمر الله سبحانه على تحذيرهما من كيد الشيطان، بل أظهر لهما عداوته وما ينوي بهما من شر، قال تعالى: [**فقلنا ياآدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى، إن لك ألا تجوع فيها ولا تعري وإنك لاتظمأ فيها ولا تضحى**](٢).

وكان على آدم الإلتزام بما أمره وأوصاه به الله سبحانه وتعالى، غير أنه نسي وضعف عزمه فعصى أمر الله متبعاً كيد الشيطان عدوه، قال تعالى: [**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً**](٣).

إذاً إستجاب آدم وحواء لوسوسة الشيطان وإغوائه وقد قال الله في ذلك: [**فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وُري عنهما من سوءاتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين. وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين، فدلاهما**

(١) سورة الأعراف، الآية ١٩.

(٢) سورة طه، الآيات من ١١٧-١١٩.

(٣) سورة طه، الآية ١١٥.

بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوأتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين](١). فلقد خدعهما الشيطان بوسوسته، عندما أعاد السبب في نهي الله سبحانه لهما عن الأكل من الشجرة المحرمة لكي لايصبحا من الملائكة، أو حتى لايكونا من الخالدين، وإمعانا في تأكيد كلامه هذا أقسم أنه لهما من الناصحين، فاغترا بقسمه واتبعا غوايته، ليقعا في المعصية بأكلهما من الشجرة المحرمة. وهكذا ظهرت عورتهما بعد أن كانت مستورة كنتيجة فورية مباشرة للمعصية، فأخذا في سترها على الفور بما وقع تحت أيديهما من أوراق الجنة خجلاً منهما وندما على ما اقترفا من معصية.

وقد عاتبهما الله ووبخهما على معصيتهما لأمره واتباعهما لكيد إبليس وغوايته، مما زاد في ندمهما على ماقدمت أيديهما، فتوجها إلى الله سبحانه تائبين طالبين المغفرة. قال تعالى: [**قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**](٢).

فقبل سبحانه توبتهما وعفى عنهما بفضله ومنه، قال سبحانه: [**وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**](٣)، ليتحقق بعد ذلك قدر الله سبحانه باستخلاف آدم في الأرض. وقد أشار تعالى لملائكته إلى هذا الاستخلاف إذ وجدوا في أنفسهم شيئاً من استخلاف جنس يفسد في الأرض ويسفك الدماء. فبين لهم جل شأنه أنها خلافة قائمة على العلم بطبائع الأشياء، وهو ماينقص الملائكة رغم تأصل الطاعة فيهم وما فطروا عليه من العبادة، قال تعالى:

---

(١) سورة الأعراف، الآيات من٢٠-٢٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٣.

(٣) سورة طه، الآيتان ١٢١و١٢٢.

[وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون. وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون](١).

والآيات الكريمة تبين أن الله سبحانه وتعالى وضح حقيقة هذه الحياة. وأنها تختلف عما عهده في الجنة، فلا نعيم مقيم ولا راحة دائمة، بل ابتلاء يعقبه حساب وجزاء، فمن اختار طريق الهدى واتبع ماجاءت به رسل الله فلا خوف عليه في الآخرة. أما من اختار طريق الضلال فمأواه جهنم وبئس المصير.

قال تعالى: **[قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون]**(٢).

هذه قصة معصية آدم وحواء كما وردت في الإسلام، ومن مجموع الآيات التي تحدثت عن هذه القصة يتضح الآتي:

أولا: إن المعصية وقعت من آدم وحواء، فقد نسب القرآن الكريم الذنب لكليهما، ولم يجعل حواء المسئول الأول عن المعصية على نحو ماذكرت التوراة، بل نجد بعض الآيات تخص آدم عليه السلام بالمسئولية، كما في قوله تعالى: **[فقلنا ياآدم إن هذا عدو لك**

---

(١) سورة البقرة، الآيات من ٣٠-٣٣.

(٢) سورة البقرة، الآيتان ٣٨و٣٩.

ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى. إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى، وأنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى][١].

وقوله سبحانه **[وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى]**[٢]. ولعل ذلك يدل على سمة القوامة التي اختص الله بها الرجل.

ثانيا: إن القرآن الكريم لايتضمن أي تحديد لنوع الشجرة المحرمة، فجميع الآيات التى تتحدث عنها لم تشر إلى نوعها. وقد أشار الطبرى إلى ذلك بقوله: "لاعلم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن ولافي السنة الصحيحة"[٣].

بخلاف ماذكره العهد القديم وشراحه من أهل الكتاب. مما أوقعهم في كثير من اللبس على نحو ماسبق بيانه.

ثالثا: إن الحية لادور لها في هذه المعصية، إذ لم ترد أي إشارة إليها في النص القرآنى، بل إن جميع الآيات التي تحدثت عن معصية آدم نصت على أن إبليس هو الموسوس المباشر، مظهرة عمق عداوته للإنسان، وقد أشار الطبري إلى هذه الحقيقة بقوله:

"الحق عندنا ما كان لكتاب الله موافقا، وقد أخبر الله تعالى ذكره عن إبليس أنه وسوس لآدم وزوجته ليبدي لهما ما وُورِي عنهما من سوءاتهما، وأنه قال لهما مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين من الخالدين وأنه قاسمهما أني لكما من الناصحين مدليا لهما بغرور، ففي إخباره جل

---

(١) سورة طه، الآيات من ١١٧-١١٩.

(٢) سورة طه الآيتان ١٢١و١٢٢.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن ، م١، ص١٨٥. راجع أيضا: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٧٩. ومحمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، م١، ص٢٧٨.

ثناؤه عن عدو الله أنه قاسم آدم وزوجته بقوله لهما أني لكما من الناصحين الدليل على أنه قد باشر خطابهما بنفسه أما ظاهراً لأعينهما وإما مستجنا في غيره"[١].

ونذكر أن مانصت عليه التوراة من إسناد الإغواء إلى الحية وماترتب على هذا الإسناد، كان موضع تساؤلات كثيرة لم نجد لها إجابة مقنعة لا من النصوص المقدسة، ولا من تعليق الشراح عليها[٢].

رابعا: إن القرآن الكريم ركز على إظهار العداء الذي يكنه إبليس حيال آدم وحواء بل حيال الجنس البشري كله، على حين لم تشر التوراة إلى هذه العداوة على الإطلاق في عرضها لقصة الخطيئة الأولى.

خامسا: يقرر القرآن الكريم أن آدم وحواء تابا ورجعا عن المعصية طالبين الغفران من الله سبحانه وأنه - بفضله ومنه - قبل توبتهما، بل ألهمهما صيغة التوبة [**فتلقى آدم من ربه كلما فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**][٢] والكلما هي ماذكرته الآية الكريمة [**قالا ربنا ظلما أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**][٣].

وعلى هذا فلم يحمل آدم وحواء ثقل معصيتهما بعد أن هبطا إلى الأرض على نحو ما تقرره التوراة، بل إن القرآن الكريم ليشير إلى أن آدم أصبح بعد ذلك نبيّاً يتمتع بنعمة الاجتباء. [**وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**][٤] وفضل الاصطفاء [**إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. ذرية بعضها**

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن، م١، ص١٨٩.

(٢) انظر الكتاب، ص ٢٦-٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ٣٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٢٣.

من بعض والله سميع عليم](١) وقد قرر الإسلام اصطفاء آدم ونبوته، عليه السلام، بالكتاب والسنة، فقد ورد أن أبا ذر رضي الله عنه **(قال: قلت: يانبي الله فأي الأنبياء كان أول؟ قال: آدم عليه السلام. قال: قلت يانبي الله أو نبي كان آدم؟ قال: نعم نبي مكلم ...)**(٢).

وجدير بالملاحظة أن نبوة آدم، عليه السلام، قضية مسلم بها عند اليهود، وهو ماأكده سعد بن منصور بن كمونه اليهودي بقوله: "قالت اليهود إن الأمر الإلهي إتصل أولاً بآدم أبي البشر، عليه السلام. فكان نبيا"(٣).

سادسا: إن معصية آدم وحواء إنتهت بعد توبتهما ولم تورث لذريتهما، وهذه القضية مهمة جداً لأنها تنتهي في القرآن ببيان قانون العدل الإلهي الذي يقرر بأن **[من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولاتزر وازرة وزر أخرى.]**(٤).

فليس لمعصية آدم أي علاقة برضى الله علينا أو غضبه فكل منا ينال جزاء عمله.(٥) فأين هذا التوجيه الإلهي الرفيع من ماذكرته التوراة من ملاحقة المعصية، لأجيال الإنسانية جيلاً بعد جيل، وكذلك استمرار ناتج هذه المعصية من آثار، بما لايتفق مع مبدأ العدل الإلهي، وكذلك منطق العقل السليم، هذا هو أهم ما تشير إليه قصة الخطيئة الأولى في الإسلام.

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان ٣٣و٣٤.

(٢) من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد في مسنده لرواته عن أبي أمامة الباهلي، م١، ص٣٦٥.

(٣) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، اليهودية والمسيحية والإسلام، ص٢٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية ١٥.

(٥) راجع: ابراهيم خليل أحمد، الغفران بين الإسلام والمسيحية، ص١٠٩-١١٠.

الفصل الثاني

موقف الإسلام من الآثار الناشئة عن الخطيئة الأولى في اليهودية

من خلال البحث في الآثار الناشئة عن إيمان اليهود الراسخ لمضمون قصة الخطيئة الأولى. ظهر أنه بالإمكان تقسيمها إلى قسمين رئيسين، الأول.. يتعلق بالعقيدة اليهودية وماطرأ عليها نتيجة تأثر اليهود بذلك الإيمان. أما الآخر فيتعلق بالشريعة التي تأثرت بدورها بذلك الإيمان.

وكما أشرت في مستهل هذا الباب، فإن الإسلام له موقف خاص من العقائد والآثار الشرعية المرتبطة بقصة الخطيئة الأولى في اليهودية، وهو ما سأبينه في هذا الفصل – إن شاء الله.

الآثار المتعلقة بالعقيدة:

سبق حصر الآثار الناشئة عن إيمان اليهود بقصة الخطيئة الأولى والمتعلقة بالعقيدة في الآتي:

أولا : الصفات الإلهية.

ثانيا : القضاء والقدر.

ثالثا : النبوات.

رابعا: الإيمان باليوم الآخر.

وسأتبع هذا الترتيب في بيان موقف الإسلام من هذه الآثار.

أولا: الصفات الإلهية:

إن الإسلام عندما يتحدث عن الله عز وجل يتحدث عنه بصورة تتناسب وجلاله وعظمته، فهو فاطر السموات والأرض وما بينهما، وهو الذي تجب له جميع صفات الكمال التي تليق بذاته سبحانه، وهو بذلك على عكس

اليهودية التي تصور الإله عن حديثها عنه على شكل يبعده عن هذا الكمال الواجب له، فهي تصفه تارة بالجهل وتارة بالظلم والقسوة، فتوراتهم كما تبين فيما سبق، أظهرت الإله جاهلا بمعصية آدم إلى أن أخبره آدم بذلك، لتصفه فيما بعد بالقسوة فقد كان قاسيا في حكمه على آدم وحواء، كما لم يقصر هذا الحكم عليهما بل جعله متعديا إلى نسلهما، وقد ولد اعتقادهم بظلم الإله إحساسا مريرا في نفوسهم بسبب رفضهم لمبدأ توارث خطيئة آدم ولعنته مما أدى إلى إعتراض كثير منهم. وهو مانسبه العهد القديم لنبيهم داود.

وتمشيا مع هذا الاتجاه تحدث كتابهم المقدس عن حقده وظلمه، اذ قررت نصوصه أنه لايغفر الذنب البته، بل يحاسب الأحفاد بجرائر الأجداد. وهو في ذلك لايفرق بين عمل مكلف وعمل غيره، وقد كان ماأشرت إليه سابقا هو مجمل ماتحدثت عنه في معرض تناولي لموقف اليهود من الصفات الإلهية، ومدى تأثير إيمانهم بالخطيئة الأولى على هذا الموقف.

ويختلف موقف الإسلام من الصفات الإلهية إختلافا تاما عنه في اليهودية، فالإسلام يعتقد في الذات الإلهية بأنها "غاية مايتصوره العقل البشري من كمال في أشرف الصفات"(١).

وقد أثبت الدكتور رفتي علي زاهر تفرده سبحانه بهذا الكمال فقال:

"ليدرك الحس ماشاء من الصور، ليستوحي العقل ما استطاع من المثل، ليضرب الخيال ماشاء من شعاب الكون، أو ليطر بأجنحته في آفاق الوهم، فهيهات أن يكون بين جميع المدركات مايدنو منه سبحانه في كماله الأزلي - كل ماخطر ببالك، فالله بخلاف ذلك - هذا ماتقتضيه طبيعة الفرق بين المحدود الهالك واللامحدود الأبدي. **[ليس كمثله شئ وهو**

---

(١) عباس محمود العقاد. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ص٤٠.

السميع البصير*](١)

أما سبب كون هذه الصفات الإلهية لاتقبل إلا هذا الكمال فيوضحه ماذكره الشيخ عبد الرحمن حبنكة بقوله: "وذلك أن الربوبية لايمكن عقلا أن يوجد معها شئ يكافئها أو يدانيها، سواء في أصل الوجود، أو في كمال الصفات، وهذا هو المقتضى الحتمي لمعنى الرب الخالق للكون كله."(٢).

وهكذا أثبت العلماء والمفكرون إتصافه سبحانه بصفات الكمال، بل تفرده بهذا الكمال.

١- صفة العلم:

عندما ينزه الإسلام الله تعالى عما وصفه به العهد القديم من جهل، يثبت له صفة العلم الكامل الشامل الذي لايعْزُبُ عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

والدليل على ذلك قوله تعالى: [**يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور**](٣).

وقوله سبحانه: [**وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى**](٤).

كما قال جل وعلا: [**يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولايحيطون به علماً**](٥).

وقال أيضا: [**إن الله كان بكل شئ عليماً**](٦).

---

* سورة الشورى. الآية ١١.

(١) قصة الأديان، ص٣٠٠.

(٢) العقيدة الإسلامية وأسسها، ص١٩٣.

(٣) سورة غافر. الآية ١٩.

(٤) سورة طه. الآية ٧.

(٥) سورة طه الآية ١١٠.

(٦) سورة النساء. الآية ٣٢.

وقوله: [**وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافي البر والبحر وماتسقط من ورقة إلا يعلمها ولاحبة في ظلمات الأرض ولارطب ولايابس إلا في كتاب مبين، وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار**](١).

وقل عز من قائل: [**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**](٢).

وفي هذه الآيات المعجزة الموجزة إشارة إلى ماتحتوي عليه العقيدة اليهودية من تناقض فاضح، فقد قرر سفر التكوين أنه سبحانه خالق كل شئ ثم مالبث أن ذكر أنه غابت عن علمه بعض الأشياء من خلقه، كجهله بمعصية آدم حتى أخبره بها، كما أنه لايعرف المؤمن من الكافر إلا بإشارة مميزة، إلى آخر هذا الخلط الذي سبقت الإشارة إليه في عرض العقيدة اليهودية.(٣).

والواقع أن هذا العلم لازم من لوازم الألوهية، إذ لايستطيع العقل الإنساني الراشد أن يتصور إلهاً جاهلاً أو ناقص العلم، فمثل هذا التصور يكشف عن تناقض لايليق به سبحانه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن المتأمل في نظام الكون يدرك أن خالقه لابد أن يكون عالما بكل كبيرة وصغيرة تتعلق به، وقد عمد عدد كبير من العلماء إلى إثبات صفة العلم له سبحانه. ومن هؤلاء على سبيل المثال، الشيخ محمد عبده الذي قال:

"من أدلة ثبوت العلم الواجب مانشاهده من نظام الممكنات من الأحكام والإتقان ووضع كل شئ في موضعه، وقرن كل ممكن بما يحتاج إليه في وجوده وبقائه وذلك ظاهر لجلي النظر بما يشاهد في الأعيان كبيرها وصغيرها علويها وسفليها، فهذه الروابط بين الكواكب والنسب الثابتة بينها

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان ٥٩و٦٠.

(٢) سورة الملك، الآية ١٤.

(٣) أنظر الكتاب، ص٦٠-٦٣.

وتقدير حركتها على قاعدة تكفل لها البقاء على الوضع الذي قدر لها وإلزام كل كوكب بمدار لو خرج منه لاختل نظام عالمه أو العالم بأسره وغير ذلك مما فصل في علوم الهيئة الفلكية كل ذلك يشهد بعلم صانعه وحكمة مدبره..."[١]. إلى أن قال: "هذا الصنيع الذي إنما تتفاضل العقول في فهم أسراره والوقوف على دقائق حكمه ألا يدل على أن مصدره وهو العالم بكل شئ الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى، هل يمكن لمجرد الإتفاق المسمى بالصدفة أن يكون ينبوعا لهذا النظام وواضعا لتلك القواعد التي يقوم عليها وجود الأكوان، عظيمها وحقيرها، كلا، بل مبدع ذلك كله هو ما لايعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم."[٢].

وهكذا استطاع الشيخ محمد عبده إثبات أن صفة العلم لله جل وعلا ممكنة عقلاً كما أنها ثابتة نقلا.

ونستطيع بعد عرض هذه الأدلة بنوعيها النقلية والعقلية أن نقرر أن إتصاف الله – سبحانه – بصفة العلم يتفق وعقل الإنسان السليم، وإذا إتفقنا على هذا كان ذلك إتفاقاً على تنزيه الله سبحانه عن الإتصاف بالجهل، وبالتالي رفض ما ورد حول هذه الصفة في العهد القديم بشكل عام، وما ورد في قصة الخطيئة الأولى بوجه خاص .

٢- القسوة :

يقف الإسلام من وصفه تعالى بالقسوة كما تفعل اليهودية موقفا رافضا، فهو:

---

(١) رسالة التوحيد، ص ٢٨.

(٢) المرجع نفسه ص٢٩-٣٠.

"رحيم في قوته فلا يشوب قوته شئ من قسوة ، قوي في رحمته فلا يمازج رحمته شئ من ضعف، منتقم إذا شاء، ولكن غلب رضاه غضبه وسبقت رحمته عذابه فهو يعفو بفضله، أو يقتص بعدله."(١).

وقد وصف الله سبحانه نفسه بالرحمة في آيات كثيرة، من بينها قوله عز وجل:

[**وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم**](٢). وقوله تعالى: [**وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب**](٣).

وقوله: [**قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم**](٤). وكذلك في الآية الكريمة: [**وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم إهتدى**](٥). أما قوله سبحانه: [**وعصى آدم ربه فغوى، ثم إجتباه ربه فتاب عليه وهدى**](٦)، ففيه إشارة ذات دلالة واضحة على رفض الإسلام لمزاعم اليهود بأن قسوة الإله هي التى دفعت به إلى عدم مغفرة معصية آدم وحواء، فالقرآن الكريم يؤكد رحمته سبحانه فقد قبل -بفضله وكرمه- توبة آدم، عليه السلام، وزوجه وغفر لهما، بل إنه -بمنه-

---

(١) الدكتور رفقي زاهر، قصة الأديان، ص٣٠١.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٥٤.

(٣) سورة الرعد، الآية ٦.

(٤) سورة الزمر، الآية ٥٣.

(٥) سورة طه، الآية ٨٢.

(٦) سورة طه، الآيتان ١٢١-١٢٢.

أكرم آدم، عليه السلام، بعد ذلك بالنبوة فاجتباه واصطفاه.(١)

كما نزه الإسلام الله سبحانه عن الظلم، الذي صور الإله عليه – وفق زعمهم – مما أدى إلى وراثة الإنسانية الخطيئة الأولى ولعنتها، فالله بجلاله وعظمته يحاسب كل إمرئ على قدر عمله، فلا يحرم المحسن من إحسانه، ولايمنع عقابه عن المستحق– إلا بمشيئته – ولايخلط بين هذا أو ذاك سواء في إحسانه أو عقابه، فكل منا محاسب على عمله أمامه سبحانه.

قال تعالى: [**ووجدوا ماعملوا حاضراً ولايظلم ربك أحداً**](٢).

كما قال: [**وما الله يريد ظلماً للعالمين**](٣).

وقال: [**وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون**](٤).

وقال أيضاً: [**إن الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً**](٥).

وبعد هذا العرض بإمكاننا أن نقرر أن رفض الإسلام للصفات الإلهية الناشئة عن إيمان اليهود بالخطيئة الأولى، يتوافق مع العقل السليم والفطرة الإنسانية السليمة، فالعقل لايقبل إتصاف فاطر السموات والأرض وما بينهما بالجهل كما يرفض أن يوصف بأي من صفات النقص التي لاتليق بألوهيته سبحانه.

ثانيا: القضاء والقدر

تبين من موقف اليهودية من مسألة القضاء والقدر، كما هو موضح في الباب الأول من هذه الدراسة، أن مايهمهم من فحوى هذه العقيدة هو

(١) أنظر الكتاب، ص١٨٠.

(٢) سورة الكهف، الآية ٤٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠٨.

(٤) سورة هود، الآية ١١٧.

(٥) سورة النساء، الآية ٤٠.

تفسيرها تفسيراً يتفق وميولهم العنصرية الفاسدة، فهم بقضاء الله وقدره شعبه المختار. وهم العاصون بسبب قضائه وقدره، كما أنه أجرى قضاءه بتوارث بني آدم للخطيئة الأولى. وهكذا أصبح عنصراً لإيجاري في النفس الإنسانية المسيرة للفساد دون اختيار. فإذا صدر عنها مايغضب خالقها لاتكون بذلك حسب اعتقادهم مخالفة لأمره سبحانه، بل مسيرة لما كتب عليها منذ وقوع الخطيئة الأولى، كما أن الشقاء والعناء وماأصابهم ويصيبهم من تشتت هو نتيجة للعنة الإله التي أرسلها على آدم وحواء وذريتهما، غير أن حبه لهم خاصة وتفضيلهم على غيرهم من بني آدم جعل من قضائه وقدره نعمة لهم ولعنة على غيرهم، فهم من خلال هذه النعمة سوف يتمكنون من تسلم أعتاب السلطة العالمية[١].

أما الإسلام فيقف من عقيدة القضاء والقدر عند اليهود موقفا رافضا لها مصححاً لخللها، فهي تختلف في منظوره إختلافاً تاماً عن تفسير اليهود لها.

ويجدر قبل البدء في بيان هذا الموقف، أن أذكر أن الإيمان بهذه العقيدة في الإسلام يعد عنصراً أساسياً في حقيقة الإيمان والكفر به كفرا يخلد في النار، ويشير القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى أهمية هذه العقيدة. نذكر منها قوله تعالى: **[قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون]**[٢]، وقوله سبحانه: **[إنا كل شئ خلقناه بقدر]**[٣].

كما يشير إلى أهمية الإيمان بها أيضاً الحديث المعروف بحديث جبريل، الذي سأل الرسول عليه الصلاة والسلام - فيه - عن الإيمان فقال

---

(١) أنظر الكتاب، ص ٦٣-٦٦.

(٢) سورة التوبة، الآية ٥١.

(٣) سورة القمر، الآية ٤٩.

عليه الصلاة والسلام: **(أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كله...)**(١).

ويتبين لنا مما سبق الأهمية التي يوليها الإسلام لهذه العقيدة.

أما من ناحية إختلاف جوهرها عنها في اليهودية، فيوضحها تفسير الإسلام للكدح الإنساني الذي صور في اليهودية كأحد آثار لعنة الخطيئة الأولى، والذي أصبح في تصورهم قضاءاً وقدراً متسببا في شقاء البشرية، في حين أن الإسلام ينظر إلى الكدح بوصفه إبتلاء يجابهه الإنسان تمحيصا لإيمانه وإختباراً لثباته وتحديداً لموقفه من الطاعة والمعصية.

وقد وضح الدكتور فاروق دسوقي هذا المفهوم بشكل جيد إذ قال:

"إن حدوث الإبتلاء يجري على العبد إجباريا، إلا أنه مطالب حيال هذا الفعل الإجباري بسلوك خلقي معين نابع من إرادته وواقع باختياره وفاعليته بالابتلاء بمعنى الامتحان والاختبار، والتمحيص يعني دخول العبد الموقف الابتلائي دخولا إضطراريا جبريا، يواجهه العبد بسلوكين متضادين، عليه أن يختار واحد منهما"(٢)

ومن هنا يتضح لنا أنه لاتوجد علاقة بين ما يسميه اليهود بلعنة الخطيئة الأولى، ومايجري على بني آدم أو منهم في هذه الحياة، فالإنسان بفطرته يستطيع أن يفعل الخير أو الشر، وهذا هو مناط التكليف، فهو فيها مخير غير مسير، والدليل على ذلك قوله تعالى: **[إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً]**(٣) وقوله سبحانه: **[وقل الحق من ربكم فمن شاء**

---

(١) من حديث طويل، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أشراط الساعة، ج١، ص١٦٥.

(٢) القضاء والقدر في الإسلام، ج١، ص١٧٨-١٧٩.

(٣) سورة الإنسان، الآية ٣.

فليؤمن ومن شاء فليكفر][١].

أما مايصيبه من بلاء مقدر عليه من الله - سبحانه وتعالى - فهو خارج نطاق تكليفه، وليس له أمامه غير الصبر الذي يثيبه الله عليه، أو الجزع الذي يستحق عليه العقاب، هذا إذا كان ابتلاء بالمحن والشدائد، أما إذا كان ابتلاء بالخير فليس له أمامه سوى الشكر وأداء حق الله وحق عباده فيه، وإلا ناله غضب الله وعقابه[٢].

وقد وضح لنا الله عز وجل ذلك بقوله: **[وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون]**[٣].

وكذا قوله تعالى: **[ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون]**[٤]، كما قال سبحانه: **[ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير إطمأن به، وإن أصابته فتنة إنقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين]**[٥].

وورد في الحديث النبوي الشريف عن صهيب، رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: **(عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خير له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خير له)**[٦].

---

(١) سورة الكهف، الآية ٢٩.

(٢) راجع: الدكتور فاروق دسوقي، القضاء والقدر في الإسلام، ج١، ص٢١٣. ومحمد الغزالي، عقيدة المسلم، ص١٠٥-١٠٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٦٨.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٣٥.

(٥) سورة الحج، الآية ١١.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقة، ج١٨، ص١٢٥.

وأخبرنا رسول اللـه، صلـى اللـه عليـه وسـلم، أن مناقشـة جـرت بيـن موسى وآدم، عليهمـا السـلام، حـول تـوارث بنـي آدم للعنـة الخطيئـة الأولـى. إنتهت بنفي وجود أي علاقة، بيـن مااقترفـه آدم فـي حـق نفسـه وبيـن مـاوجد ويوجد على هذه الأرض من ابتلاء، فقد ورد عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: **(حاج موسى آدم فقـال لـه: أنـت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم. قال: قال آدم: ياموسى أنـت الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه. أتلومني على أمر كتبه الله علـيّ، قبل أن يخلقني أو قدره عليّ قبل أن يخلقني؟ قال رسـول اللـه، صلـى اللـه عليـه وسلم، فحج آدم موسى)**(١).

وقد علق الشيخ محمد الغزالي على هذا الحديث، وعلى تفسير البعض الابتلاء من منطلق فهمهم القاصر له على أنه ناتج عن معصية آدم فقال:

"أمـا ترتيـب وجـود العـالم الزاخـر بآلامـه وآمالـه علــى هـذه المعصية، فهذا قدر إلهي محض لـم يـرد بخلـد آدم، ولايجـوز أن يعاتب عليه...، أما مسـئولية آدم الخاصـة عـن ذنبـه الـذي استغفر الله منه. فـلا صلـة لـه بهـذا الحديـث. إن خطيئـة آدم ليست سبباً شرعياً ولاعلة عقلية لوجود العالم وانتشـار النـاس في القارات الكبرى يشقون ويكدحون، ولما توهم موسى ذلك، عاتبه آدم ورده إلى أن ذلـك القضـاء مكتـوب فـلا يجـوز لأي إمرئ أن يحمل الأب الأول هذه الأوزار كلها."(٢).

وقد ذهب إلى ذلك من قبل شيخ الإسـلام ابـن تيميـة عندمـا قـال: "فمـن احتج على ترك المأمور، وجذع من حصول مايكرهه من المقدور فقـد عكـس الإيمان والدين، وصار من حزب الملحدين المنافقين، وهـذا حـال المحتجــين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة طه، ج٦، ص١٢١.

(٢) عقيدة المسلم، ص ١١٥.

بالقدر.[١]

وهكذا يتضح موقف الإسلام لمفهوم توارث الخطيئة الأولى ولعنتها.

ثالثا: النبـــوات

يقف الإسلام أيضاً موقف المنكر الرافض لما تنسبه اليهودية من دنايا إلى أنبياء الله، سبحانه وتعالى، مستندة في ذلك إلى قولها بتوارث بني آدم الحتمي لإثم الخطيئة الأولى، فهم صفوة الله من خلقه اصطفاهم سبحانه واختارهم لحمل الرسالة وأداء الأمانة، وهم المنزهون عن الاتصاف بتلك المخازي والمفاسد التي تقشعر منها الأبدان.

بل إن قوله تعالى: [**الله أعلم حيث يجعل رسالته**][٢]. لكاف للدلالة على رفض الإسلام لموقف اليهودية المتهافت من وصفهم – عليهم الصلاة والسلام– بما لايليق بذواتهم الشريفة، فالله أعلم بمخابر عباده وطباعهم، وهو عند اختياره لأحدهم لحمل رسالته وشرعه يجتبي أفضلهم خلقا، ليكون ذلك عوناً لهم في نشر دينه وليكونوا محل اقتداء عباده، فعلى فرض صحة مانسبه إليهم العهد القديم –وهومحال– فإن ذلك يكون حجة لأقوامهم على سلوك طرق الضلال والاتصاف برذائل الأخلاق. لذا اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون أنبياء الله، عليهم الصلاة والسلام، معصومون من الضلالات التي تؤدي إلى الكفر أو تتمثل في مفارقة الكبائر:

"فالأمة الإسلامية مجمعة على أن مثل هذه الذنوب التي نسبها اليهود والنصارى إلى أنبياء الله كالزنى والسرقة والمخادعة وصناعة الأصنام وعبادتها... لايمكن أن تقع من أحد من الأنبياء والرسل بحال من الأحوال، وأنهم معصومون من ذلك"[٣].

---

(١) الفتاوى، ج٢٢، ص٣٢٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٢٤.

(٣) الدكتور عمر سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، ص١٠٦.

ولإلقاء الضوء على هذا الموقف الإسلامي الرافض لما ورد في الكتاب المقدس في حق أنبياء الله وأصفيائه، سأطرح السيرة الإسلامية العطرة لبعض الأنبياء الذين سبق وأن أشرت في الباب الأول في هذه الدراسة لكيفية معالجة وتشويه الكتاب المقدس لها.

١- إبراهيم عليه السلام:

"فها هو ذا إبراهيم عليه السلام الذي صوره سفر التكوين متاجرا بالشرف متهاوناً في الفضيلة، يصوره القرآن الكريم مستهينا بكل صعب مضحياً بكل عزيز في سبيل كلمة الحق"(١)، مثبتاً له أكمل الفضائل، منكرا أن يكون خوفه على حياته ودنياه فاق خوفه من الله، قال تعالى: [**إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين. شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم، وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين**] (٢). فهذه الكلمات الربانية المعجزة تدل على علو صفات هذا النبي الكريم.

بل إن الله سبحانه يؤكد في موضع آخر رسوخ اعتماد ابراهيم، عليه السلام، على ربه في كل مايعرض له من كبار الأمور وهيناتها، بما في ذلك قضية الرزق الأمر الذي يقطع أي شبهة في إمكان تضحيته بذرة من شرفه في سبيل الحصول على عرض من عرض الحياة -كما تدعي التوراة-(٣). فقد أخبر الله أن إبراهيم "عليه السلام" خاطب أباه وقومه منكرا بقوله: [**أفرأيتم ماكنتم تعبدون. أنتم وآباؤكم الأقدمون. فإنهم عدو لي إلا رب العالمين، الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين، والذي يميتني ثم**

---

(١) الدكتور رفقي زاهر، قصة الأديان، ص٣٠٣.

(٢) سورة النحل، الآيات من ١٢٠-١٢٢.

(٣) أنظر الكتاب، ص٦٧-٧١.

يحيين](١)، إلى أن قال: [**ولا تخزني يوم يبعثون، يوم لاينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم**](٢).

إن أسلوب القصر في قوله تعالى: [**والذي هو يطعمني ويسقين**](٣)، يفيد إيمانه، عليه الصلاة والسلام، بقصر الرزق على الله، فالإنسان بهذه العقيدة القوية والإيمان الحار لايمكن أن يتصور أن يقدم على بذل عرضه في سبيل حصوله على الرزق.

ولايختلف موقفه، عليه السلام، من قضية الأجل عن موقفه من قضية الرزق، فهو على يقين أن الآجال بيد الخالق سبحانه ولا قدرة لبشر أن يزيد في الأجل لحظة أو ينقص منه لحظة، وذلك مايشير إليه قوله تعالى على لسان إبراهيم، عليه السلام: [**والذي يميتني ثم يحيين**](٤).

كما أن عباراته تلك تدل على استهانته بزينة الحياة الدنيا، فالمال والبنون من الأمور التي لاتثير اهتمامه إذا ماقورنت برضى الله سبحانه.

كما يعرض لنا القرآن الكريم موقفا آخر يدل على ثقته، عليه الصلاة والسلام، ويقينه أن الرزق بيد الله الرازق دون سواه، مهما امتنعت الأسباب البشرية، ففي قصته مع زوجه هاجر وابنه البكر إسماعيل، وتركه لهما في واد غير ذي زرع تنفيذا منه لأمر الله، ثم توجهه بالدعاء إليه سبحانه أن يتكفل برزقهم، أكبر دليل على نفي الإسلام لمزاعم اليهود بتخليه، عليه السلام، عن عرضه خوفا وطمعا.

قال تعالى على لسان النبي الكريم إبراهيم، عليه السلام: [**ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا**

---

(١) سورة الشعراء. الآيات من ٧٥-٨١.

(٢) سورة الشعراء. الآيات من ٨٧-٨٩.

(٣) سورة الشعراء، الآية ٧٩.

(٤) سورة الشعراء، الآية ٨١.

ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون](١).

أما زعم اليهود من أن خوفه على حياته من ملك جرار فاق خوفه من الله. فإن في محاورة إبراهيم، عليه السلام، لأحد جبابرة الأرض ردّا قاطعا لهذا الزعم.

قال تعالى: [**ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك، إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لايهدي القوم الظالمين**] (٢) فلم يمنعه خوفه ولابطش من هذا الملك الجبار المتأله من مجادلته في الله وإقامة الحجة عليه، وإثبات عجزه ونقصه، وبالتالي استحقاقه سبحانه للعبادة دون غيره، وهو في الوقت نفسه لايخشي في الله لومة لائم، بل يستهين بكل عزيز أمام عقيدته، وهذا ماحكاه القرآن الكريم عند بيان موقفه، عليه السلام، من شرك أبيه مبيناً له خطر الشرك والضلال غير آبه لتهديده ووعيده إذا لم يمتنع عن دعوته، وقد جاء في هذا السياق قوله تعالى: [**واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً. إذ قال لأبيه ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولايبصر ولا يغني عنك شيئاً، ياأبت إني قد جاءني من العلم مالم يات: فاتبعني أهدك صراطاًسوياً. ياأبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً، ياأبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً. قال أراغب أنت عن آلهتي ياإبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً. قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً. وأعتزلكم وما تدعون من دون الل وأدعو**

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٣٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٨.

ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً.](١).

فلم يخش إبراهيم عليه السلام بأس أبيه وتهديده، ولم يهادنه على حساب عقيدته، وهو لم يكتف بدعوة أبيه، بل واجه قومه بالحق ودين الله، وسخر منهم ومن آلهتهم التي لاتنفع ولاتضر. مما دفع بهم إلى الإجماع على إحراقه وتعذيبه، ونقل القرآن الكريم على ألسنتهم ذلك الموقف كما تبينه الآية الكريمة بقولها: [**قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين**](٢).

ولم يكن ذلك الإجماع ليزعزع إبراهيم، عليه السلام، أو يسكته عن دين الله خشية على نفسه مما سيناله من كيد قومه، فهو الثابت بإيمانه المتيقن بنصرته سبحانه، وهو ماكان، يدل عليه قوله تعالى: [**قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين**](٣).

"هذا هو ذا إبراهيم في ولائه للحق واستمساكه بالعقيدة واستقامته على الطريق، ابتلاه الله فصبر، وأنعم عليه فشكر، فاستحق أن يكون* للناس إماما ولرب الناس خليلا: [**وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً***]

[**واتخذ الله إبراهيم خليلاً****].

[**إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين. شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم. وآتيناه في الدنيا**

---

(١) سورة مريم، الآيات من ٤١-٤٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٦٨.

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان ٦٩و٧٠.

* سورة البقرة، الآية ١٢٤.

** سورة النساء، الآية ١٢٥.

حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين]*"(١)

وقال تعالى : [**قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم**](٢)

ولنا أن نقول إن رجلاً على صفة إبراهيم، عليه السلام، الواردة في الأسفار المقدسة لا يمكن أن يكون محلاً للإقتداء، فالفطرة الإنسانية على اختلاف ملل أصحابها تأبى ذلك.

فكيف بمن يكون خليلاً لله ومثالاً مضروباً للتأسي والاقتداء، بل إن رسولنا الكريم محمداً، عليه الصلاة والسلام، يرفض أن يوصف بخير البرية وينسب هذا الوصف لإبراهيم الخليل، فعن أنس بن مالك، قال: **(جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ياخير البرية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك إبراهيم عليه السلام)**(٣) ، فهل يعقل أن يكون خير البرية على شاكلة ماذكره العهد القديم - معاذ الله أن يكون - ولم يكن بالإمكان إنهاء هذا الحديث العطر للسيرة الإسلامية لهذا النبي الكريم دون التوقف عند قوله تعالى : [**واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً**](٤).

(والصديق) كما قال الزمخشري : "من أبنية المبالغة ... والمراد فرط صدقه..."(٥).

---

* سورة النحل ، الآيات من ١٢٠ - ١٢٢ .

(١) الدكتور رفقي زاهر، قصة الأديان، ص٣٠٤ .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية ٤ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، ج١٥، ص١٢١ .

(٤) سورة مريم ، الآية ٤١ .

(٥) تفسير الكشاف ، ج٣ ، ص١٨ .

وفي ذلك رد قاطع على ما سطرته التوراة في حق خليل الله، عليه الصلاة والسلام.

ويعد هذا العرض نجد أن الإسلام أنصف إبراهيم، عليه السلام، عندما نفى عنه ما ينسبه اليهود إليه، ونزهه عن تلك المخازي التي تعافها النفس البشرية السليمة على اختلاف مللها ونحلها .

وهكذا عاش، عليه السلام، ومات مثلاً رفيعا لتحقيق مايحبه الله ويرضاه متمسكا بدينه حريصا عليه.[١]

٢- إسحاق عليه السلام:

أما ما تدعيه أسفار العهد القديم من أن إسحاق عليه السلام اتخذ من أبيه إبراهيم مثالاً متخليًا عن عرضه مقابل مصلحته، فهو من الوجهة الإسلامية لاأساس له من الصحة فالإسلام ينزهه، عليه السلام، كأبيه عن كل ذلك، فقد أورد القرآن الكريم عبارات واضحة موجزة تكفي لهدم ذلك الادعاء الباطل.

قال تعالى: [**وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً، ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا**][٢] ولقد كان إسحاق، عليه السلام، صادقا لا ينطق الكذب متمتعا بالتبجيل والتقدير، وهو محال تصوره لمن يكذب جاعلاً عرضه دون نفسه، وقال سبحانه في حقه:

[**وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين، وباركنا عليه وعلى إسحاق..**][٣].

وقال :[**واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدى**

---

(١) راجع : الدكتور صابر طعيمه، بنوإسرائيل في نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم، ص ٢٩٧-٣٠٣ .

(٢) سورة مريم ، الآيتان ٤٩ و ٥٠ .

(٣) سورة الصافات ، الآيتان ١١٢ و ١١٣ .

والأبصار، إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار، وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار][١].

وهكذا ينفي الإسلام مقولة توارث الخطيئة الأولى منزها إسحاق، عليه السلام، عن تلك الرذائل فهو نبي من الصالحين المصطفين الأخيار كأبيه عليه السلام، يمكن أن يجري على يديه ونفسه ما نسبته إليه تلك الأسفار المفتراة.

٣-هارون عليه السلام :

كما ينكر الإسلام ما أوردته نصوص العهد القديم وشراحه من ضعف إيمان هارون وصناعته للعجل ودعوته لبني إسرائيل التوجه له بالعبادة، فيؤكد على براءة هذا النبى الكريم من هذا الفعل وفي المقابل ينسب إليه شجبه لهذه العبادة المنكرة.

إذ ذكر القرآن الكريم أنه، عليه السلام، قال لعبدة العجل : **[يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري، قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى]**[٢] . مما دفعهم إلى الإطاحة به في محاولة لقتله، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك فيما ينلقه عنه، عليه السلام، عندما قال لأخيه موسى: **(ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين)**[٣].

وقد تناولت هذه الواقعة آيات في سورة طه أيضا بما يؤكد نفي مازعمه اليهود عن هارون، عليه السلام: **(قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي)**[٤].

---

(١) سورة ص ، الآيات من ٤٥ - ٤٧ .

(٢) سورة طه، الآيتان ٩٠و٩١.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٥٠.

(٤) الآية ٩٤.

٤- موسى عليه السلام:

أما فيما يخص موسى، عليه السلام، فقد أشارت أسفار العهد القديم إلى حرمان موسى وهارون من دخول الأرض المقدسه، بسبب عدم تنفيذ موسى لأمر الله فيما يتعلق بمعالجة تمرد بني إسرائيل إثر قحط أصابهم، إذ طغت غيرة موسى، عليه السلام، على دين الله فانفعل وغضب على تمرد قومه وتطاولهم، فكانت تلك المخالفة وراء غضب الله عليهما فحرمهما دخول الأرض المقدسة بإماتتهما قبل وصول بني إسرائيل إليها مجريا عقابه هذا على موسى وأخيه هارون أيضاً، فالإسلام لاينكر غضب موسى المتكرر على قومه، ولكنه يجعل السبب في ذلك غيرته، عليه السلام، على دينه، وقد وردت في القرآن، الكريم أمثلة كثيرة توضح ذلك في سياق تأييد موسى، عليه السلام، وإقرار موقفه، كما وردت أيضا آيات أخرى كثيرة تدل على إنكاره سبحانه على بني إسرائيل كثرة تمردهم وعصيانهم، أما من ناحية وفاة موسى وهارون، عليهما السلام، قبل دخول بني إسرائيل الأرض المقدسة فالإسلام يقر بهذا ولاينكره.

فقد روى عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنه قال: **(أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه. فرجع الى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لايريد الموت؟ فرد الله عليه عينه. وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور. فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة. قال أي ورب ، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر.)**(١). وقد فسر ابن حجر المقصود (رمية بحجر) قائلاً "أدنني إليها -أي الأرض المقدسة- حتى يكون بيني وبينها هذا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها، ج٢، ص١١٣.

القـــدر"[١].

ليشير بعد ذلك إلى الحكمة من اكتفائـه عليـه السلام بذلـك الدنـو دون الدخول إليها بقوله:

"حكى ابن بطال عن غيره أن الحكمة في أنه لم يطلب دخولها ليعمي موضع قبره لئلا تعبده الجهال من ملته انتهى. ويحتمل أن يكون سر ذلك أن الله لما منع بني إسرائيل من دخول بيت المقدس وتركهم في التيه أربعين سنة إلى أن أفناهم الموت فلم يدخل معه أحد ممن امتنع أولا أن يدخلها... ومات هارون ثم موسـى، عليهمـا السـلام ، قبـل فتـح الأرض المقدسـة علـى الصحيح"[٢]

بـل إن بعـض المفسـرين [٣] يؤكـدون عدم دخـول أحـد منهـم الأرض المقدسـة إذ وافتهـم الآجـال خـلال فـترة التيـه، وإنمـا دخلهـا أولادهـم، و"لإبـن خلـدون" فـي المسـألة تعليـل خـاص أرى أن أشـير إليـه هاهنـا، فهـو يقـرر أن الحكمة وراء فترة الأربعين سنة التى إستغرقها التيه، هي أن ينشأ جيـل جديـد من بني إسرائيل، يخـالف فـي مقوماتـه النفسية ماكـان عليـه جيـل الآبـاء مـن التائهين، وبهذا يكون هذا الجيل الجديد مؤهلا لدخول الأرض المقدسة.[٤].

ونورد فيما يأتي جملة من الآيات الكريمـة التـي عرضـت لتمـرد بنـي إسـرائيـل علـى نبيهم موسـى، عليـه السـلام، عندمـا أمرهـم بدخـول الأرض

---

(١) فتح الباري، كتاب الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها، م٣، ص٢٠٧.

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها..

(٣) راجع: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الكريم، م٦، ص٣٣٧-٣٣٨.

(٤) راجع: ابن خلدون، المقدمة، تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافي، ج٢. ص٥٤٦. ومحمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، م٦، ص٣٣٧-٣٣٨.

المقدسة، وما عرضت له الآيات من عقوبة التيه أربعين سنة، وهي الآيات التي تظهر تأييد الله سبحانه وتعالى وموافقته لغضب موسى، عليه السلام، على تمرد قومه، كما تؤكد اختصاصهم بالحرمان من دخول الأرض المقدسة والتيه أربعين سنة دون أن يشمل ذلك موسى وهارون، عليهما السلام.

قال تعالى: [**ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين، قالوا ياموسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون. قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين، قالوا ياموسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون. قال ربي إني لاأملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين، قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين**](١).

واستخدام القرآن الكريم لضمير الغائب في حديثه إلى موسى، عليه السلام عن ما سينزل على بني إسرائيل من تيه بقوله: [**فإنها محرمة عليهم**]، وقوله: [**يتيهون في الأرض**] يدل على أن موسى وهارون عليهما السلام لايدخلان في نطاق الكلام، وهو مايدل دلالة قوية على أنهما لم تشملهما عقوبة التيه. فوفاته هو وأخيه، عليهما السلام، تحققت بالفعل قبل دخول الأرض الموعودة، ولكنها كانت رحمة من الله بهما لا لعنة وعقابا كما زعم سفر العدد(٢).

وهكذا نجد أن الإسلام عندما يتحدث عن هذين النبيين يتحدث عنهما

---

(١) سورة المائدة، الآيات من ٢١-٢٦.

(٢) راجع: الإصحاح العشرين، الفقرات: ١-١٣.

حديثاً مفعماً بالتقدير والإجلال، فيصفهما بصفات تليق بمكانتهما عند الله كنبيين كريمين فهما من صفوة خلقه، إختارهم سبحانه لأداء الأمانة فأدياها على أكمل وجه.

٥- داود عليه السلام:

أما داود، عليه السلام، الذي صورته أسفارهم المقدسة ملكا عربيدا لاهم له إلا إشباع غرائزه الحيوانية مهما كلفه ذلك من عصيان فهو يزني ويحتال ويقتل. يفعل كل ذلك دون أن يخشى غضب الله أو عقابه، فإن الإسلام يصوره في صورة مخالفة، فهو المؤمن التقي الذي نذر نفسه للعبادة جاعلاً منه مثالاً للاقتداء على مر العصور، وهو بالتالي في المنظور الإسلامي محل اقتداء الأنبياء قبل عامة الناس، فقد أمر الله سبحانه رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم باتخاذ داود، عليه السلام، مثالا للاقتداء في صبره، قال تعالى: [**اصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب**](١).

كما جعل منه القرآن الكريم مثالاً للتسبيح والإستغفار إلى حد أنه سبحانه سخر الجبال والطير لترديد تسبيحه، وفي السياق نفسه يشير سبحانه إلى ماآتاه من الحكمة. فيقول تعالى: [**إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب، وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب**](٢). ويقول سبحانه [**ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ومايذكر إلا أولو الألباب،**](٣).

وبين لنا النبي، صلى الله عليه وسلم فضل داود ورفعة مكانته عليه السلام، فيما يرويه عنه ابن عمر، رضي الله عنهما، أنه قال: (**أحب الصيام**

---

(١) سورة ص، الآية ١٧.

(٢) سورة ص، الآيات من ١٨-٢٠.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٦٩.

الى الله صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سدسه)(١).

بل إن نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، عندما أراد توجيه شباب أمته لما فيه عفافهم، كان الصوم - منهاج داود عليه السلام في حياته - الوسيلة المثلى لعفاف من لم يستطع الزواج منهم، وذلك لما في الصوم من كسر شهوة الصائم.

فعن عبد الله بن مسعود، رضي الله تعالى عنه، قال: **(قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: يامعشر الشباب من إستطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء...)**(٢).

وبعد فإن نبياً يوصف بمثل هذه الصفات المشرفة للعابد، ويجعل مثالا يقتدى به لا أخاله يملك الوقت أو الرغبة في اقتراف المعاصي أو ارتكاب تلك المنكرات لاسيما وهو في مستوى المسئولية العظمى عن أمته وفي ظل ظروف عصيبة، حيث يقارع جيشه جيش الأعداء.

٦- سليمان عليه السلام:

أما سليمان، عليه السلام، الذي وصم في أسفارهم بالشرك يعبد آلهة زوجاته تقربا إليهن، فإن الإسلام يدفع عنه كل ذلك فهو كأبيه داود، عليهما السلام، في حكمته وفي عبادته لايشغله عن أداء حق الله شاغل، شاكرا لأنعم الله معترفاً بفضله سبحانه، قال تعالى: [**ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين، وَوَرِث**

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الصيام، باب ماجاء في صيام داود، عليه السلام، ج١، ص ٥٤٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب إستحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة وإشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، ج٩، ص١٧٢.

سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين][١].

بل إن قول الله سبحانه في حقه عليه السلام: **[وما كفر سليمان]**[٢] يعد رداً صريحاً على ماينسبه إليه العهد القديم من كفرفقد كان يقابل أنعم الله عليه بالشكر، في ذلك ينقل القرآن قوله، عليه السلام: **[هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن ربي غني كريم]**[٣].

وتفيدنا النصوص الإسلامية بأن شكر الله سبحانه دليل توحيده، وقد حسم القرآن الكريم كل شبهة يمكن أن تلحق بإيمان سليمان، عليه السلام، عندما بين لنا القرآن الكريم أن نهاية هذا النبي العظيم كانت بأن مات في ميدان العمل شاكراً لله عز وجل على عكس ما نسبه إليه العهد القديم من أنه قضى أيامه الأخيرة وثنيا متكاثلاً، ونجد ذلك البيان صريحا في قوله تعالى عقب حديثه عن تسخير الجن له **[يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات أعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور، فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين]**[٤].

على أن المبدأ الإسلامي الذي لايجوز أن يتطرق إليه شك، يقضي الإيمان بأن جميع الأنبياء عليهم السلام، لايعرض لهم الشرك ولايصدر عنهم الكفر، وهما جانبان ضروريان من جوانب العصمة، وهو مايشير إليه سبحانه

---

(١) سورة النمل، الآيتان ١٥و١٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٠٢.

(٣) سورة النمل، الآية ٤٠.

(٤) سورة سبأ، الآيتان ١٣و١٤.

وتعالى في قوله: [**ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين**](١).

وهكذا يتضح لنا الفرق الشاسع بين سيرة أنبياء الله الواردة في أسفار العهد القديم، التي تأثرت بإيمان أصحابها بمبدأ توارث الخطيئة الأولى وبين سيرتهم العطرة الزكية النقية في الدين الإسلامي الذي يتوافق مع فطرة الإنسان ورجاحة عقله، وهذا التوافق يبطل قولهم بسلطة الخطيئة الأولى وتوارثها التي سُلطت بأمر الإله على رءوس العباد أجمعين دون التفرقة بينهم، فالأنبياء وعامة الناس واقعون تحت سيطرتها لامجال لنجاتهم منها، كما يفضح غرضهم من قولهم بتوارث الخطيئة الأولى ومن نسبة هذه المفاسد إلى الأنبياء، فهم كما يشير الدكتور رفقي زاهر: "خلعوا على الأنبياء من ذوات أنفسهم فهبطوا بهم إلى مستوى الخطيئة"(٢).

رابعاً: عقيدة البعث واليوم الآخر:

ظهر لنا مما سبق أن إنكار اليهود لعقيدة البعث واليوم الآخر، في العصور المتقدمة يرجع إلى إيمانهم بمضمون قصة الخطيئة الأولى الواردة في التوراة، والتي لم تشر إلى وجود مثل هذا اليوم في حين أشارت وبوضوح إلى أن الموت هو النهاية الأخيرة للحياة الإنسانية، وهو مانجده في كثير من النصوص اليهودية التي تطرقت في حديثها إلى لعنة الموت أو بمعنى آخر عن نهاية الحياة الإنسانية بالفناء.

ومثل هذه العقيدة لاتثير دهشة الباحث، عندما يدرك الأهمية الكبرى التي توليها اليهودية لمضمون نص الخطيئة الأولى التوراتي.

غير أن ماقد يثير الدهشة والاستغراب هو ذلك الاستياء العام الذي يظهر

---

(١) سورة الزمر، الآيتان ٦٥و٦٦.

(٢) قصة الأديان، ص٣٠٩.

من خلال نصوص أخرى في العهد القديم تتحدث بمرارة عن هذه النهاية المظلمة، التي يعد التسليم بمأساويتها إقرارا ضمنيا بظلم الخالق سبحانه، فجملة تلك النصوص تقرر أن السعادة والشقاء مرتبطان بالدنيا، فالنعيم وإطالة الحياة على هذه الأرض هو عنوان رضى الخالق، بينما الشقاء والعناء وقصر العمر الإنساني عنوان غضبه وسخطه، لتنتهي حياة كلا الطرفين بالفناء، فنهاية من نال رضى الإله تماثل نهاية من نال غضبه كلاهما إلى الفناء، وهذا الاستياء مقبول من الناحية العقلية فهو يستند إلى أسس قوية. فكما قال الدكتور رفقي زاهر:

"ليست هناك أي ضرورة تحتم أن ينال المرء في هذه الحياة جزاءه المناسب عن عمله، بل إن الواقع المشاهد ليؤكد أن كثيرا من الناس يفعلون الخير ولا يجدون في دنياهم إلا شقاء موصولا وهما مقيما بينما يعيش آخرون متمتعين سعداء على الرغم من ممارستهم للشرور ومقارفتهم للآثام، فلو كان الموت هو خاتمة الرواية ولا شئ بعده لكانت الحياة في جملتها عبثا لايحتمل وجحيما لا يطاق."[١].

إلا أن اليهود غيروا إيمانهم فيما يختص بهذه العقيدة المتقدمة نتيجة لما أصابهم من شقاء كثير في تاريخهم، وبالتالي فقد أصبح القول بعدم وجود حياة بعد الموت يتم فيها حساب الخالق لعباده، قولا لايتناسب مع اعتقادهم بفضلهم على البشر، فهم شعب الله المختار المقربون منه سبحانه. وهم على حسب عقيدتهم المنكرة للبعث وقولهم إن النعيم نعيم الدنيا وأن الشقاء شقاؤها هم المستحقون -دون غيرهم- السعادة طوال أيامهم فيها، ولكن لما كان واقع الحال خلاف ذلك من خلال حصول أعدائهم - وهم أعداء بارئهم المستحقون بهذه العداوة الشقاء الدائم في هذه الحياة - على خير كثير تشهد به كتب

---

(١) قصة الأديان، ص ٣١٠.

التاريخ الإنساني ويشهد به اليهود قبل غيرهم، فقد أدى ذلك بهم إلى تغيير مضمون هذه العقيدة المتأخرة لتكون متوافقة مع واقعهم المرير ولتخدم مصالحهم خاصة، فذهبوا إلى القول بوجود حياة بعد الموت يتم فيها محاسبة أعدائهم خاصة من قبل إلههم المحب لهم، قالوا ذلك بهدف زرع الخوف في قلوب أعدائهم كي يمتنعوا عن إلحاق الأذى بهم.

إذاً فإن الأساس الذي قام عليه إيمان اليهود بوجود البعث لم يكن للاعتراف بأنه سيؤدي إلى الفصل بين العباد حسب إيمانهم وأعمالهم، ولكن ليأكدوا على تميزهم، فالحساب في ظنهم سوف يعتمد فيه على يهودية الفرد أو أمميته، فهو يوم وجد لبني إسرائيل خاصة.

وهذه العقيدة بشكليها المتقدم والمتأخر باطلة تماما من وجهة نظر الإسلام الذي يجعل من عقيدة البعث عنصرا أساسيا من عناصر الإيمان. والكفر به هو كفر بالله عز وجل. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: [**ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً**][١]

فقد جعل سبحانه الإيمان باليوم الآخر في سياق واحد مع الإيمان به جل وعلا، الأمر الذي يؤكد على عظم أمر هذه العقيدة في الدين الإسلامي، والإيمان بهذه العقيدة من وجهة نظر الإسلام سوف يؤدي بمعتنقها إلى فعل الخيرات وتجنب الرذائل كارها الوقوع في ما نهى الله عنه، دون الاهتمام بالقوانين الوضيعة الزاجرة أو انتظار تقدير أصحابها، فهو إن أقبل على الخير فلله وإن ترك الشر فله سبحانه أيضاً.

ويتفق هذا الموقف الإسلامي في مجمله مع الفطرة الإنسانية السليمة، لأن الإنسان السوي يرفض أن تكون نهاية عمل صالح تماثل نهاية آخر طالح، كما يرفض أن يكون الحكم في الحياة الآخرة قائما على أساس الجنس، ومن ثم يقرر الإسلام في كثير من المواضع أن الحكمة التى تكمن وراء

---

(١) سورة النساء الآية ١٣٦.

البعث تؤكد أنه مظهر من مظاهر تحقيق العدالة الإلهية، حيث يكافأ كل من الصالحين والطالحين بما قدمت أيديهم في دنياهم، إذ لايتفق مع هذه العدالة أن يتساوى الأخيار والأشرار فضلاً عن أن يفوز الأشرار بالسعادة، ويستأثروا دون الأخيار لتحقيق أكبر قدر من اللذائذ الدنيوية، ثم لايكون شئ بعد الموت، يقول سبحانه في هذا الصدد: [**أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار**][1]. كما يقول تعالى: [**أم حسب الذين إجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون**][2] كما يقول جل وعلا: [**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون، أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون. وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون**][3].

وبالتالي فإن مقياس الثواب والعقاب في اليوم الآخر من المنطلق الإسلامي الذي توافقه عليه فطرة الإنسان هو الإيمان والعمل دون أن يكون للعنصر أو الخصائص القومية دخل في ذلك على عكس ماتكشف عنه إشارات العهد القديم، وهذا جانب من جوانب عظمة الإسلام وروعته يؤكد سموه وشموخه على غيره من الأديان التي عبثت بها يد التحريف.

يقول سبحانه ..[**ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولايجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا**

---

(١) سورة ص، الآية ٢٨.

(٢) سورة الجاثية، الآية ٢١.

(٣) سورة السجدة، الآيات من ١٨-٢٠.

يطلمون نقيراً][1].

وجدير بالذكر أن عقيدة البعث في التوراة الصحيحة لاتختلف عنها في الإسلام، وقد أشار القرآن الكريم نفسه إلى ذلك عندما ذكر بأن الإيمان بالبعث كان جزءاً أساسياً من وحي موسى، عليه السلام، بل ومن التوراة أيضا، فالآية الكريمة تحدثنا عن أول مرة تلقى فيها موسى الوحي متضمنا أصول الإيمان، وذلك في قوله تعالى: [**إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى، فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هواه فتردى.**][2].

كما تحدثنا عن دعوته، عليه السلام، في مصر فتؤكد أن الإيمان باليوم الآخر كان جزءاً أساسياً من هذه الدعوة، بدليل ماجاء على ألسنة السحرة فيما ينقله عنهم كتابنا العزيز فقد قال سبحانه وتعالى: [**قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا، إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وماأكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى، إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لايموت فيها ولايحيا، ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى، جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى**][3].

كما يذكر القرآن الكريم في النهاية أن هذه العقيدة شغلت حيزا مناسبا من التوراة التي ورثها بنو إسرائيل فما لبثوا أن عبثوا بها وحرفوا فيها وفقا لأهوائهم القومية وظروفهم التاريخية، يقول تعالى: [**قد أفلح من تزكى، وذكر اسم ربه فصلى، بل تؤثرون الحياة الدنيا، والآخرة خير**

---

(١) سورة النساء، الآيتان ١٢٣و١٢٤.

(٢) سورة طه، الآيات من ٤-١٦.

(٣) سورة طه، الآيات من ٧٢-٧٦.

وأبقى، إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى.](١).

وبعد هذا العرض لموقف الإسلام من الآثار الناشئة عن إيمان اليهود بمضمون الخطيئة الأولى على عقيدتهم بفروعها الأربع المذكورة يتبين فساد ماعتراها بسبب ذلك الإيمان، وهو أمر ليس بغريب إذ إن الأساس الذي قامت عليه هذه العقائد فاسد وهو نص الخطيئة الأولى الذي ذكره سفر التكوين.

الآثار المتعلقة بالشريعة:

من خلال دراستي للأحكام الشرعية التى تأثرت بإيمان اليهود بنص الخطيئة الأولى، إنتهيت إلى إمكان تقسيمها من حيث ارتباطها بهذه العقيدة بشكل عام إلى قسمين: قسم يتعلق بحواء وبناتها على إعتبارها أحد المسببات الأساسية للخطيئة الأولى، وقسم نستطيع أن نطلق عليه مصطلح - لعنة الموت- التي أصدرها ياهو كما يحكي سفر التكوين ضد آدم بعد المعصية التي إنتقلت منه إلى عامة البشر.

وقد وقف الإسلام موقف الإنكار الشديد لما قررته الأسفار اليهودية، متفرداً بتلك النظرات الرائعة التي تضع الأمور في نصابها الصحيح، وتكشف في الوقت ذاته عما في الأسفار اليهودية من خلل وفساد، وسأحاول أن أعرض موقف الإسلام بهذا الخصوص عرضاً مجملاً يتفق مع طبيعة هذا البحث.

أولاً: الشرائع النسائية:

حاصرت الشريعة اليهودية الجنس الأنثوي بأحكام وأغلال خانقة كان الغرض منها الاستمرارية في التنكيل بها إذ إن نص الخطيئة الأولى الوارد في التوراة عد حواء العنصر الأساسي وراء السقوط، وهو في الوقت ذاته يذكر لعنة ياهو الأبدية عليها وعلى بناتها بسبب ذلك.

وقد أدى الإيمان بذلك كله إلى احتواء الشريعة اليهودية على أحكام

---

(١) سورة الأعلى، الآيات من ١٤-١٩.

شرعية كثيرة ارتبطت بشكل أو بآخر بلعنة ياهو على حواء وبناتها من بعدها، إذ وجدت الشريعة اليهودية في بعض خصائص الأنثى عنصرا لايجاري لتطبيق لعنة ياهو، من مثل الحيض والولادة وما يرتبط بهما من أحوال مما يعد مؤشراً قوياً على توارث بنات حواء للعنة أمهن، فوضعوا لها أحكاماً من البداهة القول بقسوتها وظلمها كما سبق أن وضح في الباب الأول من هذه الدراسة.

ويختلف الإسلام في نظرته إلى تلك الخصائص إختلافا كليا عن اليهودية، فهي في ضوء تعاليمه السمحة وجدت لتحقيق حكمة إلهية الغرض منها استخلاف الإنسان على هذه الأرض، إذ مكن الله تعالى حواء وبناتها من إنجاب ذرية آدم إعتماداً عليه سبحانه، ثم على تلك الخواص الإنثوية التي تتميز بها على الرجل، كما جعل الإسلام الرجل متكفلا برعاية المرأة لتتفرغ هي لأداء مهمتها تلك.

وقد فسر الإسلام الأمور الخاصة بالمرأة تفسيرا عقلانيا ساميا، خالف فيها ماوصمتها به اليهودية من دونية إرتكازا على نص الخطيئة الأولى، فالحائض في الشريعة الإسلامية تنحصر نجاستها في موضع الحيض دون سائر بدنها:

قال تعالى: [**ويسألونك عن المحيض، قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**][(١)].

قال صاحب الكشاف في تفسيره لهذه الآية:

"[**فاعتزلوا النساء**] يعني فاجتنبوا مجامعتهن، روى أن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود

---

(١) سورةالبقرة، الآية ٢٢٢.

والمجوس، فلما نزلت أخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فأخرجوهن من بيوتهن. فقال ناس من الأعراب: (**يارسول الله البرد شديد والثياب قليلة، فإ آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت، وإن إستأثرنا بها هلكت الحيض. فقال عليه الصلاة والسلام: إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن، ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم.***) وقيل: "إن النصارى كانوا يجامعونهن ولايبالون بالحيض، واليهود كانوا يعتزلوهن في كل شئ، فأمر الله بالإقتصاد بين الأمرين"(١).

كما أورد ابن حجر نقولا في تفسير ذلك منها قولا للخطابي جاء فيه: "أن المحيض أذى يعتزل من المرأة موضعه ولا يتعدى ذلك إلى بقية بدنها."(٢)

إذاً فنجاسة الحيض الموضعية في الشريعة الإسلامية ناشئة عن استقذاره لا لكونه نتيجة من نتائج لعنة الخطيئة الأولى. فالحيض في العرف الإسلامي وجد لحكمة تربية الولد، هذا ما أشار إليه ابن قدامة بقوله:

"الحيض دم يرخيه الرحم إذا بلغت المرأة ثم يعتادها في أوقات معلومة لحكمة تربية الولد، فإذا حملت إنصرف ذلك الدم بإذن الله إلى تغذيته ولذلك لاتحيض الحامل فإذا وضعت قَلَبَهُ الله تعالى بحكمته لبناً يتغذى به الطفل ولذلك قلما

---

* أخرجه مسلم في صحيه بنحوه، كتاب الحيض، باب جواز قراءة القرآن في حجر الحائض، ج٣، ص٢١١-٢١٢. وأخرجه أبو داود في سننه بنحوه، كتاب الطهارة، باب مؤاكلة الحائض ومجامعتها، ج١، ص١٧٧.

(١) الزمخشري، تفسير الكشاف، ج١، ص٢٦٥.

(٢) فتح الباري، كتاب الحيض، م١، ص٣٩٩.

تحيض المرضع"(١).

كما تحفل السنة النبوية بعدد كبير من الأحاديث الشريفة التي تحصر نجاسة الحائض في موضع الحيض دون سائر بدنها. فقد كان الرسول، عليه الصلاة والسلام، يتكئ على حجر زوجه الحائض تاليا القرآن مثبتا بفعله الشريف طهارة بدن المرأة الحائض في غير موضع الحيض.

وهو ماترويه عائشة، رضي الله عنها، بقولها: **(إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتكئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن)**(٢).

ولقد أراد الرسول، عليه الصلاى والسلام عندما منع زوجه الحائض من فراق فراشه أن يثبت في سلوكه سنته المتبعة، فالحائض طاهر البدن والحيض ليس جرما لتجنبها وهجرها.

فقد ورد عن أم مسلمة، رضي الله عنها، أنها قالت: **(بيّتُ أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم مضطجعة في خميصة إذ حضت، فانسللت فأخذت ثياب حيضي، قال أنفست قلت نعم، فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة)**(٣).

كما أكد الإسلام طهارة الحائض عندما أباح معاشرة الزوج لزوجته الحائض ليدحض بذلك مانسبته إليها اليهودية من نجاسة مفرطة.

فقد ورد عن عائشة، رضي الله عنها، إنها قالت: **(كانت أحدنا إذ كانت حائضاً فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن تتزر من فور حيضتها ثم يباشرها قالت وأيكم يملك إربه كما كان النبي**

---

(١) المغني، ج١، ص ٣١٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب قراءة الرجل في حجر إمرأته وهي حائض، ج١، ص٨٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب من سمي النفاس حيضا، ج١، ص٨٢.

صلى الله عليه وسلم يملك إربه)[١].

كما أكد الإسلام بما لامجال للشك فيه ماسبق تقريره عندما أقر قيامها ببعض مناسكها الشرعية، فهاهي ذي أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، وقد أبكاها حيضها وهي في الطريق لأداء مناسك الحج تتلقى رحمة الله بإباحة الإسلام قيام الحائض بجميع مناسك الحج سوى الطواف، الذي هو في مقام الصلاة، هذا ماتؤكده السنة الشريفة، وقد ورد أن عائشة، رضي الله عنها، قالت: **(خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لانذكر إلا الحج فلما جئنا سَرِف طمثت فدخل عليَّ النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال مايبكيك قلت لوددت والله إني لم أحج العام قال لعلك نفست قلت نعم قال فإن ذلك شئ كتبه الله على بنات آدم فافعلي ما يفعل الحاج غير أن لاتطوفي بالبيت حتى تطهري)**[٢].

أما كيفية خروج المرأة المسلمة من هذه النجاسة الموضعية فإن الأمر لايحتاج لأن تبقى في عزلة سبعة أيام، ثم تتقدم بعدها إلى الكاهن بذبيحة الخطية ليكفر عنها كما زعمت اليهودية، إنما يكفيها أن تغتسل من حيضها، فقد ورد عن عائشة، رضي الله عنها أنها قالت: **(قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة وإذا أدبرت فإغسلي عنك الدم وصلي)**[٣].

وإذا ما رغبنا التحدث عن أحوال المستحاضة في الشريعة الإسلامية فإنه يكفينا لبيان إنصاف الإسلام لها الإشارة أنهآ مؤدية لجميع أنواع العبادة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض، ج١، ص٨٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب تقضي الحائض مناسك الحج كلها إلا الطواف بالبيت، ج١، ص٨٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب إذا رأت المستحاضة الطهر، ج١، ص٩٠.

بما فيها الصلاة والطواف التي من شروط صحتها الطهارة، فما بها من دم لا يعد حيضا وبذا لاتكون نجاستها الموضعية مانعة لأداء التكاليف الشرعية.(١)

فقد ورد عن عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: **(قالت فاطمة بنت أبي حبيش لرسول اله صلى الله عليه وسلم: يارسول الله إني لاأطهر أفأدع الصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ذلك عرق وليس بالحيضة فإذا أقبلت الحيضة فاتركي الصلاة فإذا ذهب قدرها فاغسلي عنك الدم وصلي)**(٢).

ولايختلف موقف الشريعة الإسلامية بالنسبة للنفساء عن موقفه من الحائض ذلك لأن: "النفاس كالحيض سواء فإن دم النفاس هو دم الحيض إنما كان في مدة الحمل ينصرف إلى غذاء الولد في حين خرج الولد خرج الدم لعدم مصرفه وسمي نفاساً"(٣).

وعلى هذا فنجاسة النفاس موضعية كالحيض تماما يستوجب الخروج منها الغسل فقط وهو ماأشار إليه ابن قدامه بقوله "لاخلاف في وجوب الغسل بالحيض والنفاس"(٤).

وهذا الموقف الإنساني الكريم من الإسلام يخالف موقف الشريعة اليهودية التي عدت النفاس أحد الآثار الكبرى للخطيئة الأولى ففرضت عليها طقوسا قاسية للخروج مما وصفته بالنجاسة المشددة، لتنتهي هذه الطقوس بتقديم ذبيحة الخطيئة تكفيرا عنها.

وعندما سن الإسلام الذبيحة عقب إتمام الولادة لم يسنها عن الوالدة، فالذبيحة التي تسمى في الشريعة الإسلامية بالعقيقة خاصة بالمولود لا بالإم

---

(١) راجع: إبن قدامة، المغني، ج١، ص٣٢٤-٣٢٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب الإستحاضة، ج١ ص٨٤.

(٣) إبن قدامة، المغني، ج١، ص ٢٠٩.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٠٨.

ولغاية إسلامية ذات فوائد جمة، وقد ذكر الإمام ابن القيم كثيرا من وجوه الحكمة في مشروعية العقيقة فكان مما قال:

"من فوائدها: أنه قربان يقرب به عن المولود في أول أوقات خروجه إلى الدنيا، والمولود ينتفع بذلك غاية الإنتفاع، كما ينتفع بالدعاء له...

ومن فوائدها أنها فدية يفدي بها المولود، كما فدى الله سبحانه إسماعيل الذبيح بالكبش..."(١) – إلى أن قال –: "فالذبيحة عن الولد، فيها معنى القربان والشكران والفداء والصدقة وإطعام الطعام عند حوادث السرور والعظام، شكرا لله وإظهارا لنعمته"(٢).

ومع عظم فوائد العقيقة إلا أنها لاتخرج عن كونها سنة يثاب فاعلها ولايعاقب تاركها، كما يؤكد ابن قدامة بقوله: "والعقيقة سنة في القول عامة أهل العلم، منهم ابن عباس وابن عمر وعائشة وفقهاء التابعين وأئمة الأمصار"(٣).

"واستدل الجمهور بأن فعله، صلى الله عليه وسلم، دليل على السنية، وبحديث **(من ولد له ولد فأحب أن ينسك عن ولده فليفعل*)**"(٤).

وبعد هذا العرض الذي بينا فيه موقف الشريعة الإسلامية من المرأة، الذي نزهها في مجمله مما نسب إليها في الديانة اليهودية من نجاسة عظيمة

---

(١) إبن القيم، تحفة الودود بأحكام المولود، ص٨٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٨٧.

(٣) المغني، ج١١، ص١١٩.

* أخرجه أبو داود في سننه بنحوه، كتاب الأضاحي، باب في العقيقة. ج٣، ص٢٦٢و٢٦٣.

(٤) محمد إبن إسماعيل الصنعاني، سبل السلام، ج٤، ص٩٧.

اعتمادا على تفسيرهم لها على أساس أنها أحد آثار لعنة الخطيئة الأولى، التي أصابت حواء وبناتها من بعدها، ندرك أسباب الإختلاف في النظر إلى صفات الكمال الخاصة بالمرأة بين الإسلام من جهة وبين اليهودية والمسيحية من جهة أخرى، فالإسلام كما يرى الدكتور محمود شعلان:

"يحفل كثيراً بوجود الصفات النفسية والوجدانية الطيبة عند الزوجة، وعلى رأس تلك الصفات وفي مقدمتها صفة التدين وإليها مرد كل صفات الكمال والجمال النفسي، ... "[١]

في حين أنها في اليهودية والمسيحية:

"ربما كانت أقل ... الصفات عندهم وأهونها شأنا، فهم يهتمون بإبراز الصفات المادية ولايرون في الزوجة إلا عاملة تنسج الصوف والكتان وتبسط يديها بالمغزل وتكون كسفينة التاجر تجلب طعامها من بعيد، تعمل أثناء الليل ولا تأكل خبز الكسل، تطلب حقلا وتزرعه بيديها ..."[٢].

الشرائع المشتركة:

ظهر مما سبق مدى مشقة الشرائع اليهودية المرتبطة بالموت، والتي تقع على كاهل من يتكفل بغسل الميت أو الاقتراب منه، فالموت في مفهوم الديانة اليهودية لعنة أطلقها ياهو على آدم وذريته بسبب الخطيئة الأولى، أما الإسلام فلا يقر بما ورد في الشريعة اليهودية حول هذه المسألة فالشريعة الإسلامية تكفل للميت كرامته كما كفلتها له في حياته، فقد جعلت "غسل الميت ودفنه وتكفينه والصلاة عليه فرض كفاية"[٣] تأثم الأمة إذا لم يتصد نفر منها للقيام بذلك، كما أن ملامسة الميت في الشريعة الإسلامية لاتستوجب

---

(١) نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام، ج١، ص٥١.

(٢) الدكتور محمود شعلان، نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام، ج١، ص٥١.

(٣) إبن قدامة، المغني، ج٢، ص٣٠٩.

الغسل ولا الوضوء، فقد ورد عن ابن عمر أنه قال :**(كنا نغسل الميت فمنا من يغتسل ومنا من لايغتسل)**[١].

كما يذكر ابن قدامه بأنه: "لايجب الغسل في غسل الميت وبه قال ابن عباس وابن عمر وعائشة والحسن النخعي وإسحاق وأبو ثور وابن المنذر وأصحاب الرأي."[٢]

كما قال أيضاً "لا وضوء فيه وهو قول أكثر الفقهاء وهو الصحيح إن شاء الله لأن الوجوب من الشرع ولم يرد في هذا نص ولا هو في معنى المنصوص عليه فبقي على الأصل ولأنه غسل آدمي فأشبه غسل الحي"[٣].

صحيح أن بعض العلماء عد الإغتسال من غسل الميت أحد الإغتسالات المستحبة [٤]، ولكنهم في تعليلهم لهذا الحكم لم يشيروا على الإطلاق إلى أنه راجع إلى نجاسة الميت، بل أشاروا إلى ماقد يصيب الغاسل من فتور واسترخاء يحتاج معهما إلى استعادة نشاطه بالاغتسال[٥].

فالموت في الشريعة الإسلامية يعد مرحلة من المراحل التي يمر بها الإنسان، تتلوها مراحل عدة تتناسب وعمله، وبالتالي فهو غير ناتج عن الخطيئة الأولى ولا هو لعنة يتوارثها الأبناء عن الآباء، ولاهو نهاية العالم المظلمة كما تدعي اليهودية في أسفارها المتقدمة، وإنما هو مظهر وجودي يرتبط أوثق ارتباط بحكمة الله وعدالته، ومسيرة الحياة واطّرادها وعمل

---

(١) أخرجه البيهقي في سنن، كتاب الطهارة، باب الغسل من غسل الميت، ج١، ص٣٠٦

(٢) المغني، ج١،ص٢١٠.

(٣) المرجع نفسه، ص١٨٥. راجع أيضاً: محمد بن اسماعيل الصنعاني، سبل السلام، ج١، ص٧٠.

(٤) راجع: خليل أحمد السهارنفوري، بذل المجهود في حل أبي داود، ج١٤،ص١٢٨٠-١٢٩.

(٥) أشار إلى ذلك بعض فقهاء الشافعية..

الإنسان وتمحيصه.. **[الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور]**[١].

وبعد هذا العرض لموقف الإسلام مما يترتب عليه إيمان اليهود بنص الخطيئة الأولى من عقائد وشرائع نلاحظ وجود فرق واسع بين الديانتين، يتمثل في أن اليهودية ربطت بين كثير من العقائد والشرائع والخطيئة الأولى، أما الإسلام فيظهر دائماً أن لشرائعه حكماً إلهية بعيدة كل البعد عن الخطيئة الأولى، كما يتبين أن تلك الشرائع اليهودية تعكس حقيقة كونها شرائع مختلقة أدخلت على الديانة اليهودية الحق وربطت بالخطيئة الأولى، إذ لايتصور أن اليهودية الصحيحة تحمل مثل هذه العقائد، وبالتالي فكل ماوجد في تناقض وتحريف كان موضوعاً كما هو حال الخطيئة الأولى.

(١) سورة الملك، الآية ٢.

الفصل الثالث

موقف الإسلام من العقائد المرتبطة بالخطيئة الأولى في المسيحية

سأحاول في هذا الفصل عرض موقف الإسلام من ثلاث عقائد أساسية في الديانة المسيحية مرتبطة بالخطيئة الأولى، وهي:

١- بنوة المسيح لله.

٢- الفداء.

٣- عالمية المسيحية.

١- موقف الإسلام من البنوة المسيحية:

عولت المسيحية - كما تبين في الباب الثاني[١] من هذه الدراسة - في إثبات بنوة المسيح لله على عدد من الأدلة التي أثارت بدورها عددا من التساؤلات.

وهذه العقيدة تعد عقيدة ذات بعد إيماني خطير إذ إن الإيمان بها يخرج صاحبها من دائرة الإيمان الذي دعا إليه المسيح جميع الأنبياء بما فيهم عيسى، عليه السلام، نفسه، وذلك لتعلقها بأهم العقائد الدينية ألا وهي عقيدة الألوهية.

ويظهر لنا موقف الإسلام بشكل واضح من قضية البنوة من خلال جملة من الآيات التي تناولت هذا الموضوع من بينها قوله تعالى: [**يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**

(١) انظر الكتاب، ص١٠٨-١٣٤.

فآمنوا بالله ورسله. ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافي السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً . لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون. ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيسحشرهم إليه جميعاً](١).

لقد كان الغلو هو الأساس الذي يستند إليه النصارى في إقرار هذه العقيدة الباطلة ومن ثم نهاهم القرآن الكريم عن الغلو في الدين مبينا لهم حقيقة المسيح، عليه السلام فهو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والمسيح نفسه لايستكنف عن هذه العبودية كما لايستتكف عنها الملائكة المقربون، وقد تعرض لهذه القضية سيد قطب فقال:

"إنه سبحانه خلق عيسى بالأمر الكوني المباشر الذي يقول عنه في مواضع شتى في القرآن انه (كن.. فيكون*) فلقد ألقى هذه الكلمة إلى مريم فخلق عيسى في بطنها من غير نطفة أب... والكلمة التي تخلق كُلاً من العدم، لاعجب في أن تخلق عيسى عليه السلام في بطن مريم من النفخة التي يعبر عنها بقوله (وروح منه). وقد نفخ الله في طينة آدم من قبل من روحه: فكان (إنساناً) كما يقول تعالى: **[إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين****]. وكذلك قال في قصة عيسى: **[والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا*****]

---

(١) سورة النساء، الآيتان ١٧١و١٧٢.

* راجع: سورة البقرة، الآية ١١٧. وسورة آل عمران، الآية ٤٧. وسورة مريم، الآية ٣٥. وسورة الأنعام، الآية ٧٣. وسورة يس، الآية ٨٢. وسورة غافر الآية ٦٨.

** سورة ص، الآيتان ٧١و٧٢.

*** سورة الأنبياء، الآية ٩١.

فالأمر له سابقة.. والروح هنا هو الروح هناك.. ولم يقل أحد من أهل الكتاب – وهم مؤمنون بقصة آدم والنفخة فيه من روح الله – أن آدم إله ... كما قالوا مع عيسى، مع تشابه الحال من حيث قضية الروح والنفخة ومن حيث الخلقة كذلك"(١).

صحيح أن ولادة عيسى، عليه السلام، لم تجر على السنن المألوفة إذ لم يكن له أب كما يعهد الناس في الولادة العادية، وهذا ما استغله النصارى لتبرير قولهم ببنوته لله، ولكن القرآن الكريم يذكر أن عيسى، عليه السلام، لايختلف في ذلك عن آدم، عليه السلام، إذ هو الآخر لم يكن له أب ولم تكن له أم أيضا، فلو كانت ولادة عيسى تصلح أسسا لبنوته لله بنوة حقيقية. لكان آدم، عليه السلام، أحق بهذه البنوة، وقد ورد توضيح ذلك في القرآن الكريم، يقول سبحانه: [**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، الحق من ربك فلا تكن من الممترين**](٢).

وقد أثبت القرآن الكريم تحقق هذا الأمر الكوني المباشر فيما يتعلق بعيسى، عليه السلام، وذلك عندما تحدث عما أصاب مريم من خوف بعد تلقيها أمر الله بإنجاب ابنها عيسى، عليهما السلام، إذ قالت كما يذكر القرآن الكريم:

[**رب أني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون**](٣).

إن فهم أبناء الأديان الثلاثة لحقيقة وجود آدم، عليه السلام، وقبولهم لها مع مخالفتها لما هو متعارف عليه في العرف الإنساني يؤدي بدوره إلى

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، م٢، ص ٨١٧.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان ٥٩و ٦٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٤٧.

قبولهم ولادة عيسى، عليه السلام، دون أب.

فالتصديق العقلي المجرد عن الإيمان القبي بخلق آدم دون أب وأم، أصعب منطقياً من الأخذ بولادة عيسى بن مريم دون أب فهو على أقل تقدير جرى عليه ماجرى على البشر من مراحل النمو والتكوين الإنساني، إبتداء من تخلقه في رحم أمه إلى الوقت الذي خرج فيه إلى هذه الدنيا ومن ثم بلوغه أشده ... الخ.

أما آدم فقد ظهر أول ماظهر رجلاً متكامل الرجولة لم يمر بأي من هذه المراحل الإنسانية، فهو لم يعرف الطفولة، ولم يمر بأي من المراحل السابقة لمرحلته تلك، وبالتالي فإذا كانت مخالفة المألوف مؤدية إلى العبادة، فإن العقل السليم سيختار عبادة آدم دون شك لاختلاف خلقه تماماً عما اعتاده البشر، وبما أنه لم يفعل كان اختصاص عيسى بن مريم، عليهما السلام، بالعبادة غير مقبول عقلاً. ويقول الشيخ ابن تيمية تأكيداً لهذه الحقيقة:

"خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح، فإن حواء خلقت من ضلع آدم، وهذا أعجب من خلق المسيح في بطن أمه، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا، وهو أصل خلق حواء. فلهذا شبهه الله بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيح، فإذا كان سبحانه قادراً أن يخلقه من تراب، والتراب ليس من جنس بدن الإنسان، أفلا يقدر أن يخلقه من إمرأة هي من جنس بدن الإنسان؟ وهو سبحانه خلق آدم من تراب، ثم قال له كن فيكون، لما نفخ فيه من روحه، كذلك المسيح نفخ فيه من روحه، وقال له: كن فيكون، ولم يكن آدم بما نفخ من روحه لاهوتاً وناسوتاً، بل كله ناسوت فكذلك المسيح كله ناسوت..."(١).

---

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٢، ص٢٩٤-٢٩٥.

ويتوسع الشيخ رحمت الله ابن خليل الهندي في عرض غير المألوف من صور النشأة فيقول:

"فيستدلون تارة أنه ولد بلا أب، وهذا الاستدلال ضعيف جدا، لأن العالم حادث بأسره وما مضى على حدوثه إلى هذا الزمان ستة آلاف سنة على زعمهم. وكل مخلوق من السماء والأرض والجماد والنبات والحيوان وآدم خلق عندهم في اسبوع واحد، فجميع الحيوانات مخلوقة بلا أب ولا أم. فكل من هذه يشارك المسيح في كونه مخلوقا بلا أب ويفوق عليه في كونه بلا أم وتتولد أصناف من الحشرات في كل سنة في موسم نزول المطر بلا أب أو أم. فكيف يكون الأمر سببا للألوهية؟!

ولو نظرنا إلى نوع الإنسان فآدم عليه السلام يفوق عليه، وكذلك ملكي صادوق الكاهن الذي هو معاصر إبراهيم عليه السلام في الآية الثالثة من الباب السابع من الرسالة العبرانية حاله هكذا: (**بلا أب بلا أم بلا نسب. لابداءة أيام له ولا نهاية حياة**). فيفوق المسيح في كونه بلا أم، وفي كونه لابداية له"[١]

أما قول النصارى بهذه البنوة إعتمادا على ماظهر على يده، عليه السلام، من معجزات، فالإسلام الذي يقر بظهورها في أكثر من آية قرآنية إلا أنه علقها بالمشيئة الإلهية، فما كان منه، فبإذن الله، وهو الأمر الذي تقرر على لسان عيسى، عليه السلام، نفسه. وقد جاء على لسانه أنه قال: [**أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمة والأبرص وأحي الموتى**

---

(١) إظهار الحق، دراسة وتحقيق الدكتور محمد ملكاوي. ج٣. ص٧٦٥.

بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين](١).

إلى أن قال:[**إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم]**(٢).

فبعد أن أعلن، عليه السلام، أن الله المسبب الأول وراء ظهور تلك المعجزات، أعلن استحقاقه سبحانه للعبادة منه عليه السلام، ومن قومه مقررا أن ذلك هو الطريق المستقيم الذي لاعوج فيه.

وقد بين الشيخ رحمت الله الهندي الضعف في استدلال النصارى للمعجزات عند محاولتهم تثبيت القول ببنوة المسيح لله، فقال:

"لأن من أعظم معجزاته إحياء الموتى... إن عيسى عليه السلام بحسب هذا الإنجيل ماأحيا إلى زمان الصلب إلا ثلاثة أشخاص... وأحيا حزقيال عليه السلام ألوفا كما هو مصرح في الباب السابع والثلاثين من كتابه، فهو أولى بأن يكون إلها، وأحيا إيليا عليه السلام أيضا ميتا كما هو مصرح في الباب السابع عشر من سفر الملوك الأول، وأحيا اليسع عليه السلام أيضا ميتا كما هو مصرح في الباب الرابع من سفر الملوك الثاني، وصدرت هذه المعجزة عن اليسع بعد موته: أن ميتا ألقي في قبره فحيي بإذن الله كما هو مصرح في الباب الثالث عشر من السفر المذكور، وأبرأ الأبرص من برصه كما هو مصرح في الخامس من السفر المذكور"(٣).

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٤٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٥١.

(٣) إظهار الحق، دراسة وتحقيق الدكتور محمد ملكاوي، ج٣. ص٧٦٥-٧٦٦. راجع أيضاً: الدكتور محمد مجدي مرجان، الله واحد أم ثالوث. ص ١١٢-١١٣. والشيخ أحمد إبن إدريس الكرافي، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية. تحقيق عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية. ص١٠٣.

وهكذا أثبت رحمت الله الهندي، رحمه الله، فساد دليلهم هذا بأدلة من كتابهم لعلهم يرجعون. فعيسى بن مريم اعتمادا على دليل الإعجاز، لايستحق العبادة بالقدر الذي يستحقه غيره ممن وردت سيرهم في كتابهم المقدس، لتفوقهم على عيسى، عليه السلام، في ذلك المجال المعجز، بل لقد قر في أذهان المنصفين من بني إسرائيل أن عيسى، عليه السلام، لايتجاوز في مكانته مكانة الأنبياء والمرسلين، الذين لايسعهم إلا أن يعترفوا بالعبودية لله، وذلك هو ماجرى على لسانه، وهو صبي في مهده وسمعه كثيرا منهم.

ويعرض القرآن الكريم هذه الصورة المشرفة التي تظهر حقيقة المسيح بقوله سبحانه:

[فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً، قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً. وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً. وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً، والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً](١).

هكذا بدأ حياته، عليه السلام، بأن أعلن عبوديته ورسالته وهو مازال في المهد صبيا فأوضح أنه بشر يؤدي حقوق الله عليه كعبد من صلاة وزكاة كما أن الموت والبعث يجريان عليه كغيره من البشر.

وهناك آية قرآنية كريمة تتحدث عن ميثاق الأنبياء بما في ذلك عيسى، عليه السلام، فقد خصت هذه الآية عيسى، عليه السلام، بنسبته إلى أمه.

قال تعالى: **[وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً]**(٢).

---

(١) سورة مريم، الآيات من ٢٩-٣٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٧.

ولعل السر في ذلك وهو ماترتب على خاصية عيسى بن مريم من عقائد فاسدة ترقى به زورا وبهتانا إلى مقام الألوهية، فحرص القرآن الكريم على تأكيد إرتباطه بأمه الأمر الذي لايتفق إطلاقا مع الألوهية. اللهم إلا في أساطير الأولين.

ومن اللافت للنظر أسلوب القرآن الكريم في حديثه عن عيسى بن مريم، إذ إن الغالبية العظمى من الآيات القرآنية التي تتعلق به تذكر بنوته لأمه، عليهما السلام، وهو أسلوب في غاية الأهمية إذا ماأخذنا في الحسبان أسلوب حديث عيسى عليه السلام، عن نفسه والوارد في الأناجيل، فهو كما أشرت في حينه يذكر دوما أنه "ابن الإنسان" وقد كانت تلك العبارة مدار إهتمام كثير من علمائهم الذين حاولوا تبرير تكرارها على لسان عيسى عليه السلام، تبريرا لاينفي بنوته المزعومة لله. وقد باءت تلك المحاولات كما ظهر بالفشل.

ولو أمعن عامة النصارى في كتابهم المقدس دون تحيز وتعصب لما وجدوا آباءهم عليه، لوقفوا على عبارة "ابن الإنسان" التي تنسبها الأناجيل إليه، عليه السلام، فهي من الكثرة بحيث لايمكن تجاهلها أو المرور عليها دون توقف، ولو بحثوا في حقيقة المراد منها لوجدوا أن تفسيرها يتوافق مع بنوته لأمه مريم، عليها السلام، كما هو في القرآن الكريم. "وقد اتجه القرآن الكريم إتجاها آخر في إثبات عبودية عيسى، عليه السلام، لله ونفي بنوته له سبحانه عما يشركون، وذلك عندما تحدث عن ضعفه وحاجته إلى مستلزمات الحياة فهو وأمه كغيره من البشر في حاجة إلى طعام للبقاء، وهو أمر يمتنع عن الإله فاطر السموات والأرض المستحق للعبادة وحده دون غيره. قال تعالى: **[ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أني يؤفكون]**[(١)].

---

(١) سورة المائدة، الآية ٧٥.

ولنا أن نقول إن عيسى، عليه السلام، برئ مما نسب إليه، فهو لم يأمر قومه بعبادته أو اعتباره ابن الله على الحقيقة، فهو كأنبياء الله المصطفين الأخيار.

وهو عليه السلام سيبرئ نفسه من هذه العقيدة أمام الأشهاد عند الحساب، هذا ماأطلعنا عليه سبحانه اذ قال في كتابه الكريم: [**ياعيسى إبن مريم أأنت قلت للناس إتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك إنك أنت علام الغيوب. ماقلت لهم إلا ماأمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد**](١).

ولقد بلَغ عيسى، عليه السلام، رسالته على أكمل وجه، ودعا قومه بما أمره به الله سبحانه، وقد تقبل الحواريون دعوته تلك فآمنوا بالله وحده، هذا ماأثبته القرآن الكريم بما نقله على ألسنتهم: [**ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين**](٢).

إن إقرار الحواريين برسالة عيسى، عليه السلام، ورفضهم اعتباره إبن الله مشاركا له في الألوهية، حقيقة وصل إليها كثير من العلماء المنصفين، ومن هؤلاء برادلي "Bradley" الذي قرر "أن الحواريين لم يؤلهوا عيسى إنما كانوا يطلقون عليه لقب "Lord" وهي كلمة منقولة عن أصل إغريقي بمعنى(السيد) ثم تغير معناها عند الأقباط بعد ذلك فصارت تعني (الرب) أيضا"(٣).

---

(١) سورة المائدة، الآيتان ١١٦و١١٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٥٣.

(٣) David. G, a guide to the worlds religions, p. 51.

ومن هؤلاء أيضا "شارل جنيبير" الذي يقول: "ولم يكن الإثنى عشر ليوافقوا على نعت عيسى بـ (ابن الله) مكتفين بتعبير (خادم الله)"(١).

وليقول بعد ذلك مثبتاً براءة عيسى بن مريم من هذه البنوة: "النتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين، هي أن عيسى لم يدع قط أنه المسيح المنتظر. (ولم يقل عن نفسه أنه "ابن الله" ...)"(٢).

كما قال:

"تعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسى قد تصور نفسه "عبد الله" وتقدم للناس بهذه الصفة. والكلمة العبرية "عبد" كثيرا ماتترجم إلى اليونانية بكلمة تعني (خادم) و(طفلا) على حد سواء. وتطور كلمة (طفل) إلى كلمة (ابن) ليس بالأمر العسير، ولكن مفهوم (ابن الله) نبع من العالم الفكري اليوناني"(٣).

ويعبر غراج "Gragg" عن هذه الفكرة قائلا:

"إن مصطلح البنوة على نحو ماهو شائع مصطلح غير موفق، لما يوحيه من العلاقة المادية بين الأب والإبن مع أن المصطلح بالآرامية يعني الحب الشديد، وهو أمر لايخص المسيح، ولذلك كان يقول في كثير من النصوص (أبي وأبيكم)"(٤).

إن هذا العالم يؤكد أن الخلط الوارد هنا نتج عن تداخل اللغات وهو أمر معروف يقع في كثير من الكلمات والعبارات.

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود، ص٩١.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٩.

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها، الحاشية.

(٤) Kenneth, Jesus and the Muslim an exploration, p. 197.

كما ذهب شارل جنيبير إلى أن بولس عندما قال بهذه البنوة لم يقصد معناها العقدي الحالي فهو يقول:

"إن (السيد) هو (ابن الله) دون أن يفترض هذا التعبير إيمانا منه بنظرية البنوة في معناها الحرفي.

وإذا أردنا التحديد، وجب القول بأن بولس كان يرى أن (السيد) يمثل بمفرده صنفا من أصناف الخليقة يعتبر أقرب صنف إلى الله. ويمكن وصفه بـ (الإلهي) ومن ناحية أخرى، فمن المؤكد لدينا إن الاعتقاد بألوهية المسيح بعد ذلك كان لابد له من النمو إذ بدا تصوير بولس له مشوبا بالكثير من التردد والنقص بحيث لم يقدر له مقاومة الزمن. واتجهت تقوى المؤمنين في قوة دون ما إدراك للعقبات إلى تنشيط الإيمان بالوحدة بين (السيد) و (الله)"[١].

لقد كان عيسى، عليه السلام بمولده المتميز وحياته الخاصة ونهايته المتفردة على الأرض آية من آيات قدرة الله سبحانه ومظهراً من مظاهر عظمته، ومثالا من أمثلة حكمته وصدق الله العظيم إذ يقول: [**وجعلنا ابن مريم وأمه آية**][٢].

وإذ يقول: [**قالت أنى يكون لي غلامٌ ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً، قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً**][٣].

والملاحظ أن القرآن الكريم عندما يتحدث عن عيسى، عليه السلام، يكرر التنبيه إلى وفاته، ولعل الحكمةَ في ذلك قطع شائبة التأليه. قال تعالى

(١) المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود، ص١٠٧.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ٥٠.

(٣) سورة مريم، الآيتان ٢٠, و٢١.

على لسان عيسى، عليه السلام، وهو في المهد صبي: [**والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً**][1].

وقال سبحانه على لسانه، عليه السلام، يوم البعث: [**ماقلت لهم إلا ماأمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد**][2].

وقال تعالى: [**إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين إتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون**][3].

وهكذا لايبقى أي مجال لتأليه المسيح إذ الإله لايولد ولايموت.

وأختم هذا البحث بعبارات للأستاذ سيد قطب علق بها على تعقيد قضية البنوة في المسيحية رغم بساطتها الفطرية الواضحة في ثنايا عرض الإسلام قال فيها:

"يعجب الإنسان وهو يرى وضوح القضية وبساطتها من فعل الهوى ورواسب الوثنية التي عقدت قضية عيسى عليه السلام هذا التعقيد كله في أذهان أجيال وأجيال وهي - كما يصورها القرآن - بسيطة وواضحة ومكشوفة"[4].

---

(١) سورة مريم الآية ٣٣.

(٢) سورة المائدة، الآية ١١٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٥٥.

(٤) في ظلال القرآن، م٢،ص٨١٧.

٢- موقف الإسلام من الفداء المسيحي:

عرفنا أن الفداء من العقائد الأساسية التى نتجت عن اعتقاد النصارى بتوارث الخطيئة الأولى، فهم يؤمنون أن هذه الخطيئة ما كانت لتغفر دون عقاب، فرحمة الله على سعتها لا تتفق مع عدله سبحانه. فعدله يقتضى عقاب المخطئ والإنسانية خاطئة بالوراثة فلابد أن يقع عليها، وبما أن من المتعذر الجمع بين الرحمة والعدل بمفهومهما المسيحى ، إذ إن رحمته تقتضى العفو وعدله يقتضى العقاب اختار الإله - حسب زعمهم - أن يرسل ابنه الوحيد ليصلب ويقتل فداء للبشرية، الذي وافق بدوره أن يذل ويهان ويقتل ويصلب على يد عبيده ليحقق بذلك المعادلة الصعبة فى التوفيق بين عدل أبيه - على زعمهم - ورحمته ولتتطهر الإنسانية المؤمنة به كفادي من ذلك الميراث الثقيل، وهذا هو ملخص عقيدة الفداء المسيحي.(١)

يرفض الإسلام هذه العقيدة شكلا ومضمونا، كما يظهر من خلال الأدلة النقلية والعقلية، وسأحاول بإذن الله أن أعرض بعض تلك الأدلة . وأبين وجهة النظر الإسلامية في رفض القول بالفداء .

١- إن الخطيئة التي قالت النصرانية بوراثة الإنسانية لها. غفرت من قبل الله، فقد ألهم سبحانه آدم كلمات الضراعة والتوبة التي تفتح لها أبواب المغفرة(٢).

٢- مبدأ ميراث الخطيئة يتنافى مع العدالة الإلهية التي تقرر أن كل فرد مسئول عن عمله خيرا كان أو شرا، وبما أن الإنسانية بريئة من ذنب أبويها آدم وحواء، فهي ليست محلا للعقاب على هذه المعصية، وقد ذكرت ذلك بالتفصيل فى الفصل في الفصل السابق.

---

(١) أنظر الكتاب، ص١٣٥-١٤٢. راجع أيضا أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري. الرد على النصارى، حققه وقدم له الدكتور محمد محمد حسنين - ص٣٦-٣٧.

(٢) أنظر الكتاب ص ١٨٠.

٣- إن ما قاله النصارى حول حكمة الفداء ومفهومه، يتعارض مع ما قرره الإسلام حول قدرة الله سبحانه، فعلى فرض أن ثمة ذنوبا تستوجب قصاصا، فإن الله سبحانه قادر على التجاوز عن هذه الذنوب دون حاجة إلى فداء، قال تعالى : **[ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير)**[١].

٤- إن ما قاله النصارى حول حكمة الفداء ومفهومه يتعارض أيضا مع ما قرره الإسلام من اتصاف الله سبحانه بصفة الرحمة، فإذا كانت رحمته وسعت ذنوب الخاطئين فيكف تتفق مع تحميل الأبرياء عواقب مالم يفعلوا، بل إن هذا التصور لا يتعارض مع الرحمة الإلهية فحسب، وإنما يتجاوز ذلك إلى وصفه سبحانه بدرجة متميزة من القسوة - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - إلى حد أنه دفع بولده الوحيد ليتحمل القتل والصلب رغم قدرته على حمايته من بطش أعدائه، بل ورغم علمه بأنه لا يستحق ذرة من هذا العقاب.

ولقد صور الإسلام المشاعر الإنسانية النطرية في نفس الأم تجاه أولادها، فإذا هي مشاعر تفيض بالرحمة والعطف والإشفاق، مقررا أن رحمة الله بعباده تتفوق على رحمة الأم بأولادها، تفوق الصفةالأبدية اللا محدودة على الصفة الإنسانية القاصرة، فعن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه قال: **(قدم على النبى صلى الله عليه وسلم سبي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبياً فى السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: أترون هذه طارحة ولدها فى النار؟ قلنا لا وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها)**[٢].

---

(١) سورة المائدة، الآية ٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج٨، ص٩.

٥- ينفى الإسلام نفيا قاطعا ماذكرته الديانة النصرانية حول القتل والصلب وذلك في قوله تعالى: [**وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا أتباع الظن وما قتلوه يقيناً**](١).

وأساس هذا الظن أن الله سبحانه وتعالى فيما يذكر بعض العلماء القى شبه عيسى، عليه السلام، على أحد أعدائه وهو يهوذا الإسخريوطي(٢) فقتل وصلب. وقد أكد نفي الصلب عن المسيح بعض المنصفين من علماء النصرانية أذكر منهم:

"أرنست بونسن الألماني في كتابه (الإسلام أي النصرانية الحقة) -الذي قال- في صحيفة ١٤٢ ما معناه أن جميع مايختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح لا من أصول النصرانية الأصيلة(٣).

أما ملمن فلم يستبعد وقوع الصلب على غير عيسى، عليه السلام، وذلك في قوله في:

الجزء الأول من كتابه المسمى (تاريخ الديانة النصرانية) - إن تنفيذ الحكم كان في وقت الغلس وإسدال ثوب الظلام فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا في سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم كما اعتقد بعض الطوائف وصدقهم القرآن"(٤).

(١) سورة النساء، الآية ١٥٧.

(٢) راجع: نجم الدين البغدادي الطوفي، الإنتصارات الإسلامية في مقارنة الأديان، دراسة وتحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، ص ١٠٢.

(٣) عبد الرحمن بن سليم البغدادي، الفارق بين المخلوق والخالق، ص ٢٨١-٢٨٢.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٨٢.

٣- موقف الإسلام من عالمية المسيحية:

عرفنا مما سبق أن النصارى انتهوا إلى القول بعالمية المسيحية نتيجة لاعتقادهم بتوارث الخطيئة الأولى التي انتهت إلى عامة البشر.

ولأنهم يقرون أن عدل الله لاينحصر في شعبه المختار، بل يشمل ذرية آدم بأكملها، كان لزاما أن تكون ديانة الفادي الذي افتدى الإنسانية فطهرها مما لحق بها من خطيئة أبويها ديانة عالمية.

فليس من العدل أن يخلص بني إسرائيل من لعنة الخطيئة الأولى دون غيرهم من بني آدم، ودعماً وتثبيتاً لفكرة العالمية في نفوس أتباعهم، قالوا إن الذي سيقوم بمحاسبة البشر يوم البعث الأكبر هو الفادي عيسى بن مريم يغفر لمن آمن به كفادٍ ويعاقب من كفر بذلك.

ورغم وضوح موقف الإسلام من مسألة عالمية المسيحية فسيزداد الأمر وضوحا من خلال القاء الضوء على أمرين في غاية الأهمية.

أولا: إن مناداة رجال الدين المسيحي كل يوم بعالمية المسيحية، وقيام أتباعهم بتنفيذ متطلبات هذه العالمية بجد ومثابرة، يعد أكبر دليل على ماوقع من أجماع بين النصارى على هذه العقيدة.

ثانيا: أن الباحث في الأناجيل يفاجئ بنصوص تبطل القول بهذه العالمية، لأنها تقرر أنها ديانة قومية لبني إسرائيل لاغير.

ومن النصوص التي تؤكد هذه الحقيقة ماورد على لسان الملك الذي بشر مريم عليها السلام بولادتها لرسول الله، عيسى عليه السلام:

(يامريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين إبناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيما وابن العلي يدعي ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد)(١).

---

(١) انجيل لوقا، الإصحاح الأول، الفقرتان: ٣٠و ٣١.

فقد أكد هذا النص خصوصية دعوة عيسى، عليه السلام، بآل يعقوب أي بني إسرائيل دون غيرهم، وهذا التخصيص يخرج غيره من ملكه وهو يعني خصوصية دعوته، والمدهش حقاً هو هذا التشابه الذي يجمع بين هذا النص ونص قرآني أشار إلى القصة نفسها بما في ذلك تخصيص نبوة عيسى، عليه السلام، ببني إسرائيل وحدها وذلك في قوله تعالى: [**إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه إسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين، قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، ويُعلِّمهُ الكتاب والحكمة والتوارة والإنجيل، ورسولاً إلى بني إسرائيل**](١).

وكما تذكر الأناجيل فإن عيسى. عليه السلام، نفسه أكد أنه لم يأت بدين جديد بل إنه جاء لإكمال ماجاء به موسى من قبله، وبالتالي فهو لم يبعث لإستبدال الديانة اليهودية بديانة جديدة تماماً، فقد ورد مايدل على ذلك في إنجيل متى حيث نقل على لسانه قوله:

(لاتظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل.)(٢).

وتفسير النص السابق أنه لما كانت ديانة موسى خاصة ببني إسرائيل، فقد بعث هو أيضاً ليكون نبياً لبني إسرائيل خاصة كالأنبياء السابقين أصحاب الناموس.

ويؤكد الإسلام أيضاً ماجاء في هذا النص فقد ورد في القرآن الكريم على لسان عيسى بن مريم أنه قال لبني إسرائيل: [**ومصدقاً لما بين يدي**

---

(١) سورة آل عمران، الآيات من ٤٥-٤٩.

(٢) الإصحاح الخامس، الفقرة: ١٧.

من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون][١].

فالحكمة من إرساله، عليه السلام، كانت لتجديد إيمان بني إسرائيل بدينهم الموسوي وكتابهم التوراة، ولتحليل بعض الذي حرم عليهم في توراتهم رحمة من الله سبحانه بهم. وقد وجه عليه السلام تلامذته الإثنى عشر إلى هذه الخصوصية عندما بعثهم لنشر دعوته بين بني إسرائيل إذ قال لهم كما يذكر إنجيل متى **(إلى طريق أمم لاتمضوا وإلى مدينه للسامرين لاتدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة**[٢].

إن تأكيده، عليه السلام، في هذا النص خصوصية دعوته لا مجال للجدال فيها فقد منع حوارييه من الدخول أو حتى المرور بأمم غير اليهود، وما كان ليأمرهم بذلك لو أن دعوته التي بعث بها كانت عالمية.

وقد أثبت عليه السلام خصوصية رسالته في موضع آخر يقول فيه: **(لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)**[٣]. كما يؤكد هذه الخصوصية بطرس الذي أجمع علماء الديانة المسيحية على مر عصورها أنه خليفة عيسى، عليه السلام، فقد نقل عنه أنه قال: **(الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح)**[٤].

ويقرر القرآن الكريم خصوصية دعوة عيسى، عليه السلام، لآل يعقوب في كثير من الآيات من مثل قوله تعالى عن عيسى بن مريم، عليه السلام: **[إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل]**[٥].

---

(١) سورى آل عمران، الآية ٥٠.

(٢) الإصحاح العاشر، الفقرتان: ٥و٦.

(٣) إنجيل متى، الإصحاح الخامس عشر، الفقرة ٢٤.

(٤) أعمال الرسل، الإصحاح العاشر، الفقرة: ٣٦.

(٥) سورة الزخرف، الآية ٥٩.

وقوله تعالى: [**وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة**][1].

وقوله تعالى على لسان عيسى، عليه السلام، : [**يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار**][2].

وفي نهاية هذا العرض نجد أن هناك توافقا في عدد كثير من النصوص المسيحية مع ما ورد في القرآن الكريم من رفض لعالميتها مما يؤكد أن هذه العالمية المزعومة إنما تمثل إحدى إضافات الكهنة إلى المسيحية، وأنه لاأساس لها في الدين يمكن الإستناد إليه.[3].

---

(١) سورة الصف، الآية ٦.

(٢) سورة المائدة الآية ٧٢.

(٣) راجع: المستشار محمد عزت الطهطاوي، النصرانية والإسلام. ص ٢٩٣-٣٠١.

الباب الرابع

المقارنة بين الأديان الثلاثة من قضية الخطيئة الأولى وآثارها

الفصل الأولا: أسس المقارنـــة.

الفصل الثاني: عوامل الإنحراف.

تمهيد:

تبين لنا فيما مضى وجود عناصر اتفاق وعناصر اختلاف بين الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام حول قصة الخطيئة الأولى. وأن الخلاف حول مضمونها ومغزاها أوسع دائرة بين الإسلام وبين الديانتين السابقتين اللتين جعلتا منها مرتكزا من مرتكزات الإيمان والاعتقاد.

ورغبة في الوصول إلى موقف محدد يظهر لنا من خلاله أي هذه الأديان الثلاثة هو الذي تتوافر فيه مقومات الصدق، فقد خصص هذا الباب ليتضمن الفصل في هذه القضية الخطيرة، من خلال عقد مقارنة موضوعية حولها بين الأديان الثلاثة. وللوصول إلى هذه الغاية سألقي الضوء أولا على أسس المقارنة. وقد اخترت أكثر هذه الأسس تداولا بين الباحثين وهي التي أشار إليها الدكتور رفقي زاهر بقوله:

"إن مقاييس المفاضلة بين الأديان مختلفة وأسس التمييز بينها متفاوتة تبعا لاختلاف المشارب وتفاوت الأزواق.

فالعقليون يفاضلون بينها على أساس مافيها من حقائق، فأكثر الأديان اشتمالا على الحقائق هو أكثرها حظا من الفضل والعلماء يفاضلون بينها على أساس ما فيها من المعارف العلمية... وأحدث مقياس في هذا الشأن، ميحتكم إليه البراجماتيون في المقارنة، فقد فسروا الحق ب (النافع، والعملي) وعلى هذا يكون أفضل الأديان هو أكثرها نفعا للناس وحثا على العمل.

يبدو أن هذا الاتجاه البراجماتي ليس جديدا تماما، فإننا نجد له جذورا عميقة في فلسفة الفيلسوف الأندلسي (ابن رشد).

لقد حدد (أبو الوليد بن رشد)* وظيفة الدين الأساسية وهي

---

* راجع ابن رشد، تهافت التهافت، ج٢، ص٨٦٩-٨٧٠.

عنده حث الناس على الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة التي تحقق لهم السعادة في الدارين، وعلى ذلك فأفضل الأديان هو ما كان بنصوصه وطقوسه أكثر نهوضا بهذه الوظيفة الجوهرية الخالدة"(١).

وعلى هذا اخترت ثلاثة أسس للمقارنة وهي:

١- الأساس العقلي.

٢- الأساس التاريخي.

٣- الأساس الغائي.

هذا هو موضوع الفصل الأول من هذا الباب، إلا أن هذه الأسس لن تتضح في أذهاننا تماما دون الرجوع إلى العوامل التي تسببت في الانحراف العقائدي الذي شاب بعض الأديان السماوية. لذا خصص الفصل الثاني والأخير من هذا الباب -إن شاء الله- للحديث عن عوامل الانحراف وهي ثلاثة:

١- العامل النفسي.

٢- العامل القومي.

٣- العامل الديني.

لأصل في نهايته بعون الله وتوفيقه إلى التمييز بين دين الحق وغيره من الأديان الباطلة.

---

(١) قصة الأديان، ص٢٩٦-٢٩٧.

الفصل الأول

أسس المقارنة

١- الأساس العقلي.

٢- الأساس التاريخي.

٣- الأساس الغائي.

١- الأساس العقلي:

لو أن أصحاب كل دين احتكموا في مجال المقارنة بين الأديان إلى نصوص في دينهم لكان من المتعذر أن يلتقوا على طريق وسط أو أن يقتنع واحد منهم برأي آخر.

ذلك لأن النصوص الدينية عند أبناء الدين هي دائما موضع قداسة لاتقبل المساس بها أو المساومة على صدقها، ومن هنا ندرك أهمية الاعتماد على الأساس العقلي في مثل هذه المقارنات، ذلك أن اعتماد النتائج العقلية غالبا مايكون موضع القبول من الناس على اختلاف أديانهم لاسيما المستنيرون منهم، ومن اليسير أن نجد من أبناء الأديان الثلاثة أقدم كثيرا من الأمثلة التي تظهر الموقف الموضوعي في أبناء كل دين، غير أنني أكتفي بتقديم ثلاثة نصوص، يعرض كل منها رأي عالم من علماء الأديان الثلاثة في حتمية قيام العقيدة الصحيحة على العقل، فقد قال الفيلسوف اليهودي موسى ابن ميمون:

"إن الاعتقاد ليس معنى المعقول، بل المعنى المتصور في النفس، إذ صُدّق به أنه كذلك على ما تصوّر، فإن كنت ممن تقنع من الآراء الصحيحة أو المظنون صحتها عندك بأن تحكيها بالقول من غير أن تتصورها وتعتقدها، فناهيك أن تطلب فيها يقينا، فإن هذا سهل جدا، كما تجد كثيرين من البُله يحفظون عقائد لايتصورون لها معنى بوجه"(١).

إذا فالاعتقاد دون عقل بلاهة في نظر موسى ابن ميمون، أما يوحنا الدمشقي أحد علماء الديانة المسيحية فيقول: "للعقل قيادة النفس والجسد"(٢).

---

(١) دلالة الحائرين، تحقيق الدكتور حسن أتاي، ج١، ص١١٨.

(٢) المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، عربه الارشمندريت أدريانوس شكور، ص١٦٣.

كما أن الشيخ محمد عبده يرى أن أول: "أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح..."[١].

وأعرض الآن للمقارنة بين الأديان الثلاثة في بعض الصفات الإلهية المتصلة بموضوع الخطيئة الأولى للا ستدلال على أي هذه الأديان أدنى إلى القبول العقلي.

فبالنسبة للديانة اليهودية نجد أن التوراة تظهر الإله جاهلا بمعصية آدم إلى أن أخبره آدم بذلك، لتصفه بعد ذلك بالقسوة والظلم، فقد كان قاسيا في حكمه على آدم وحواء، كما أنه

لم يقصر حكمه هذا عليهما بل جعله متعديا إلى نسلهما، وقد ولد اعتقاد اليهود بظلم الإله في نفوسهم إحساسا مريرا بسبب رفضهم لمبدأ توارث الخطيئة الأولى ولعنتها مما أدى إلى اعتراض كثير منهم، وهو مانسبه العهد القديم لنبيهم داود، عليه السلام. وتمشيا مع هذا الاتجاه تحدث كتابهم المقدس عن حقده وظلمه. إذ قررت نصوصه أنه لايغفر الذنب البته، بل يأخذ الأحفاد بجرائر الأجداد وهو في ذلك لايفرق بين المكلف وغيره.

إن أي عاقل يستخدم عقله في تبين صفات الله لابد أن يصفه بغاية السمو والكمال، ولاشك أن ما ينسب إلى الإله من الجهل والقسوة والظلم أمور تتنافى عقلا مع الكمال الإلهي، بل إن أي إنسان من البشر يدرك أن هذه الصفات نقائص ينبغي أن يبرأ منها لأنها تتنافى مع الكمال الخلقي للإنسان، فكيف يقبل العقل أن يتصف الله سبحانه بنقائص ينزه البشر أنفسهم عن الاتصاف بها.

وهنا تتبين لنا روعة الإسلام وقوته إذ تتضافر النصوص الصريحة القاطعة على تنزيه الله سبحانه عن تلك الصفات، فالذات الإلهية كاملة

---

(١) الإسلام والنصارنية مع العلم والمدنية، ص ٩٦. راجع أيضا: أبا الفضل المالكي المسعودي، الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل، ص٤.

متفردة في هذا الكمال.

[ليس كمثله شئ وهو السميع البصير][١].

فصفة العلم في الإسلام، صفة لازمة من لوازم الألوهية، وهو في ذلك يتفق مع منطق العقل تماما وبالتالي فإن ماذكره العهد القديم في هذا الصدد بعيد عن القبول العقلي، بقدر مافيه من الإخلال بتنزيه الله سبحانه عما لايليق. هذا فيما يتعلق بموقف الإسلام من وصفهم الإله بالجهل. وهو الموقف نفسه الذي يقفه الإسلام عندما يرفض وصفه له سبحانه بالقسوة والظلم.

فالنصوص الإسلامية تنفي وصفه بالظلم كما تتحدث بإسهاب عن رحمته التي وسعت كل شئ.

وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: **[كتب ربكم على نفسه الرحمة]**[٢]. كما قال سبحانه: **[قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم]**[٣].

ومن لطائف مايذكر في هذا الموضوع ما قرّ في روع موسى، عليه السلام، من الإيمان العميق برحمة الله سبحانه بالرغم من زعم اليهود نقلهم صفات القسوة والحقد وسرعة الغضب التي يتصف بها يهوا عن توراة موسى، وقد أشار القرآن الكريم إلى المشاعر الحقيقية لموسى بهذا الخصوص، وذلك فيما ذكر من دعاء موسى، عليه السلام، وماتلقاه عن ربه فقد قال سبحانه: **[واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ]**[٤]

---

(١) سورة الشورى، الآية ١١.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٥٤.

(٣) سورة الزمر، الآية ٥٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٥٦.

وهكذا نزه الإسلام بنصوصه الشرعية خالق السموات والأرض عن كل مانسبه إليه اليهود من نقائص نتيجة إيمانهم بنص الخطيئة الأولى.

ففي حين يصف اليهود إلههم بالظلم والقسوة في أول أسفار التوراة نجد أول آية نزلت على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم تصف الله بالرحمة اللائقة بجلاله {بسم الله الرحمن الرحيم} ثم تتكرر هذه الآية في بداية كل سورة من سور القرآن لتكون فيما بعد الصيغة المقدسة التي تجري على لسان المسلم في بداية مطعمه ومشربه وقراءته وعند قيامه بكل أمر ذي بال يَهُمّ به.

وما قرره الإسلام من سعة رحمة الله سبحانه وشمولها لكل شئ يتفق مع منطق العقل الإنساني، ذلك أن العقل هو الآخر يقرر أن الرحمة كمال في المخلوق فأولى أن تكون كمالاً لازماً للخالق، لاسيما والعقل يطالع من مظاهر رحمته سبحانه وصور لطفه في عباده مالا سبيل إلى إنكاره، وهنا يتكشفُ جانب آخر من جوانب مجافاة اليهودية للعقل وبعدها الواضح عن منطقه في تنزيه الله عز وجل.

أما المسيحية فقد حاولت أن تكشف عن رحمة الله بما ذكرته عن الفداء فإذا هي تضع الله سبحانه في موقف آخر من مواقف القسوة، وهو قسوته على ابنه الوحيد - كما يزعمون - وقد أدى هذا بأصحاب العقول من أهل الكتاب إلى محاولة تعليل تناقضها مع العقل، فكان منهم من وصل به فكره إلى الإبقاء على المسيحية مغلقاً باب النقاش في نصوص الدين وشعائره، لأن مثل هذا النقاش -فيما يزعم - يفوت الفائدة المرجوة من الدين، فنصوص الدين عند توماس هوبس هي: "كأقراص الدواء إذا ابتلعت أفادت وإن مضغت كانت مرة المذاق"[١].

---

(١) الدكتور رفقي زاهر، أعلام الفلسفة الحديثة رؤية نقدية، ص ٣٨.

أما الفيلسـوف الألماني فريدريك نيتشـه فقد شن هجومـا عنيفـا على الدين بعامـه، وعلى الديانـة المسيحية خاصـة، كاشفاعن تناقضها الصارخ مع مبادئ العقل فهو يقول: "كيف نتصور أن ينجـب إلـه أطفـالا عن طريق زوجة فانية[١].

ومن أبناء الدينين السابقين من سار في طريق المقارنـة العقليـة إلى أبعد مدى وتحرر في البحث من كل قيد فهداه الله إلى دين الحـق، ولم يتردد بعد ذلك في إرشاد الضالين إلى الطريق الذي سلكه عسـى أن يسعدوا بالغاية التي انتهى إليها، ولاتزال الأنباء تطالعنا كل يوم بأسماء مفكريـن كبار تركوا دينهم الموروث واعتنقوا الإسلام رغم ما يتعرضون له من أذى واضطهاد، ومن ألمع الأسماء التي تذكر في هذا الصدد موريس بوكـاي، وروجيـه جارودي، ومن العلماء القدماءنصر بن يحي المتطبب، الذي عرض موقفه من الإسلام بغاية الصراحة والوضوح عندما قال:

"لو كان فيكم رجل عليم، له عقل سليم، لتفكر في أمـر النبيين وبحث عن أصول الدين، حتـى يقف علـى اليقين، لعرف أن الدين عند الله الإسـلام، وأن شريعة محمد سيد الأنـام، هي الشريعة الواضحة وميزان أمته هي الميزان الراجحة"[٢].

والخلاصة أن العقل المتجرد إذا نظر في أمر المقارنـة بين الإسلام من جهة واليهودية والمسيحية من جهـة أخرى، فإنـه يدرك الفرق بين دين تكفل الله بحفظه وبقائه ودين لعبت فيه يد البشر بالتحريف.

٢- الأساس التاريخي:

لايقل هذا الأساس كثيرا في أهميته عن الأساس العقلي، فكثير ممن يهمهم

---

(١) الدكتور رفقي زاهر، أعلام الفلسفة الحديثة رؤية نقدية، ص١٥٢.

(٢) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصراني. تقديم وتحقيق وتعليـق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، ص١٤٧.

الوصول إلى الحق ينتظرون الوصول إليه بالوقوف على حقائق تاريخية ثابتة، وذلك لما تتميز به هذه الحقائق من حيْدة وموضوعية تلك الحيْدة التي تجعلها مقبولة من كل الأطراف، وحرصا على ذلك سأعتمد على آراء مؤرخين وعلماء يتسمون بالتجرد في دراستهم وطرح آرائهم ليكون ذلك مدعاة لقبول أهل الكتاب، فقد استمد هؤلاء فكرة الخطيئة من كتابهم المقدس، فإذا ثبتت صحة هذه النصوص تاريخيًا أدى ذلك بطبيعة الحال إلى صحة ماورد فيها، وبالتالي إلى صحة قصة الخطيئة الأولى وآثارها الواردة في هذه النصوص المقدسة، وإذا ثبت غير ذلك تضمن عدم صحة مضمون هذه الأسفار، وبالتالي فساد ماورد فيها بخصوص مضمون البحث وآثاره الناتجة عنه.

ولما كانت الكتب المقدسة تعد المصدر الأساسي لكل الأديان السماوية إذ يستمد المؤمنون بها إيمانهم وعقائدهم وكذا شرائعهم، كما تعد الوثائق الصادقة على صحة أي دين من الأديان، فقد استقطبت دراسة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد اهتمام المؤرخين لما يتسم به هذا الكتاب من أهمية دينية وتاريخية، وكانت دراستهم تلك بقصد الوصول إلى حقائق تاريخية تعينهم على معرفة حقيقة هذه الحياة وأصلها وموجدها.

١- العهد القديم:

كان ممن اتجه الى دراسة الكتاب المقدس دراسة موضوعية بعيدة عن التحيز رغبة في الوصول إلى الحقيقة ويل ديورانت المؤرخ المعروف فكان مما خلص إليه فيما يخص توراة موسى:

"إن العلماء مجمعون على أن أقدم ماكتب من أسفار التوراة هما القصتان المتشابهتان المنفصلة كلتاهما عن الأخرى في سفر التكوين، تتحدث إحداهما عن الخالق باسم (ياهو).

على حين تتحدث الأخرى عنه باسم ألوهيم، ويعتقد هؤلاء العلماء أن القصص الخاصة بياهو كتبت في يهوذا، وأن

القصص الخاصة بألوهيم كتبت في إفرايم، وأن هذه وتلك قد امتزجتا في قصة واحدة بعد سقوط السامرة.

وفي هذه الشرائع عنصر ثالث يعرف بالتثنية أكبر الظن أن كاتبه أو كتابه غير كتاب الأسفار السالفة الذكر.

وثمة عنصر رابع يتألف من فصول أضافها الكهنة فيما بعد، والرأي الغالب أن هذه الفصول تكون الجزء الأكبر من (سفر الشريعة) الذي أذاعه عزرا ويبدو أن هذه الأجزاء الأربعة قد إتخذت صورتها الحاضرة حوالي ٣٠٠ ق.م"(١).

ويتضح لنا من الكلام السابق أن ويل ديورانت قد توصل إلى أن هذه الأسفار قد دونت عقب وفاة موسى، وبالتالي لايمكن نسبتها إليه، عليه السلام.

وقد حاول أولدزر في مقدمة تفسير الكتاب المقدس المعنون بـ "أسفار العهد القديم التاريخية" الرد على ماوصل إليه ويل ديورانت وأمثاله من العلماء من أن تعدد أسماء الإله في الأسفار الخمسة دليل على تعدد مصادرها وبالتالي عدم نسبتها إلى موسى، عليه السلام.

فذهب في رده عليهم إلى القول:

"كانت الحجة البارزة من البدء، مؤسسة على تنوع إستعمال الأسماء الإلهية، ونتيجة لهذا التنوع تعود العلماء أن يتكلموا على المصادر اليهودية (Yahwistic) والألوهية (Elohisstic) (الوهيم) للدلالة على إسم الجلالة في الفصول المختلفة، لكنه قد أشير إلى أن القرآن كتاب المسلمين المقدس، فيه مثل هذا التنوع. ففي بعض المواضع يستعمل الاسم (الله) وهو بالعبري (ألوهيم) وفي أخرى يستعمل الإسم

---

(١) ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران،م١، ج٢، ص٣٦٧-٣٦٨.

راجع أيضا: سهيل ديب، التوراة بين الوثنية والتوحيد ص١٣-١٤.

(رب) العربي المعادل ليهوه العبري، وفضلا عن ذلك يمكن لفت النظر إلى إستعمال التركيب (يهوه ألوهيم) الرب الإله، الموجود في (تك ٢:٤-٣:٢٤) (ومرة واحدة في خر ٩:٣٠).
إن استعمال الإسمين معا لم يجعل أي عالم يظن أن هذا القسم لابد أن يكون من مؤلف آخر، وهذا يرى أن المتمسكين بالنظرية ليسوا متأكدين تماما بثبات حجتهم المشتقة من التنوع في إستعمال أسماء الله"(١).

والواقع إن إسم "الله" في الإسلام لايطلق إلا على الذات الإلهية فهو كما قال الشيخ عبد الرحمن حبنكة:

"إسم علم في اللغة العربية على الذات الإلهية الجامعة لجميع صفات الكمال، والمنزهة عن أية صفة من صفات النقصان التي لاتليق بكمال الألوهية والربوبية، ولذلك فهو أعظم أسماءه الحسنى.

ومن خواص هذا الإسم: أنه لم يسمّ به غير الخالق جلّ وعلا، لا على سبيل الحقيقة، ولا على سبيل المجاز"(٢).

والرب في الإسلام من أسماء الله ذات الدلالة على أنه: "الخالق، المنعم الرزاق، المحي المميت، الذي بيده الخلق والأمر، والنفع والضر، والخير والشر، وهو الذي يبتلي ثم يحاسب، ثم يجازي - واحد لاشريك له."(٣)

وهو إسم مستخدم أيضا في الديانات المنتحلة كالديانة المجوسية التي تعتقد بالرب الثنائي، والنصارى الذين يقولون بالرب الثلاثي، وبعض الوثنيين يقولون بأرباب كثيرة جدا.

---

(١) تفسير الكتاب المقدس، ج١، ص٤٧-٤٨.

(٢) الشيخ عبد الرحمن حبنكة، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص١٥٧.

(٣) المرجع نفسه، ص١٧٩.

كما يمكن إستخدام الإسم (الرب) دون أل التعريف لأمور تتعلق بالبشر كأن يقال: رب المنزل، ورب الأسرة، إلى غير ذلك من أمثلة، فهو إسم ذو دلالة وصفية سواء كانت موجهة للدلالة على خالق السموات والأرض المنعم المدبر، أو كانت موجهة للدلالة على الآلهة منتحلة أو غير ذلك.

ومما سبق نجد أن "الله" هو إسم الذات الإلهية الذي لايمكن أن يطلق على غير الله سبحانه وتعالى بأي حال من الأحوال، في حين أن ألوهيم ويهوه يطلقان في العقيدة اليهودية على الذات لله دون أن يكون لهما أي دلالة على صفة من صفات الإله.

وهكذا نصل إلى عدم صحة وجهة نظر أولدزر عندما حاول دفع ما انتهت إليه هذه الدراسات التاريخية من شك في صحة أسفار العهد القديم التي أكدت على تعدد وإختلاف مصادرها. وبالتالي عدم نسبتها إلى موسى، عليه السلام.

ويجمل لنا الدكتور على عبد الواحد وافي مجموعة من الملاحظات التي وردت في بعض الدراسات اللغوية التاريخية النقدية للتوراة قائلا:

"ظهر للمحدثين من ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار، وما تشتمل عليها من موضوعات وأحكام وتشاريع، والبيئات الإجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها أُلفت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير (وعصر موسى يقع على الأرجح حوالي القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد) وأن معظم سفري التكوين والخروج قد ألف في حوالي القرن التاسع قبل الميلاد وأن سفر التثنية قد ألف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، وأن سفري العدد واللاويين قد ألفا في القرنين الخامس والرابع قبل

الميلاد... وأنها جميعا مكتوبة بأقلام اليهود، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة وتعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل"(١).

وقد أشار الدكتور وافي إلى أن هذه الدراسات اللغوية التاريخية التي انتهت إلى أن أسفار التوراة كتبت في عصور لاحقة لعصر موسى، عليه السلام، انتهت أيضا إلى أن معظم أسفار العهد القديم ألفت في عصور متأخرة عن عمرها الزمني(٢).

وقد حاول أولدزر أيضا دفع نتائج هذه الدراسة اللغوية، فقال: "إستلفت النظر إلى بعض الاختلافات في اللغة والأسلوب والنظرة اللاهوتية ولكن أحكاما من هذا النوع شخصية للغاية وأهميتها ضئيلة للغاية. أحد المدافعين عن نظرية الوثائق هذه، وبعد أن قام بفحص كامل ودقيق وصل إلى النتيجة الختامية بأن قرر أنه لايوجد سوى قليل جدا من المميزات اللغوية في المصادر المتنوعة، ويشعر أنه مضطر إلى أن يسلم بأن مثل هذا العدد القليل من الاختلافات يمكن أن يكون عرضيا لاغير."(٣).

وعند مناقشة رأي أولدزر السابق، سوف نجده ضعيفا من عدة وجوه نذكر منها: عدم ذكره لإسم هذا المدافع الذي إضطر للقول إنها إختلافات

---

(١) الدكتور على عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص١٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٨. راجع أيضا: الدكتور حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص٢٦-٢٨. وأحمد عبد السلام الحلواني، الدين المقارن، اليهودية، ج٣، ص٧-٨. وموريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والأنجيل، ص٢٨-٢٩. وسهيل ديب، التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص ١٣. وعلاء الدين المدرس، الظاهرة القرآنية والعقل، دراسة مقارنة للكتب المقدسة، ص١٨-١٩.

(٣) تفسير الكتاب المقدس، ج١، ص٤٨.

لغوية عرضية مما يضعف الاستناد عليه، كما أنه لم يتمكن من إنكار وجود هذا النوع من الاختلافات، والتي أكدها العالم بالأدلة، فما كان منه إلا أنه قلل من شأنها، وكأنها بذلك أضعف أهميتها أو تمكن من إخفائها.

والواقع أن محاولته تلك باءت بالفشل، فالحقائق العلمية التاريخية تؤكد هذه الحقيقة، وهو ماقرره كثير من العلماء نذكر على سبيل المثال قولا لزينون كاسيدوفسكي جاء فيه:

"لقد بين التحليل النقدي للتوراة أن الأسفار الخمسة هي عبارة عن جمع من النصوص التي يبدأ تاريخها من القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وينتهي في القرن الرابع قبل الميلاد. ونحن استخدمنا هنا مصطلح (جمع) عن سابق إدراك وقصد لأن تلك الإقتباسات خيطت بطريقة فظة تجعل من السهل إعادة فكها وتمييز أجزائها المكونة."(١)

وهكذا أثبت صاحب هذا الرأي أن نصوص الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى خالية من أي قداسة لأنها غير متجانسة، بل هي مجموعة بطريقة عشوائية بدليل إمكانية تفكيكها وتميز مقاطع مكوناتها.

وقد قام موريس بوكاي بإلقاء الضوء على جانب من الجوانب التي ساعدت على تغيير بل تحريف نصوص العهد القديم فذهب إلى:

"إن العهد القديم يتكون من مجموعة من المؤلفات الأدبية. أنتجت على مدى تسعة قرون تقريبا، وهو يشكل مجموعة متنافرة جدا من النصوص عدل البشر من عناصرها عبر

---

(١) الواقع والأسطورة في التوراة، ترجمة الدكتور حسان إسحاق، ص ١١٠-١١١. راجع أيضا: الدكتور فؤاد حسنين علي، التوراة عرض وتحليل، ص ٢٥. والدكتور محمد شلبي شتيوي، التوراة دراسة وتحليل، ص ١١٢-١١٣. والدكتور محمد أحمد دياب عبد الحافظ، أضواء على اليهودية من خلال مصادرها، ص ١٤٥.

السنين، وقد أضيفت أجزاء لأجزاء أخرى كانت موجودة من قبل، بحيث أن التعرف على مصادر هذه النصوص اليوم عسير جدا في بعض الأحيان."(١).

وقد أضاف في موضع آخر:

"إن معرفة تاريخ النصوص تسمح، في الواقع، لتكوين فكرة عن الظروف التي قادت إلى التعديلات النصية عبر القرون وإلى التكوين البطئ لمجموعها كما نملكه اليوم بأجزاء متعددة محذوفة وأخرى مضافة.

إن هذه المعلومات تجعل معقولا تماما، الوجود في العهد القديم روايات مختلفة عن موضوع واحد وأخطاء تاريخية وأمورا متناقضة وأخرى غير معقولة أو يستحيل أن تتفق مع المعطيات العلمية الثابتة. إن استحالة الاتفاق مع المعطيات العلمية أمر طبيعي تماما في كل المؤلفات الإنسانية القديمة، وكيف لانجد مثل هذه التعارضات في كتب كتبت في ظروف كتلك التي تكون فيها نص التوراة...؟"(٢).

وهكذا نصل إلى اتفاق كثير من المحققين على وقوع التحريف والتبديل في أسفار العهد القديم، وإلى أن أسفاره الخمسة الأولى لاتمت إلى موسى، عليه السلام، إذ إنها جمعت وكتبت على مدى قرون طويلة بطريقة عشوائية(٣) جعلت من الطبيعي وقوع اختلاف وتناقض في نصوصها.

---

(١) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٢٨٤.

(٢) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم. ص٦١.

(٣) راجع: عبد الفتاح عبد الحميد، نظرة على طريق حكماء صهيون (يامسلمي العالم اتحدوا)، ص١١-١٢.

٢- العهد الجديد:

أما نصوص العهد الجديد فقد أثارت إهتمام العلماء فأقبلوا على فحص نصوصه ودراستها دراسة تاريخية علمية بهدف الوصول إلى حقيقة هذا الجزء المهم من الكتاب المقدس والمتعلقة بالديانة المسيحية.

وقد كان ممن تطرقوا إلى هذا الموضوع موريس بوكاي الذي أشار إلى دراسة تضمنتها مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد، جاء فيه:

"لاتشير أول كتابات العصر المسيحي إلى الأناجيل إلا بعد مؤلفات بولس بفترة طويلة جدا، فالشهادات المتعلقة بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية تظهر فقط في منتصف القرن الثاني وبالتحديد بعد عام ١٤٠م، وذلك على حين أن هناك (كثيرا من الكتاب المسيحين يوحون بوضوح منذ بداية القرن الثاني بأنهم يعرفون عددا كبيرا من رسائل بولس) وهذه الملاحظات التي تعرضها (المقدمة إلى الترجمة المسكونية للعهد الجديد) المنشورة عام ١٩٧٢ تستحق أن تذكر على الفور، كما يفيد التنويه إلى أن هذه الترجمة هي نتيجة عمل جماعي تضافر له أكثر من مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت. إن الأناجيل التي أصبحت رسمية فيما بعد، أي كنيسة لم تعرف إلا في عصر متأخر برغم أن تحريرها كان قد تم في بداية القرن الثاني. ولكن (يكاد يكون عسيرا التقرير بما إذا كانت هذه الاستشهادات قد تمت بعد الرجوع إلى النصوص المكتوبة التي كانت تحت يد الكتاب أو أنهم قد اكتفوا بذكر أجزاء من التراث الشفهي إعتمادا على الذاكرة)."(١)

---

(١) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٧٥، بتصرف. راجع أيضا: المهندس أحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص٢٩-٤٢.

ومن هنا نجد أنه وبشهادة علماء المسيحية نفسها، فإن الأناجيل المعروفة اليوم لم تعتمد إلا في عصور متأخرة وهي مسألة لاتتيح المجال للتأكد من مصدرها وهل هو شفاهية أو مكتوبة؟ وقد دفع هذا الغموض الذي يحوم حولها إلى إعلان بعض علماء الديانة المسيحية أنها كتابات ظرفية أو خصامية، هذا ماأكده الأب كانينجسر بقوله: "لايجب الأخذ بحرفية الأناجيل فهي كتاباة ظرفية وخصامية حدد محرروها كتابة تراث جماعتهم عن المسيح"(١).

ويعلق موريس بوكاي على ذلك فيقول:

"فإذا نظر القارئ إلى الأناجيل على أنها تعبير عن وجهات النظر الخاصة بجامعي التراث الشفهي المنتمي إلى مختلف الجماعات، وإذا نظر إليها القارئ على أنها (كتابات ظرفية أو خصامية) فإنه لن يندهش عندما يجد في الأناجيل كل هذه العيوب التي هي علامة صنع الإنسان في مثل هذه الظروف"(٢).

ومن منطلق الخلاف على مصدر العهد الجديد والكيفية التي تم عليه تدوينه واجه علماء المسيحية صعوبة في تعليل ماتحتوي عليه نصوصه من أخطاء ومغالطات فذهب باركر إلى القول إن:

"الكتاب المقدس المسيحي مع أنه كتاب بشري بوجه ما، يسجل كثيرا من الخطايا والغلطات، ويشير في مواضع عديدة إلى ضعف كاتبيه ومحدوديتهم، إلا أنه – وهذا هو الحق الأساسي عنه – إنتاج إلهي، والعامل الأساسي فيه هو الله."(٣).

---

(١) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٧٨. راجع أيضا علاء الدين المدرس، الظاهرة القرآنية والعقل/دراس مقارنة للكتب المقدسة، ص٢١.

(٢) القرآن الكريم والتوراة والعلم، ص٧٩.

(٣) تفسير الكتاب المقدس، ج١، ص٣٨.

ويبدو أنه أدرك أن محاولته تلك غير مجدية لذا أعادها وبطريقة أخرى فقال:

"أدخل الله في كلمته كثيرا من المواد لأجل العبرة والمثل، وبعض هذه الأمثال التي سجلها أمثلة رديئة. وذلك كله لتعليمنا، ولكننا يجب أن نتعلم من الأجزاء المختلفة بطرق مختلفة، فنستفيد من ذكر الأخطاء اللاهوتية والعلمية. ليس بالظن أن ذكر هذه الأقوال والأعمال في الأسفار المقدسة يؤخذ دليل على أن الله صادق عليها بل نستفيد باكتشاف الأخطاء في نور تعاليم الكتاب وأخذ الحذر منها"(١).

أما مقدمة تفسير العهد الجديد فتعلل وجود الإختلاف في نصوص الأناجيل بقولها:

"إتفاق هذه الأناجيل وإختلافها أمر عجيب لايعلل عنهم* إلا بأنها جميعا مبنية على أخبار غير مكتتبة لم تفقد بعد شيئا من صفاتها الأصيلة"(٢).

ويتطرق سبينوزا إلى هذه المسألة قائلا:

"لم تدون أسفار العهدين القديم والجديد بتفويض خاص في عصر واحد، يسري على كل الأزمان بل جاء تدوينها مصادفة. وقصد بها أناس معينون، ودونت بحيث تلائم مقتضيات العصر والتكوين الشخصي لهؤلاء الناس... تم اختيار أسفار العهد القديم من بين أسفار كثيرة أخرى، ثم جمعها وأقرها مجلس الفريسيين. وكذلك قبلت أسفار العهد الجديد ضمن المجموعة المقننة بقرار بعض المجامع الكنيسية التي رفضت في الوقت نفسه أسفارا أخرى كثيرة بوصفها

---

(١) تفسير الكتاب المقدس، ج١، ص٤٤.

* الأولى (لايعلل له).

(٢) تفسير العهد الجديد، مقدمة الأناجيل الأربعة، دون صفحة.

منعدمة القيمة، مع أن كثيرا من الناس كانوا يقدسونها، على أن أعضاء هذه المجامع (سواء مجامع الفريسيين أم مجامع المسيحيين) لم يكونوا أنبياء بل كانوا من ذي الخبرة والفقهاء فحسب ...»[١]

بل إن بعض العقائد المسيحية لها صلة قوية بالخطيئة الأولى ثبت تاريخيا أنها من إضافات الكهنوت في عصور لاحقة للمسيح، فمثلا قولهم ببنوة المسيح لله، وألوهيته ظهر أول ماظهر في القرن الثاني عشر هذا ماقرره شارل جنيبيير. إذ قال:

"ومنذ القرن الثاني أصبح من المبادئ المعتمدة أن عيسى هو ابن الله ينتسب إليه نسبة مباشرة، وإن كانت من نوع خاص، ثم إنه هو أيضا هو الله، وهو منظم العالم بإرادة الآب وبمعونة الروح القدس.»[٢]

ويقرر ويلز المؤرخ المعروف عجزه عن قبول تأليه المسيح بقوله:

'فإن شطرا عظيما من العالم المسيحي يعتقد أن عيسى كان الصورة الجسدية لذلك الإله رب العالم أجمع الذي كان اليهود أول من عرفه - والمؤرخ لايستطيع - إن هو شاء أن يحتفظ بصفته تلك - أن يقبل ذلك التأويل أو ينكره. كان عيسى يبدو من الناحية المادية في صورة إنسان. ولذا وجب على المؤرخ أن يتناوله بوصفه إنسانا»[٣].

وبعد هذا العرض نصل إلى حقيقة الأسفار المقدسة بعهديها، فأسفار العهد القديم كتبت في عصور لاحقة للعصور التي ينسب إليها، وهو ماينطبق

---

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة الدكتور حسن حنفي، ص٣٤٣-٣٤٤.

(٢) شارل جنيبيير. المسيحية، نشأتها وتطورها، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود، ص١٥٧.

(٣) موجز تاريخ العالم. ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، ص١٧٢.

على العهد الجديد بصفة عامة، وعلى الأناجيل بصفة خاصة، التي لاينسب اي منها إلى عيسى. عليه السلام، وهو الأمر الذي يثبت أن هذه الأسفار ليست مقدسة وأنها مجرد روايات من وضع الإنسان قابلة للرد والقبول، وأنه لايوجد أي سند تاريخي يمكن أن يعتمد لتأكيد زمن وطريقة كتابتها وتحديد مصدرها في حين نجد:

'أن القيمة التاريخية للقرآن لاتقارن مع الكتب المقدسة الأخرى، وأن النص القرآني لايطرح مشاكل تتعلق بالصحة ولو بشكل يسير، ونتيجة للتواتر الذي نقل به القرآن من الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إلى الكتبة ثم جمعه وتدوينه في شكله النهائي في عهد عثمان -رضي الله عنه-* يتميز وبشكل فريد بالنسبة لأي كتاب آخر على وجه الأرض، وبالصحة المطلقة فيما يخص النص أو الترتيب...'[1].

ويؤكد موريس بوكاي القيمة التاريخية للقرآن فيشير إلى أن:

"أقدم الوثائق القرآنية المعروفة في أيامنا التي وجدت في كل العالم الإسلامي تطابق كل منها للأخرى تماما. كذلك الأمر أيضا بالنسبة للمخطوطات التي في حوزتنا في أوروبا (توجد بالمكتبة الوطنية بباريس قطع يرجع تاريخها، حسب تقدير الخبراء، إلى القرن الثامن والتاسع الميلاديين أي إلى القرنين الثاني والثالث من الهجرة)'[2]

---

* راجع: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان. ج٢، ص٢٣٢ وما بعده.

(١) علاء الدين المدرس. الظاهرة القرآنية والعقل، دراسة مقارنة للكتب المقدسه. ص٥٧. راجع أيضا: موريس بوكاي. القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص١٥١-١٥٦

(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم. ص١٥٦

وصدق الله العظيم إذ يقول:

[إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون](١).

٣- الأساس الغائي:

إن أساس المفاضلة بين الأديان عند كثير من الباحثين هو مايكون في أحد هذه الأديان من زيادة في الحث على العمل، وهذا ماتميل إليها فلسفة البراجماتزم في أمريكا، وهذا المقياس ليس دقيقا، لأن هنا ماهو أرقى منه وأنسب لطبيعة الأديان وهو تحقيق السعادة. والسؤال الذي يطرح هنا هو، أي الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، يكفل السعادة الإنسانية بشكل أوفى وأتم، تلك السعادة التي تقوم كما أشار القديس توما الإكويني: "أولا وأصالة بمعرفة الله ومحبته، وثانيا بمزاولة الفضائل، وأخيرا بصحة الجسم وبالخيرات الخارجية إن أمكن، من مال وكرامة، تستخدم كوسائل للحياة الفاضلة..."(٢).

فاليهودية كما رأينا دين يفتقد كثيرا من الفضائل الكفيلة بتحقيق هذه السعادة، فقد وصفت صفوة الخلق من الأنبياء والصالحين بصفات ينفر منها أهل العقل الراجح والرأي السديد من الذين يلتمسون سعادتهم وسعادة الإنسانية في هداية الأنبياء، فالخطيئة فطرة إنسانية موروثة عن آدم وحواء، وهذه الفطرة لاتتسنى مقاومتها لذا كان من الحكمة عندهم مسايرتها ومجاراتها.

وهكذا أصبح المجتمع اليهودي خاليا من الفضائل الأسسية التي يحرص عليها كل مجتمع إنساني كريم. وهو أمر يستتبع انتشار الفجور، ويلازمه ضياع صحة الأفراد وضياع خيراتهم سواء المعنوية أو المادية.

بل إن هذه العقيدة أضاعت كرامة المرأة الأم مربية النشء والزوجة الراعية لبيتها، وهو ضياع لكرامة الأمة وسعادتها، وقد أشار علي الشوك إلى

---

(١) سورة الحجر، الآية ٩.

(٢) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصور الوسيطة، ص١٩٦.

السبب الذي يكمن وراء ذلك بقوله:

"إن كتاب قصة الخليقة وسقوط الإنسان حملوا المرأة وليس الرجل، جريرة السقوط*، وهو موقف صريح في انحيازه ضد المرأة...ومنذ القدم، وحتى يومنا هذا، ارتبط اسم المرأة بإبليس، بصفتها الجنس الهش القابل للإغواء ..."[١]

والصلاة اليومية التي يؤديها اليهود حتى يومنا تؤكد هذا الوضع المأساوي للمرأة فقد جاء فيها :"(مبارك أنت يا رب لم تجعلني لاوثنا ولا امرأة ولا جاهلا) بينما المرأة تكتفي بقولها :(مبارك أنت يارب الذي خلقتني بحسب مشيئتك) "[٢]

ففي حين يتوجه الرجل للإله بالشكر لا لكونه خلقه وهداه وحفظه، بل لكونه لم يخلقه امرأة ولا وثنا، ولا جاهلا مساويا بين الجهل والأنوثة، نجد المرأة في صلاتها مستسلمة استسلام المكره لا الشاكر لأنعم الله شكرا حقيقيا.

والواقع أننا لا يمكن لوم المرأة الكتابية على هذا الشعور فديانتها جعلت حياتها في مختلف مراحلها الأنثوية لعنة، فهي لعنة عند ولادتها، ولعنة في طفولتها، وفي بلوغها، وفي حملها، ولعنة وهي أم ومرضعة، بل إن الام الحيض في اعتقاد اليهود من آثار لعنة الخطيئة الأولى، وإلى ذلك أشار علي الشوك بقوله:"استنادا الى إحدى فقرات التلمود، فإن آلام الحيض من بين اللعنات التي صبها الله على حواء"[٣].

واستنباعا لكل ذلك فعليها الخضوع للرجل ذلك الخضوع الذي عده

---

* المعروف أن النص المعني حمل مسئولية الخطيئة الأولى لآدم وحواء، وإن كان حظ حواء من هذه المسئولية أكثر كما سبق بيانه.

(١) الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، ص٧٣.

(٢) معجم اللاهوت الكتابي، مادة إمرأة.

(٣) الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، ص٨٠.

المؤمنون بسفر التكوين من آثار لعنة الخطيئة الأولى، وهكذا تحولت حياتها بمفهومها اليهودي إلى خطيئة بجميع عناصرها. وبطبيعة الحال لا يمكن لهذا المفهوم أن يحقق السعادة المنشودة للإنسان.

أما الديانة المسيحية فهي أيضا تفتقد المعنى الحقيقي للسعادة الدنيوية فأصحابها الذين يؤمنون بما وجدوه في العهد القديم من ميراث الخطيئة الأولى ومايتضمنه من شقاء الإنسانية، يؤمنون أيضا بعقائد جلبت عليهم الشقاء مضاعفا.

فعلى المسيحي أن يتذكر دائما لعنته التي التصقت به بسبب خطيئة أبويه آدم وحواء، وعليه أن يعيش مع إثمهما وما يرتبط به من شقاء، ذلك الإثم الذي ولد معه، وارتبط به حتى مماته، ولنا أن نتصور مدى شقاء هذا الإنسان بما ورثه من إثم لايد له فيه ولا ذنب. واستنادا إلى الواقع نجد أن الشعور بالإثم يؤدي بصاحبه إلى الشقاء. وهذا ماقرره راسل بقوله: إن الشعور بالإثم... يجعل الإنسان تعيسا ويشعره بالدونية"(١).

ولنا أن نتصور أيضا ماتؤول إليه حياة المسيحي عند شعوره بإثم أبويه آدم المفروض عليه، فإذا كان الشعور بالإثم يملأه تعاسة وشقاء كما قرر راسل، فكيف الحال بمن يفرض عليه تحمل إثم الخطيئة الأولى منذ لحظة وعيه وحتى مماته. إن المؤكد أن حياته ستكون سلسلة من الشقاء.

وهو الأمر الذي دفع أصحاب بيلاجيوس البريطاني ورفيقه سلستيوس الأيرلندي وكانا راهبين من روما إلى القول:

> إن مايمنع السعادة الأبدية القول بسريان الخطيئة الجدية إلى نسل آدم وإن الإنسان يحتاج إلى تجديد القلب بنعمة من الله تعالى تمنعه من الإقدام على الخطيئة وتقبل به إلى التوبة

---

(١) برتراند راسل، الفوز بالسعادة، ترجمة سمير عبده، ص٩٤.

ومن ثم شرعا في إبطالماينافي هاتين العقيدتين وتعليم الناس أن خطيئة آدم وحواء لايؤاخذ بها أحد من ذريتهما وان الإنسان موكول في الأعمال إلى إختياره، فمن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها."(١)

فالمرأة المسيحية لها نصيب واف مما وصلت إليه المرأة اليهودية من شقاء بسبب إيمانها بقصة الخطيئة الأولى، الواردة في العهد القديم، فكثيرا مايؤكد بولس مكانة المرأة الهابطة، بسبب يقينه أنها وراء غواية آدم، ومن ذلك قوله:

(لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع. ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل بل تكون في سكوت، لأن آدم جبل أولاً ثم حواء، وآدم لم يغو ولكن المرأة أغوت فخلصت في التعدي)(٢).

فقوامة الرجل على المرأة في المسيحية لابسبب مايتميز به الرجل من ميزات تساعد على القوامة من عقل يغلب على عاطفته، ولا بسبب ما تتسم به المرأة من عاطفة* لاتؤهلها لتحمل هذه القوامة، بل إن السبب الأساسي لتلك القوامة المتسلطة في المسيحية يوشك أن ينحصر في إيمان أتباعها بإغواء حواء لآدم. إذ تسببت في تعدي الخطيئة إلى الإنسانية بأسرها.

وقد تحدث الدكتور محمود شعلان عن وصف النصارى للمرأة فقال:

"أنها نكبة أنجس من الأفعى فسموها (منبع الشر) وأصل الخطيئة و(حجر القبر) وباب جهنم و(مآل التعاسة). وإن (ترتوللين) صرخ قائلا (أيتها المرأة يجب عليك دائما أن

---

(١) عبد الرحمن بن سليم البغدادي، الفارق بين المخلوق والخالق، ص ١٦.

(٢) رسالة بولس إلى تيموثاوس، الإصحاح الثاني، الفقرات:١١-١٤.

* لابد من الإشارة إلى أن هذه العاطفة تساعد المرأة على أداء وظيفتها الأساسية كزوجة وأم.

تكوني مغطاة بالحداد لاتظهرين للأبصار إلا بمظهر الخاطئة الحزينة الغارقة في الدمع). بالغت الكنيسة في عدائها للمرأة فالمرأة في نظر الكنيسة رمز للشر والغواية ووسيلة الشيطان الفضلى لإغواء الرجال وإضلالهم وصفات كثيرة يصفها بها رجال الكنيسة ويمضون إلى أبعد من هذا فيطالبون الأبناء بأن يقدموا لآبائهم من الحب أكثر مما يقدمون لإمهاتهم."[١].

وعندما أشار الفيلسوف شوبنهور إلى أهم خاصية في الديانة المسيحية كفلت - على حسب ظنه - إنتشارها قال:

"إن القوة التي استطاعت المسيحية أن تتغلب بها على اليهودية أولا ثم على وثنية اليونان والرومان، إنما تنحصر في تشاؤمها فقط، أي في اعترافها بأن حالنا شديدة البؤس ومسرفة في الخطيئة"[٢].

وقارئ سيرة هذا الفيلسوف يدرك أن تشاؤمه المعروف ونظرته القاتمة اليائسة إلى أمه بل إلى الحياة كلها، ليست نابعة من معاملتها كما يؤكد بعض العلماء[٣].

بل من إعتقاده الدفين للخطيئة الأولى وآثارها، فأمه أخطأت في حقه لأنها من بنات حواء وهن مذنبات بالوراثة يطبقن لعنة الخطيئة دون إرادة منهن، وهذا يفسر عزوفه التام عن الزواج.

كما يصور الدكتور نظمي لوقا مدى الشقاء الذي يعانيه المسيحيون أمثاله بسبب إيمانهم بالخطيئة الأولى عندما يقول:

---

(١) نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام (دراسة مقارنة) ج١، ص١٩٠.

(٢) أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة. ص٤٤٨.

(٣) راجع: المرجع نفسه، ص٤٥٧.

'أما الإنسان فوقف بعد اليهودية والمسيحية موقفا لايحسد عليه كثيرا، بسبب ماالتصق به من وزر أبيه الأول ادم. ذلك الوزر الذي إعتبر خطيئة أولى، وخطيئة باقية موروثة، لابد لها من كفارة وفداء حتى لايذهب بجريرتها أبناء الجنس البشري كافة.

وإن أنسى لاأنسى ماركبني صغيرا من الفزع والهول من جراء تلك الخطيئة الأولى. وما سيقت فيه من سياق مروع، يقترن بوصف جهنم ذلك الوصف المثير لمخيلة الأطفال، وكيف تتجدد فيه الجلود كلما أكلتها النيران، جزاء وفاقا على خطيئة آدم بإيعاز من حواء. وأنه لولا النجاة على يد المسيح* الذي فدا البشر بدمه الطهور، لكان مصير البشرية كلها الهلاك المبين".

وإن أنسى لاأنسى القلق الذي ساورني وشغل خاطري على ملايين البشر قبل المسيح، أين هم؟ وماذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة !؟"[١].

---

* إذا كان للدكتور نظمي لوقا بعض الدوافع الخاصة في إشارته إلى عقيدة الفداء المسيحية فمن المؤكد أن أهم هذه الدوافع إرادته تبرأة المسيحية من مسئوليتها عن الشقاء الإنساني والإلقاء بهذه المسئولية كاملة على اليهودية، فلابد أن نفطن نحن لهذه الدوافع، فالرجل مسيحي لايحب أن ينسب إلى ديانته مايكون موضع حرج له بين أبناء دينه، وإلا فأن عقيدة الفداء التي إستند إليها في تبريره لاتصلح على الإطلاق أساسا موضوعيا لهذا التبرير. وذلك لما يرد على هذه العقيدة من إشكالات سبق بيانها من قبل.

(١) الدكتور نظمي لوقا، محمد الرسالة والرسول، ص٥٧.

وفي المقابلة الحتمية لوراثة الخطيئة الأولى ومايترتب عليها من تعاسة وشقاء، نجد الإسلام يؤكد المسئولية الفردية. يقول سبحانه: [**أم لم ينبأ بما في صحف موسى، وإبراهيم الذي وفى، ألا تزر وازرة وزر أخرى، وأن ليس للإنسان إلا ماسعى، وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى**](١).

ويتضح من قراءة هذه الآيات الكريمات أن التوراة الحقيقية قد احتوت هي الأخرى على المسئولية الفردية، فإن لم يكن لهذه المسئولية وجود ثابت في التوراة التي بين أيدينا. فذلك – فيما يقرره الإسلام – دليل قوي من أدلة التحريف.

إن الحياة لكي تكون سعيدة منطلقة لابد لها من مثل عليا تسير على هديها، واليهودية والمسيحية نسبتا لهذه المثل العليا الخطايا والمعاصي، التي شجعت أهل الكتاب على مقارفتها، فالعامة ليسوا خيرا من أنبيائهم.

بينما نجد في الإسلام محافظة على المقام الرفيع والمكانة السامية الحقيقية التي يتمتع بها هؤلاء الأنبياء بناء على تمسكهم الشديد بالفضائل وحرصهم البالغ على الطهارة، فهم المثل العليا لعبادة الله، بل إن الله سبحانه يوجه خطابه لخاتم أنبيائه محمد، صلى الله عليه وسلم، في إتخاذ أنبيائه الكرام مثالا له في هداهم فهم قدوة للعامة والخاصة على حد سواء، قال تعالى لنبيه الكريم: [**أولئك الذين هدى الله فبهداهم إقتده**](٢).

فهم مثل الكمال البشري لايقترفون النقائص، وهذا مايعبر عنه في العقيدة الإسلامية بعصمة الأنبياء، وهي عصمة واقعية ترسم المثل الأعلى والقدوة العملية للإنسانية.

---

(١) سورة النجم، الآيات من ٣٦-٤٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٩٠.

ويتبين مما سبق أيضا علاقة الرجل بالمرأة ونظرته السيئة إليها باعتبارها المسئول الأول عن الخطيئة، كما تبين مما يترتب على ذلك من أحساس المرأة - التي تشكل قطاعا عريضا في أي مجتمع - بالتعاسة والخوف. على حين يضع الإسلام مسئولية المرأة في موضعها تماما أي بعد مسئولية آدم، وهذا يعفيها من الاحساس بالتعاسة الدائمة التي تشعر بها في ظل الدينين السابقين، وهو ماتشير إليه الآية الكريمة: **[وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى]**[1] وقد فسر الإسلام جميع خواصها الأنثوية بعدها من الأسس التي تساعدها في تحقيق دورها في هذه الحياة، وليست من آثار لعنة الخطيئة الأولى كما قرر أهل الكتاب، بل إن الإسلام حين تحدث عن أثر الخطيئة الأولى وما تجره من شقاء نسب ذلك إلى آدم دون حواء، وهو ماتشير إليه الآية الكريمة: **[فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى]**[2].

ولابد من الإشارة إلى أن الشقاء هنا ليس الإحساس الدائم بالتعاسة كما في اليهودية والمسيحية، فلا مكان لهذا الإحساس مطلقا. إنما يقصد بالشقاء الكدح الطويل في سبيل تحصيل الرزق ومباشرة مسئولية الخلافة في الأرض.

وقد ربط الإسلام إحساس ذرية آدم بالسعادة أو الشقاء باتباع الهدى أو الإعراض عنها، وحول هذا المعنى يقول تعالى: **[قلنا أهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون]**[3].

---

(١) سورة طه، الآيتان ١٢١و ١٢٢.

(٢) سورة طه، الآية ١١٧.

(٣) سورة البقرة، الآيتن ٣٨و ٣٩.

وقد إعترف كثير من المنصفين حتى من غير المسلمين بمدى مايحققه الإسلام من سعادة لأبنائه الذين لم تعرف عقيدتهم الصافية ذلك الميراث الثقيل الذي يعرفه الدينان السابقان من الخطيئة الأولى. منه الدكتور نظمي لوقا الذي يقول:

'فكان لابد من عقيدة ترفع عن كاهل البشر هذه اللعنة، وتطمئنهم إلى العدالة التي لاتأخذ البرئ بالمجرم، أو تزر الولد بوزر الوالد، وتجعل للبشرية كرامة مضمونة. ويحسم القرآن هذا الأمر، حيث يتعرض لقصة آدم، وما يروى فيها من أكل الثمرة المحرمة فيقول في سورة طه:

[**وعصى آدم ربه فغوى، ثم إجتباه ربه فتاب عليه وهدى***] ويقول في سورة البقرة:

[**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم****]'(١).

ليقول بعد ذلك مبينا جانبا آخر من الجوانب المشرفة للدين الإسلامي:

'إن المسئولية هي أساس الكرامة الإنسانية، وأساس كل حرية، وكل أخلاق ممكنة، وهذا ماقطع به الإسلام ووضع به الحجر الأساسي لكرامة بني آدم.

فيقول في سورة النجم:

[**وأن ليس للإنسان إلا ماسعى وأن سعيه سوف يرى*****].

---

* الآيتان ١٢١و١٢٢.

** الآية ٣٧.

(١) الدكتور نظمي لوقا، محمد الرسالة والرسول، ص٧٦.

*** الآيتان ٣٩و٤٠.

ويقول في أكثر من سورة على سبيل التأكيد [**ولا تزر وازرة وزر أخرى***][(١)].

ويؤكد هذا الفضل بعد ذلك بقوله:

'والحق أنه لايمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة إلا من نشأ في ظل تلك الفكرة القاتمة. التي تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل أفعال المرء ، فيمضى حياته مُضي المريب المتردد، ولايقبل عليها إقبال الواثق، بسبب ماأنقض ظهره من الوزر الموروث.

إن تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة كلها. ورفعها عن كاهل الإنسان منة عظمى، بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه، بل هو ولادة جديدة حقا، وردُ اعتبار لاشك فيه، إنه تمزيق صحيفة السوابق، ووضع زمام كل إنسان بيد نفسه'[(٢)].

ومن هؤلاء المنصفين مارسيل بوازار الذي قال إن:

'خطيئة المعصية التي ارتكبها آدم واردة في القرآن. إلا أن وصفها وتفسير وقائعها يختلفان اختلافا شديدا عنهما في الديانتين اليهودية والمسيحية. فقد عوقبَ آدم وحواء لمعصيتهما أمرا صارما، لا لأنهما حاولا أن يتذوقا من ثمار شجرة المعرفة. فالله لايقف على الإطلاق في وجه رغبة الإسلام في التعليم، بل يشجع على العكس هذه الرغبة، ولقد طرد من الجنة ودخل عالما متصفا بالعداوة، وغفر الله لهما ووعدهما بشريعة تنقذهما إذا هما إتبعاها. وعلى هذا يرفض

---

* سورة الأنعام، الآية ١٦٤. وسورة الإسراء الآية١٥. وسورة الزمر الآية٧.

(١) الدكتور نظمي لوقا، محمد الرسالة والرسول، ص٧٧.

(٢) المرجع نفسه. ص٧٨.

الإسلام بشدة فكرة (سقوط الإنسان) فكرة الخطيئة الأصلية التي ورثت عواقبها البشرية جمعاء، ويستتبع هذا الخلاف تضادا أساسيا مع اليهودية، ومع المسيحية بخاصة، فيما يتعلق بمفهوم الإنسان وقواعد حياته الخلقية، فالإسلام ينظر إلى الإنسان لا على أنه ضعيف محتاج إلى معجزة تنقذه، بل على أنه مخلوق...مزود بعقل قادر على استيعاب (الواجب الوجود*) وبإرادة قادرة على جعله يختار أفعاله[١]".

والخلاصة أننا نتبين مزيدا من قوة الإسلام وروعته وشموخه على الدينين السابقين إذا رجعنا في المقارنة بين الأديان الثلاثة إلى الأثاث الغائي، وقد تيسر لي شئ من ذلك فيما يتصل بالخطيئة الأولى، ولابد أن تصل مشاعرنا نحو هذه الروعة والشموخ إذا إتسعت مجالات المقارنة عن الدائرة المحدودة التي يدور فيها البحث.

---

* والواقع أن في هذه العبارة تهافتا شديداً ، إذ ليس في طبيعة الإنسان القاصر القدرة على هذا الاستيعاب، والأوفق أن يقال على معرفة "واجب الوجوب".

(١) مارسيل بوازار، إنسانية الإسلام، ترجمة الدكتور عفيف دمشقية، ص٩٤-٩٥.

الفصل الثاني

عوامل الانحراف

١- العامل النفسي.

٢- العامل القومي.

٣- العامل الديني.

تمهيـد:

يستند التحريف الذي طرأ على الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديـد، والإنحراف الذي دخل على مبادئه إلى عدة عوامل. ومـن الممكـن أن نلاحـظ أثر هذه العوامل المختلفة في كل مظهر من مظاهر التحريف المتعلقة بالكتـاب المقدس ومبادئـه. بـل وفـي كـل صـورة مـن صـوره، إلا أن حديثنـا عـن هـذه العوامل سيكون مقصورا على مايتصل بالخطيئة الولى موضوع هذا الفصل.

والعوامل المتعلقة بهذا الجانب يمكن حصرها في الثلاثة التالية:

١- العامل النفسي.

٢- العامل القومي.

٣- العامل الديني.

وفي هذا الفصل سأتناول هذه العوامل بشئ من التفصيل إن شاء الله.

١- العامل النفسي:

يرتبط تحريف النص عادة بطبيعة من قام بالتحريف وحالته النفسية، وكذلك هو الأمر لمن يقرأ النص المحرف مقبلا عليه راضيا بما فيه من تحريف.

ومن المعلوم أن للإسرائيلي مقومات شخصية مميزة لطبيعته، وهذه المقومات النفسية نضحت على ماقي الكتاب المقدس من تحريف بل وكان لها دور في قبول هذا التحريف، فمثلا من المقومات النفسية الخاصة بهذا الشعب القسوة المتميزة، وهي قسوة أثبتها القرآن الكريم في قوله تعالى: [**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون.**][١]، وهذا ما شهدت به التوراة نفسها عليهم، فقد ورد في سفر الخروج نقلا عن يهوا (أنتم شعب صلب الرقبة)[٢].

وقد ظهرت هذه القسوة للعيان عندما تحدثوا عن قرار يهوا بالنسبة لآدم وحواء بعد وقوع الخطيئة الأولى. وعند حديثهم عن اللعنة التي امتدت إلى ذريتهما من بعدهما. وتتفق هذه القسوة مع طبيعتهم فلا يمكن لأصحاب القلوب الرحيمة قبول وصف إلههم بهذه القسوة المنافية لكل أصول العدل ومبادئ الرحمة، وقد أكد سليمان مظهر هذا التوافق بقوله:

"صاغ اليهود يهوه في الصورة التي كانوا هم أنفسهم عليها، فجعلوا منه إلها صارما ذا نزعة حربية بالغة العنف"[٣].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٧٤.

(٢) الإصحاح الثالث والثلاثون، الفقرة: ٥.

(٣) قصة الديانات، ص٣١٩، راجع أيضا: أحمد عبد الغفور عطار، اليهودية والصهيونية، ص١١٢-١١٣.

ومن ناحية أخرى نجد أن اليهود شعب متحلل من المبادى الأخلاقية وقد اتجهوا إلى تبرير هذا التحلل البغيض تبريرا دينيا مريحا لأنفسهم الفاسدة. فهم تارة يبررون هذا التحلل بخطيئة آدم وحواء، وتارة بأنبياء الله وأصفيائه عندما يصورونهم غارقين في الذنوب والخطايا، مما جعلهم يقبلون على المعاصي دون رادع فكتابهم المقدس يقرر اتصاف رسل الله بكل رزيلة، فلا يعقل أن يكون حالهم أفضل من أنبيائهم المرسلين.

وقد أشار إلى هذه الفكرة كثير من العلماء، منهم زينون كاسيدوفسكي الذي تطرق بعد عرضه لرواية التوراة فيما يتعلق بوفاة موسى، عليه السلام، والتي قررت أن الإله أماته قبل دخول بني إسرائيل بيت المقدس عقابا له إلى تعليل وصف أصحاب التوراة لوفاة موسى، عليه السلام، بهذه الكيفية بقوله: "قد يكون إتهامهم لموسى محاولة لتبرير سلوكهم هم"(١).

ورغم أن النصارى آمنوا كاليهود بالعهد القديم وما احتوته أسفاره حول الخطيئة الأولى، إلا أن وجودهم في فترة اتسمت إلى حد ما بالمنطق العقلي جعلهم يقبلون ويتأثرون بالثقافات الأجنبية.

وقد دفعهم هذا التأثر إلى التفكير في إنهاء الخطيئة الأولى الملقاة على الإنسان، فربطوا بينها وبين القتل والصلب، وفي هذه النقطة المهمة نجد أن موقف أتباع المسيح على نحو ما صورته الأناجيل موقف تهاون في أداء حق رسولهم عيسى، عليه السلام، مما جعلهم يشعرون بالذنب لما ذكرته أناجيلهم من القتل والصلب، وللتخفيف من هذا الإحساس الحاد بالذنب تحدثوا عن أمور تؤكد الخطيئة الأولى الموروثة من آدم وحواء، كما تؤكد أن القتل كان سببا لفداء الإنسانية من ميراثها الأليم. فلم يكن أمام المؤمنين بنصوص هذه الأناجيل لإدخال الراحة إلى نفوسهم المعذبة بهذا التقصير المنصوص عليه في العهد الجديد سوى القول بالفداء، وتجدر الإشارة إلى أن الثقافات الأجنبية

---

(١) الواقع والأسطورة في التوراة، ص ١٢٦.

في العصور التي ظهر فيها تحريف الديانة كانت تتحدث بشكل واسع عن مفهوم الفداء المسيحي كعقيدة وثنية منتشرة آنذاك(١)، بل إن "جراي" "Gray" يقرر أن لقصة الفداء أصولا إسرائيلية قديمة، بل إن لها أصولا أسبق من ظهور بني إسرائيل، تتمثل في بذل إبراهيم، عليه السلام، إبنه والتضحية به إرضاء لله، ونجد أن "جراي" "Gray" يذهب إلى أبعد من هذا عندما يقرر أن للقصة المذكورة أصولا وثنية يمكن أن تكون منقولة من الثقافة الفينيقية حيث يذكر أن الملك "كورونوس" ضحى بإبنه الوحيد إرضاء للآلهة.(٢)

ويتمثل العامل النفسي المؤثر في عملية التحريف في مظهر واضح عند اليهود والنصارى على حد سواء، وهو مايمكن التعبير عنه بالاستعلاء الرجولي على المرأة، فقد نسبوا إليها كثيرا من النقائص والمساوئ أولها قولهم إنها السبب وراء إغواء آدم، عليه السلام، وقد ظهر لنا فيما سبق ما لحق بذات المرأة نتيجة لهذا التصور الظالم الذي استند في فحواه على مايشعر به الرجل الكتابي من بعد المسافة بينه وبين المرأة.

٢- العامل القومي:

إن إهم السمات الشخصية اليهودية تغلغل النزعة القومية(٣)، وهي نزعة

---

(١) راجع: شارل جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود. ص٩٤-٩٦. وابراهيم خليل أحمد، الغفران بين الإسلام والمسيحية. ص٧٦-٨٦. والدكتور محمد أبو الغيط الفرت، بولس والمسيحية، ص٢٦-٣٥. ومحمد طاهر التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، علق عليه ونقحه وقدم له محمد بن ابراهيم الشيباني، ص٤٨-٥٦. وحسني يوسف القطير، عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية، ص٢٣٣. ومحمد السعدي، دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، ص٥٩-٦٥.

(٢) راجع: Pr.George Buchana.Sacrifice in the old Testament, P. 91-92

(٣) راجع: الدكتور حسن ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، ص٤٧-٥٠. وسهيل ديب، التوراة وغاياتها، ص٩١-٩٢.

يمكن إثباتها على أساس من المأثورات المقدسة، فنصوص العهد القديم، والتلمود، وكذا بروتوكولات حكماء صهيون، كثيرا ماتتحدث عن أهمية الإعتزاز القومي لليهود كعقيدة أساسية.

ونظرا لصعوبة استقصاء جميع النصوص المتعلقة بهذا الأمر لكثرتها، فسوف أشير إلى بعضها، لنقف من خلالها على مدى عمق هذه النزعة وثباتها في الطبيعة الإسرائيلية، فمن نصوص العهد القديم التي تؤيد هذا العامل، ماورد في سفر التثنية وهو (**وواعدك الرب اليوم أن تكون له شعباً خاصاً كما قال لك وتحفظ جميع وصاياه وأن يجعلك مستعلياً على جميع القبائل...**)(١)، هكذا تلقى اليهود - إستنادا إلى ماورد في التوراة - وعدا من الإله أهلهم ليصبحوا شعبه المختار متميزا ومستعليا على غيرهم من البشر.

ومن النصوص التوراتية التي تؤكد هذه النزعة ماورد في سفر اللاويين الذي جاء فيه (**وأما عبيدك وإيماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم. فمنهم تقتلون عبيداً وإيماءً وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتلون ومن عشائرهم الذين يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكاً لكم. وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك. تستعبدونهم إلى الدهر. وأما إخوانكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف**)(٢).

لقد حدد هذا النص الشريعة اليهودية المتعلقة بالعبودية، مبينا أن العبودية لايمكن أن تكون إلا في غير بني إسرائيل، وهي في هذه الحالة تكون متوارثة بين الأجيال أبد الدهر. إن حصر الشريعة اليهودية للعبودية في غير اليهود، يظهر لنا نظرة اليهودي القاصرة نحو غيره من البشر، ويؤكد في الوقت نفسه التعصب العنصري المتمكن في داخله.

---

(١) الإصحاح السادس والعشرون، الفقرات: ١٨-١٩.

(٢) الإصحاح الخامس والعشرون، الفقرات: ٤٤-٤٦.

وقد أسهم التلمود بشكل كبير في ترسيخ هذه النزعة المتطرفة، فمن نصوصه التي ترسخ هذه النزعة في نفوس بني إسرائيل ماجاء على لسان أياربانيل: (**خلق الله الأجنبي* على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لايناسب لأمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية. كلا ثم كلا، فإن ذلك منابذ للذوق والإنسانية كل المنابذة**)[١]، كما جاء فيه أيضاً: (**الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب.**)[٢]

وهكذا يتضح لنا سبب حصر بني إسرائيل العبودية في غيرهم من البشر، فهم في مفهوم بني إسرائيل العقدي – كما ظهر من النصين السابقين– حيوانات خلقت لخدمتهم، أما مظهرها البشري فهو لراحة بني إسرائيل.

ولاتقف عنصرية التلمود عند هذا الحد المتردي، بل نجدها تتطاول على الملائكة الكرام بل وعلى العزة الإلهية، وذلك في قولها: (**إن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب أمي* إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية**)[٣].

ومن هنا ندرك أن القومية اليهودية لم تجد ما يناسب مقامها بين

---

* الأجنبي: هو غير اليهودي – عندهم – .

(١) الكنز، ص٧٥.

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها، راجع أيضاً: زهدي الفاتح، اليهود، ص١٦٥-١٦٨. وصالح محمود صالح، الإنسانية والصهيونية والتلمود، ص٢١-٢٢ز وشوقي عبد الناصر، بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود، ص٣٥-٣٧.

* الأمي: هو غير اليهودي – عندهم –.

(٣) الكنز: ص٧٣، راجع أيضاً: صالح محمود صالح، الإنسانية والصهيونية والتلمود. ص١٦. وفؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي، حقيقة اليهود، ص١٧. وسليمان مظهر، قصة الديانات ص ٣٤٤-٣٤٥.

الموجودات سوى خالق هذه الموجودات فساوت بينها وبين العزة الإلهية - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - .

وكان لبروتوكولات حكماء صهيون دور بارز في ترسيخ هذه النعرة العرقية في نفوس هذا الشعب المتعالي فنصوصها كثيرا ماتؤكد تفوقه على غيره من أبناء آدم، نذكر على سبيل المثال قولها: (**الاختلاف التام في العقلية بيننا وبين الأممين هو الذي يمكن أن يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله. وأننا ذوُوُ طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية حين تقارن بالعقل الفطري البهيمي من الأممين**)(١).

وهكذا يتضح أن فكرة استعلاء الشعب اليهودي على غيره من البشر وتصرفاته الفوقية تجاه غيره من أبناء آدم من الأمور العقدية الأساسية الثابتة في كتبهم المقدسة، فكما قال الأستاذ جودت السعد: "إن تمايز اليهود على الآخرين أمرا مفروغا منه ويشكل جوهر الديانة اليهودية، فأي خروج على هذا الإطار مهما كان بسيطا يقع في مصاف الردة الدينية"(٢).

ولقد كان لهذه النزعة القومية الأثر البالغ في انحراف عدد كبير من العقائد اليهودية عن مسارها الصحيح، بغية توافقها مع متطلبات هذه العنصرية المتطرفة، وهو ما لحق بقصة الخطيئة الأولى وكثير من الآثار التي ترتبت عليها.

ويتضح لنا مما سبق أن اليهود يؤمنون بأن الخطيئة ورثت للإنسانية الخاصة منهم والعامة على حد سواء، فأنبياء الله حملة رسالته يقعون في

---

(١) البروتوكول الثالث عشر.

(٢) الشخصية اليهودية عبر التاريخ، ص٩٤. راجع أيضا: الدكتور محمد سيد طنطاوي. بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص٢٢٦-٢٢٧. والدكتور السيد رزق طويل. بنو إسرائيل في القرآن، ص١٣٢-١٣٣. والدكتور عبد المنعم الحفني، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، مادة اليهود و

Soloman Schechter, Aspects of Rabbinic Theologe, P> 51

الخطايا ويرتكبون الذنوب كغيرهم من البشر بسبب هذا الميراث اللعين.

وقد استخدم اليهود هذه العقيدة لترسيخ تفوقهم على الإنسانية. هـذا مـا تظهره نصوص العهد القديم بوضوح، ولتأكيد أثر النزعة القوميـة فـي تشكيل التصور الإسرائيلي للعقائد الدينية لاسيما فيما يتصل بالخطيئـة الأولـى، نـورد جملة من قصص الأنبياء المستقاة من التـوراة نفسها التـي تظهـر تمـادي بنـي إسرائيل في تحقير غيرهم، فمن ذلك مايتعلق بالكنعانيين في قصة نوح، عليـه السلام، حيث تذكر التوراة أنه بعد الطوفان سكر نوح وتعرى فسخر ابنه حـام منه في الوقت الذي قام أخواه سام ويافث بستره لينالا بذلـك بركتـه، وقـد نـال كنعان ابن حام لعنة جده نتيجة فعل أبيه.(١)

وإذا كانت اليهودية قد سوغت وقـوع هـذه الخطيئـة مـن نـوح، عليـه السلام، حملا على ماوقع من آدم قبله من الخطيئة الأولى، فإن لهـذه الصـورة من صور التحريف سـرا قوميـا لايخفـى وهـو الاحتيـال علـى استنزال اللعنـة الأبدية على الكنعانيين، لما بينهم وبين بني إسرائيل من عداوة، وتثبيت البركـة للساميين حيث ينتسب بنو إسرائيل إليهم، فإن الاتجاه العام يؤكد أن اليهود مـن الأمم السامية.

وقصة نوح، عليه السلام، ليست قصة النبي الوحيدة فـي العهـد القديم التي نستنبط منها تحكم هذه النزعة في تحريفها، فهناك عدد كبير من قصـص الأنبياء تشير من قريب أو بعيد لهذا التطرف، منها قصة لـوط، عليـه السـلام، عندما تحكي التوراة قصة اعتزاله هو وابنتيه في الجبل، وأنهما قد سقتاه خمرا ثم عاشرتاه في ليلتين متتاليتين لتنجب كل منهما ابنا للوط. فكـان كـلا الولدين أبا لشعب ممتـد. فالابنـة الكبرى المحرضـة علـى الفاحشـة أنجبـة مـوآب مـن سلالته الموآبيين، والصغرى ولدت بن عمي أبا بني عمون(٢).

---

(١) راجع: سفر التكوين، الإصحاح التاسع، الفقرات: ٢٠-٢٧.

(٢) راجع: المرجع نفسه. الإصحاح التاسع عشر ، الفقرات: ٣٠-٣٨.

وهذه القصة هي الأخرى لاتليق بنبي كريم كلوط ، عليه السلام، ولا بابنتيه، أما سبب وجودها بهذه الكيفية المخزية المحرفة، فيعود إلى طغيان العامل القومي، فالقصة كما تذكر التوراة تحدد أن الابن الأكبر للوط اسمه موآب وهو جد الموآبيين، والثاني ابن عمّ وهو جد العمونيين. وتاريخ اليهود يقرر أن الموآبيين والعمونيين من ألد أعداء بني إسرائيل، ولأن هذين الشعبين يفخران مثل بني إسرائيل بأنهما من نسل الأنبياء، وضع كتاب العهد القديم هذه القصة لإثبات أن هؤلاء الأعداء، وإن كانوا فعلا من سلالة النبي لوط، عليه السلام، إلا أنهما من نسل غير شرعي.

لقد استخدم اليهود إيمانهم بالخطيئة الموروثة عن آدم وشمولها لجميع البشر ليصوروا هذا اللغط الشائن رغبة في الحط من قدر أعدائهم الموآبيين[١] والعمونيين[٢] فلوطا أخطأ لأنه بشر تجري عليه لعنة الخطيئة الأولى كغيره من البشر، وبسببها أنجب أعدائهم بطريقة غير شرعية.

ونظرا لكثرة ماورد في العهد القديم من إشارات تخص هذا الجانب، فلا بد من الانتقال إلى الحديث عن العقائد الأخرى التي كان لهذا العامل أكبر الأثر في تحريفها من ذلك "عقيدة يوم الآخر". فقد أثر العامل القومي تأثيرا واضحا في تحريف عقيدة اليوم الآخر. بل هي في مجملها بعد التحريف وجدت لخدمة الجنس اليهودي ونصرته، سواء في مرحلتها الأولى وهي مرحلة إنكار، قال اليهود فيها إن الموت على حسب ما أوردته قصة الخطيئة

---

(١) الموآبيين: نسل موآب بكر ابنة لوط من أبيها، راجع: قاموس الكتاب المقدس، مادة موآب.

(٢) العمونيين: بنو عمون... نسل بني عمي ابن لوط الذي ولد في مجاورة صوغر... نال العمونيين غضب الله، لأنهم تحالفوا مع الموابيين ضد بني إسرائيل، وحكم أن لا يدخل منهم من جماعة الرب.. ولم تكن علاقتهم مع بني إسرائيل سليمة، عن قاموس الكتب المقدس، مادة بني عمون.

الأولى هو آخر معبر للحياة، فالثواب والعقاب مقصوران على هذه الحياة الدنيا، فأما الثواب فهو محصور في بني إسرائيل الذين خصهم يهوا بحبه وتكريمه، وأما العقاب فهو من نصيب أعداء شعب الله المختار.

وقد كان العامل القومي وراء تحريف هذه العقيدة في مرحلتها الثانية أيضا. فبعد ما أصابهم الاضطهاد من أعدائهم انتظر اليهود رب الجنود ليقتص لهم، وطال الانتظار دون جدوى، بل كان انتظارهم ينبئهم عن إزدياد هيبة أعدائهم وتمتعهم بالخيرات. لذا أفرد الأحبار لهذا اليوم مكان في أسفارهم المتأخرة كي ما يتم فيها القصاص من أعدائهم، ويتحقق تعويضهم عما قاسوه من ألوان الشقاء في هذه الحياة(١).

ولما كانت الديانة المسيحية مرتبطة باليهودية من ناحيتين هما:

الأولى: إيمانهم بالعهد القديم كتاب اليهود المقدس.

والأخرى: ارتباطها باليهود من جهة العرق، فكلتاهما خصت ببني إسرائيل، كما أن نبيها عيسى، عليه السلام، كان من سلالة بني إسرائيل، فقد أدى ذلك إلى تأثرها بالمسار العقدي في اليهودية، وهو ما وضح على موقفها في توجيه بعض النصوص وجهة تخدم غرضها القومي. فرغم أن الديانة المسيحية في بدايتها كانت ذات نزعة إنسانية أخلاقية، إلا أن النصارى مع ذلك كانوا معتزين بنسبهم الإسرائيلي، فالنزعة القومية، وجدت لدى النصارى، وهو مادفعهم إلى إدعاء الفضل على الإنسانية، قائلين إن الخطيئة الأولى المتوارثة ولعنتها التي شملت البشرية لم تكن لتفتدي إلا بعيسى الإسرائيلي الذي فدى بدمه الطاهر الإنسانية، فعقيدة الفداء تكمن ورائها نزعة قومية.(٢)

كما تكمن هذه النزعة في الاعتقاد بعالمية الديانة المسيحية التي يحاول النصارى ترويجها في كل مكان. رغم أن الأناجيل وإلى اليوم تحتوي

---

(١) راجع الدكتور محمد خليفة حسن محمد، ظاهر النبوة الإسرائيلية، ص٨٠-٨١.

(٢) راجع: الدكتور إسماعيل الفاروقي، أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ص٢٣.

على نصوص صريحة تؤكد أنها ديانة خاصة ببني إسرائيل، وأن عيسى لم يأت إلا لهداية بني إسرائيل وحدهم، ومن هذا يزعم النصارى خلاف ذلك وهو زعم لايرجع إلى حبهم لتعاليم المسيحية الأصلية، وإنما يرجع في المقام الأول إلى محاولة ترسيخ السيادة القومية، وفرض هيبتهم على العالم كله بوصفهم مخلصي الإنسانية من وزر الخطيئة الأولى، حيث بذل نبيهم نفسه راضيا فداء للجنس البشري كله.

٣- العامل الديني:

لقد كان لإيمان اليهود والنصارى المطلق بقداسة رجال الدين الأثر البالغ في انحراف اليهودية والمسيحية عن مسارهما الصحيح، فأقوال علمائهم لاترد ولاتنقض، بل قد تزيد قداستها على قداسة النصوص الدينية، وفي هذا الشأن تحدث التلمود فقال: (**إن تعاليم الحاخامات لايمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله!! وقد وقع يوماً الاختلاف بين الباري تعالى وبين علماء اليهود في مسألة، فبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الرابيين، واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور**)[١].

ويوضح هذا النص التلمودي مكانة رجال الدين في الديانة اليهودية، فهي مكانة تفوق قداسة الله سبحانه تعالى عما يقولون علوا كبيرا، أما سلطة رجال الدين المسيحي فتظهر في قول للقس إلياس مقار جاء فيه:

"إن للكنيسة سلطانا لاشبهة فيه،وهي تستمد هذا السلطان من وعد المسيح وأمره إذ قال لبطرس(**وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات. وكل ماتحله على الأرض يكون محلولاً في**

---

(١) الكنز، ص٥٣.

* إنجيل متى، الإصحاح السادس عشر، الفقرة: ١٩.

السموات*)"(١).

وهناك شواهد كثيرة تدل على مايحتله رجال الدين في الديانتين من مكانة - عند اليهود والنصارى - تضعهم في موضع القداسة، وهو ما سوف أعرض له لأنه يعد أحد العوامل الأساسية والمهمة وراء انحراف كل من الدينين اليهودي والمسيحي عن مسارهما الصحيح، وهذه الأهمية تظهر بالوقوف على نقطتين هما:

١- طبيعة الديني السابقين.

٢- طبيعة الأحبار والكهنة في هذين الدينين.

أولا: طبيعة الدينين السابقين:

تعد اليهودية والمسيحية من الأديان المرحلية البيئية، لارتباطهما بمكان وزمان معينين، ونزولهما على شعب بني إسرائيل، هذا ما تقرر في نصوص الكتاب المقدس، ويؤمن اليهود بخصوصية الديانة اليهودية لبني إسرائيل، إلا أنهم لايقبلون ارتباطها بفترة زمنية معينة، كما لايقبلون اقتصارها عليهم، لأنهم يعتقدون أن لهم دوراً ريادياً متميزاً هو هداية البشر إلى ديانتهم السماوية، ليكونوا شركاءهم في الدين، مع الاحتفاظ بالامتياز القومي ثابتاً لهم دون غيرهم.

أما ادعاء النصارى أن الديانة المسيحية ديانة عالمية فادعاء لاأساس له من الصحة بدليل نصوص العهد الجديد التي تؤكد على لسان عيسى، عليه السلام، خصوصية رسالته لبني إسرائيل، واحتواء الأناجيل على نصوص تبشر على لسانه، عليه السلام، بظهور رسول يأتي من

---

(١) القس إلياس مقار، إيماني، ص ٤٧٩.

بعده[١]،وهو الأمر الذي يؤكد مرحلية هذه الديانة بفترة زمنية معينة.

وكانت محاولة رجال الدينين تجاوز الرابط المكاني، والزماني لديانتهما سببا من أسباب وقوع التحريف على نصوص الكتابين، لأن نصوصهما لم تكن قابلة لمثل هذا التجاوز.

ثانياً: طبيعة الأحبار والكهنة في هذه الدينين:

فبالإضافة إلى ماسبقت الإشارة إليه من ارتباط الدينين السابقين ببيئة خاصة وجيل خاص، وما نصت عليه أسفار العهدين القديم والجديد من مرحلية هذين الدينين، فإن طبيعة رجال الدين أنفسهم لاتسمح بالقيام بتأويل هذه النصوص تأويلا يشعر بالعالمية، وبتفادي ما ظهر بشكل قطعي واضح من منافاة الدينين السابقين للإسلام وظروف الواقع المتغير.

فالتأويل بحاجة إلى قدرات عقلية متميزة لاتتوافر لرجال الدين اليهودي والمسيحي ولاسيما في تأويل نصوص تؤكد ارتباط كل من الدينين ببيئة خاصة وفترة زمنية محددة، فهم سطحيون لايشغلون أنفسهم بمحاولة الموازنة بين صرامة النصوص التي تقطع بمحدودية الدين، وطبيعة الإنسانية التي تتغير من عصر إلى عصر، ومن مكان إلى مكان ويتغير معها الواقع التاريخي بشكل تحتاج ملاحقته إلى قدرة متميزة.

---

(١) راجع: نصر بن يحيي بن عيسى بن سعيد المتطيب، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، تقديم وتعليق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، ص١٣٨-١٤٧. وأبو عبيدة الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمد شامة. ص ٢٢٠-٢٢٦. وأحمد بن إدريس القرافي، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، ص١٠٩-١١٢. ونجم الدين البغدادي الطوخي، الإنتصارات في علم مقارنة الأديان، دراسة وتحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، ص١٢٠-١٢٦. والشيخ رحمت الله بن خليل، إظهار الحق، دراسة وتحقيق الدكتور محمد ملكاوي، ج٤، ص١١٨٥-١١٩٨.

ومن ناحية أخرى فإنهم متهافتون على طلب الدنيا بالتماس مناصبها وأرزاقها، الأمر الذي لا يدع لهم مجالاً للتأمل والاجتهاد في فهم النصوص، ومحاولة تأويلها دون القصد إلى زيادة ونقصان في هذه النصوص، وهذا الصنيع يعكس أمرا في غاية الخطورة وهو تسخيرهم الدين نفسه لتحقيق مايحرصون عليه من مناصب دينية ومصالح دنيوية(١).

وهذا يعني أن رجال الدين في هذين الدينين يعانون من فساد العقائد، وخلل العلاقة بالله عز وجل، وجرأتهم في تغيير نصوص الكتب المقدسة دون تقدير لعواقب هذا التصرف الذي يتسم في الحقيقة بجرأتهم على الله عز وجل قال تعالى: [**وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون.**](٢)، ولم يسع المنصفين من اليهود أنفسهم إلا الإقرار بما وقع فيه الكهنة من خطيئة التحريف في أسفار العهد القديم بما في ذلك التوراة نفسها يقول "هارتوينغ" "Hartwing" "إن الأجزاء الأخيرة من التوراة ليست سماوية. ولكنها من اضافات يوشع إلى سفر التثنية"(٣).

واكتفي هنا بالإشارة إلى بعض الأمثلة التي سبق بيانها بالتفصيل، والتي تؤكد ما قررته في هذا الصدد:

١- حاول الأحبار تفسير الكدح الإنساني في هذه الحياة، ولكن هذه المحاولة

---

(١) راجع: السموأل بن يحي المغربي، إفحام اليهود، تقديم وتحقيق الدكتور عبد الله الشرقاوي، ص١٧٥-١٧٦. والمعلم ميخائيل مشاقة، كشف النقاب عن وجه المسيح الكتاب، ضمن كتاب شهادة الكنيسة على نفسها، تحرير هياسنت الكرملي. ص٢٦. والأرقم الزعبي، حقائق عن اليهودية، ص ٩٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٧٨.

(٣) Hirschfeld, Qirgisami studies, p. 22.

لم تكن على ماينبغي من الجدية والاجتهاد، ومن ثم ربط هؤلاء الأحبار بين تلك الظاهرة الكونية وما تصوروه عن الخطيئة الأولى.

فهم يقررون أن الكدح الإنساني مظهر من مظاهر العقاب الإلهي على الخطيئة التي ورثتها الإنسانية عن آدم وحواء، وكان لابد لكي يتفق هذا التعليل من تغيير نصوص وتشويه حقائق مما يعد افتراء على الله عز وجل.

٢- تكفل رجال الدين في اليهودية والمسيحية برعاية الكتب المقدسة، وبالتالي فهم وحدهم يتحملون مسئولية ماحدث في هذه الكتب من تشوه، من مثل ما وضعوه من افتراء يتعلق بطبيعة المرأة عندما حملوها الجزء الأكبر من الخطيئة الأولى، وقد حقق رجال الدين بناء على هذا الافتراء اثنين من أهدافهم المهمة.

أ- تفسير ما يتصل بطبيعة الأنثى من حيض وحمل وولادة على أساس أنه مظهر من مظاهر العقاب الإلهي الموروث عن حواء.

ب - ربط كثير من الحالات النسائية الخاصة ببعض الكفارات والقرابين التي تؤول الى رجال الهيكل.

بالإضافة إلى هدف ثالث هو تأكيد سيادة الرجل على المرأة تلك السيادة التي تجعل من حقه تسخيرها في أشق الأعمال وحرمانها من أبسط الحقوق.

٣- تنقلنا هذه النقطة إلى نوع آخر من السيادة التي يتطلع إليها رجال الدينين وهي سيادة العنصر الإسرائيلي على البشر أجمعين، الأمر الذي يجعل من زعامة الأحبار والكهنة زعامة على العالم كله.

ولم يكن ذلك ممكنا بغير إقحام النصوص التي تفيد العالمية على كتب الدينين رغم ما فيها من نصوص تفيد الخصوصية، وفي ضوء هذه

النقطة يمكن تفسير فكرة شعب الله المختار وعقيدة الفداء ومسائل أخـرى لايتسع لها المجال.

٤- لم يكن حرص الكهنة والأحبار على حيازة الأموال أقل مـن سـعيهم إلـى الزعامة، وهذا يفسر لنا مايحفل به الدينان مـن طلـب الكثير مـن النـذور والكفارات والقرابين، ولعل أكثرها شهرة ومعرفة بين الناس هي صكـوك الغفران التي جرى تداولها بين النصارى في العصور الوسطى.

ونخلص من هذا كله إلى أن طبيعة الدينين من جهة وطبيعة رجالهما من جهة أخرى كان لهما أثر قوي في تحريف الدينين، وانحراف أتباعهما عن جادة الحق الذي أراده الله، ومـن ثـم تتـألق عظمـة الديـن الخـاتم الـذي يمتـاز جوهـره بالتعـامل مـع الواقـع العـالمي المتغير حتـى يـرث اللـه الأرض ومـن عليها، كما أن الله سبحانه قيض له علماء حقيقيين عملوا بصدق وإيمان علـى فهم مبادئه ونشر رسالته، ولا عجب، فـإنهم لـم يكونـوا حريصيـن علـى الدنيـا وإنما كانوا ورثة الأنبياء، **(إن الأنبيـاء لـم يُوَرِّثـوا دينـاراً ولا درهمـاً ولكنـهم ورثوا العلم.)**[1].

---

(١) من حديث أخرجه ابن ماجه في المقدمة. باب فضل العلماء والحث على طلب العلـم. ج١، ص٨١.

خاتمـــة

ها قد انتهت هذه الدراسة للجوانب الهامة للخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام، وظهر من خلالها مفهوم هذه القصة في الأديان الثلاثـة، وآثارها المترتبة عليها في كلا الديانتين السابقتين اليهودية والمسيحية، وتبقـى عدة ملاحظات تستحق الإشارة إليها كنتائج وتوصيات ألخصها فيما يأتي:

١- النتائـــج:

أولا: إن نص العهد القديم المتعلق بالخطيئة الأولى غـامض، والتفاسير التـي أوردها المفسرون قد زادته غموضا وإضطرابا، وهو يتمثل في الآتي:

أ- خلو سفر التكوين عند حديثه عن الخطيئة الأولى من أي إشارة إلـى معصية الشيطان وعداوته لآدم وحواء، أو إلى معرفتهما بوجوده.

ب - لم يشر نص التوراة إلى السبب الذي يكمن وراء ترصد الحيـــة لإغـواء حـواء وآدم، كمـا أن ظاهـر هـذا النـص لايتفـق وقـــول المفسرين للنص، أن الشيطان تمثل في صورة الحية ليحقق غايتـه من إسقاط الإنسان، فالقصة تؤكد وقوع اللعنة على جنس الحيـة ، في حين لم تشر إلى وقوعها على الشيطان وذريته.

ج - إن الحكم الإلهي على الخطيئة الأولى قبل وقوعها يختلف عنــه بعد وقوعها.

ثانيا: تأثير العقائد اليهودية وشرائعها بطريق مباشر أو غير مباشر بمضمـون الخطيئة الأولى ويظهر فيما يأتي:

أ- توارث الخطيئة كلعنة أبدية يعتبر مظهرا فطريا وأساسيا في الديانة اليهودية دفع أصحابها إلى وصف الإله بصفات النقص - تعالـــى الله عما يقولون علوا كبيرا -وإلى تلويث السير العطرة لأنبيــــاء

الله الكرام.

ب - يكمن وراء نفي اليهود لعقيدة البعث في الإسفار المتقدمة إيمانهم بمعطيات النص التوراتي للخطيئة الأولى الذي عد الموت آخر معبر للإنسانية.

ج - حظيت المرأة بالنصيب الأكبر من اللعنة اعتمادا على نص الخطيئة الذي أعدها العنصر الأساسي وراءها، ومن ثم أدى ذلك إلى إنشاء تشريعات قاهرة لإنسانيتها شملت مختلف أطوار حياتها

د - نتيجة لتصوير قصة الخطيئة الأولى انموت كاللعنة، أصبح الموت عند اليهود مدار قلقهم الشديد وخوفهم الحاد، الأمر الذي دفعهم إلى اعتبار جثة الميت نجسة،ووضع شروطا قاسية ومعقدة للطهارة من هذه النجاسة.

هـ - خلو العقائد والتشريعات اليهودية المتعلقة بالخطيئة الأولى من أي توافق مع الفطرة الإنسانية السليمة.

ثالثا: الديانة المسيحية بعقائدها الأساسية تأسست عنى ماورثته عن اليهودية من نص الخطيئة الأولى كجزء من العهد القديم.

رابعا: سهولة إثبات فساد العقائد المسيحية في الرجوع إلى نصوص العهد الجديد ومبادئه.

خامسا: محاولة علماء الديانة المسيحية الدفاع المستميت عن عقائدهم الموروثة لم تأت بنتيجة إيجابية فقد ألقت الضوء على مافيها من تناقض وتهافت.

سادسا: رفض الإسلام لمبدأ توارث الخطيئة الأولى وتقريره لتوبة آدم وحواء ورجوعهما إلى الله الذي عفا عنهما وصفح بفضله ومنه.

سابعا: قرر القرآن أن مسئولية الخطيئة الأولى ترجع في المقام الأول الى آدم، وذلك يستبعد كل ما ألقته أصول الديانتين السابقتين على عاتق المرأة من مسئولية الخطيئة وما رتبته على ذلك من آثار.

ثامنا: إن العقل المتجرد إذا ما نظر في أمر المقارنة بين الإسلام من جهة واليهودية والمسيحية من جهة أخرى، فإنه يدرك الفرق الشاسع بين دين تكفل الله بحفظه وبقائه ودين لعبت فيه يد البشر بالتحريف.

تاسعا: تبين قوة الإسلام وروعته وشموخه على الدينين السابقين برجوعنا في المقارنة بين الأديان الثلاثة إلى الأساس الغائي.

عاشرا: تظهر العوامل النفسية والقومية والدينية بوضوح لدى اليهود والنصارى في كل مظهر من مظاهر التحريف المتعلقة بالكتاب المقدس، ومبادئه المرتبطة بقصة الخطيئة الأولى وآثارها.

٢- التوصيات:

ظهرت الأهمية البالغة التي يستأثر بها هذا المجال الحيوي من مجالات الدراسات الإسلامية والحاجة الماسة إلى الإهتمام به قصدا إلى تأكيد عظمة الإسلام وأصالته وشموخه وهيمنته الواضحة على الأديان السابقة، الأمر الذي يتطلب منا مزيدا من العناية والإهتمام بدراسة هذه الأديان وعقد المقارنات، وفي هذا الصدد أستأذن في عرض التوصيات المتواضعة التالية:

أولا : تعريف طلاب المرحلة الثانوية تعريفا مبسطا بمصادر كل من الدينين السابقين.

ثانيا : وضع سياسة واضحة لتدريس هذه المادة في المرحلة الجامعية بشكل يتناسب مع أهميتها الإسلامية.

ثالثا : توجيه طلاب الدراسات العليا من المتخصصين في العقيدة، نحو الإهتمام بهذا المجال في أبحاث الماجستير والدكتوراه.

رابعا: الإهتمام بتحقيق كتب التراث الإسلامي المتعلقة بالمقارنة بين الأديان، بحيث يسهل الانتفاع بها والإفادة منها.

خامسا: الحرص على ترجمة الدراسات الإسلامية الجادة في هذا المجال إلى اللغات الحية لنتمكن بها من تعريف الناطقين بغير اللغة العربية حقيقة هذا الدين الحنيف مقارنة بغيره من الأديان.

سادسا: ضرورة مشاركة علمائنا المتخصصين في مقارنة الأديان في المؤتمرات العالمية التي تعقد بهذا الخصوص لما قد تسهم به هذه المشاركات في خدمة ديننا الإسلامي الحنيف.

وأخيرا أسأل الله عز وجل أن يوفقني لخدمة دينه، ويجنبني مواضع الزلل والتقصير.

[ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالاطاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين].(١)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

المراجع

أولا: المراجع العربية

١- القرآن الكريم.

٢- إبراهيم خليل أحمد، **الغفران بين الإسلام والمسيحية**، دار المنار للنشر والتوزيع بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣- أحمد أمين وزكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة الحديثة**، لجنة التأليف والترجمة، لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة، الجزء الأول ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.

٤- الدكتور أحمد حجازي السقا، **أقانيم النصارى**، دار الأنصار بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٥- الإمام أحمد بن حنبل، **المسند**، المجلد الأول، مؤسسة قرطبة بالقاهرة، الطبعة الأولى د.ت.

٦- الدكتور أحمد شلبي، **المسيحية**، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة، ١٩٧٨م.

٧- الدكتور أحمد شلبي، **اليهودية**، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٨٢م.

٨- أحمد عبد الغفور عطار، **اليهودية والصهيونية**، دار الأندلس للنشر والتوزيع ببيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٩- أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني، **الدين المقارن**، الجزء الثالث، **اليهودية**، مطبعة المعرفة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.

١٠- أحمد عبد الوهاب المهندس، **المسيح في مصادر العقائد المسيحية**، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

١١- الأرقم الزعبي، **حقائق عن اليهودية**، الدار المتحدة للطباعة والنشر، د.م، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

١٢- أسبيرو جبور، **في التوبة**، المنشورات الأرثوذكسية، د.م، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

١٣- الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي، **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٨م.

١٤- إلياس مقار، **إيماني**، دار الثقافة بالقاهرة، ١٩٨١م.

١٥- القس إميل زكي والقس فايز فارس والقس منيس عبد النور، **إيماني الإنجيلي**، دار الثقافة المسيحية بالقاهرة، ١٩٧٧م.

١٦- البخاري، الإمام أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي، **صحيح البخاري**، إحياء التراث العربي ببيروت، د.ت.

١٧- المعلم بطرس البستاني، **دائرة المعارف**، الجزء السابع دار المعرفة ببيروت، د.ت.

١٨- الدكتور بطرس عبد الملك والدكتور الكساندر طمسون والأستاذ إبراهيم مطر، **قاموس الكتاب المقدس**، د.ن، القاهرة، د.ت.

١٩- بولس سلامة، **مع المسيح**، منشورات الرسل، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٦٨م.

٢٠- البيهقي، أو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقي،**السنن الكبرى**، الجزء الأول، دار المعرفة ببيروت، د.ت.

٢١- **تفسير العهد الجديد**، دار الثقافة بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

٢٢- إبن تيمية، الإمام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، الجزء الثاني، مطبعة المدني بالقاهرة، د.ت.

٢٣- إبن تيمية، الإمام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وساعده ابنه محمد، **الفتاوي**، الجزء ٢٢ طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين، د.ت.

٢٤- الجعفري، أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري، **الرد على النصارى**، حققه وقدم له الدكتور محمد محمد حسانين، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٢٥- جودت السعد، **الشخصية اليهودية عبر التاريخ**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

٢٦- الدكتور جورج فورد، **نور العالم**، المطبعة الأمريكانية ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٣١م.

٢٧- إبن حجر، الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، المجلد الثالث، المكتبة السلفية، د.م، (١٣٧٩هـ).

٢٨- إبن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، الجزء الثاني، مكتبة الخانجي، مصر ١٣٢١هـ.

٢٩- الدكتور حسن ظاظا، **أبحاث في الفكر اليهودي**، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٣٠- الدكتور حسن ظاظا، **الشخصية الإسرائيلية**، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣١- حسني يوسف الأطير، **عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية**، دار الأنصار، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٢- الخزرجي، أبو عبيدة الخزرجي، **بين الإسلام والمسيحية**، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمد شامة، مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٩٧٩م.

٣٣- إبن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي، **المقدمة**، تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافي، الجزء الثاني، دار نهضة مصر بالقاهرة، الطبعة الثالثة، د.ت.

٣٤- أبو داود، الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الإشعث بن إسحق الأزدي السجستاني، **السنن**، الجزء الثالث، دار الحديث، سوريا، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٣٥- الدكتور داود علي الفاضلي، **أصول المسيحية**، كما يصورها القرآن الكريم، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرباط، ١٣٩٣هـ - ١٩٨٦م.

٣٦- الدكتور رؤوف شلبي، **المسيحية الرابعة**، مكتبة الأزهر، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م.

٣٧- رؤوف شلبي، **ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء**، دار الإعتصام بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٣٨- رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي، **إظهار الحق**، دراسة وتعليق، الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، نشر الرئاسة العامة للإدارات والبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٣٩- إبن رشد، القاضي أبو الوليد محمد بن رشد، **تهافت التهافت**، الجزء الثاني، دار المعارف بالقاهرة الطبعة الثانية ١٩٦٨م.

٤٠- الدكتور رفقي على زاهر، **أعلام الفلسفة الحديثة – رؤية نقدية** – مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

٤١- الدكتور رفقي على زاهر، **قصة الأديان**، دراسة تاريخية مقارنة، النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.

٤٢- روبير بندكتي، **التراث الإنساني في التراث الكتابي**، دار المشرق، ببيروت، د.ت.

٤٣- الزمخشري, جاد الله محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف**، الجزء الأول ، دار الكتاب العربي ببيروت، د.ت.

٤٤- زهدي الفاتح، **اليهود**، د.ن، د.م، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٤٥- سعد بن منصور بن كمونة اليهودي، **تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، اليهودية المسيحية الإسلام**، دار الأنصار بالقاهرة، (١٩٣٢م).

٤٦- سليمان مظهر، **قصة الديانات** ، الوطني العربي ببيروت والقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

٤٧- السموأل بن يحي المغربي، **إفحام اليهود**، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، نشر الرئاسة العامة للإدارات والبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

٤٨- **السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم**، الجزء الأول مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ببيروت، ١٩٧٣م.

٤٩- السهانفوري، خليل أحمد، **بذل المجهود في حل أبي داود**، تعليق محمد زكريا بن يحي الكاندهلوي، الجزء ١٤، توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، (١٣٩٢هـ).

٥٠- سهيل ديب، **التوراة بين الوثنية والتوحيد**، دار النفائس ببيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥١- الدكتور السيد رزق الطويل، **بنو إسرائيل في القرآن تاريخ وتحقيق**، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٠م.

٥٢- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق ببيروت والقاهرة، الطبعة التاسعة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٥٣- الدكتور صابر طعيمة، **بنو إسرائيل في نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم**، عالم الكتب ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥٤- صالح محمود صالح، **الإنسانية والصهيونية والتلمود**، منشورات فلسطين ببيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٥٥- الدكتور القس صموئيل حبيب ودكتور القس فايز فارس والقس منيس عبد النور وجوزيف صابر، **دائرة المعارف الكتابية**، دار الثقافة بالقاهرة، ١٩٩٢م.

٥٦- الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني، **سبل السلام**، الجزء الأول، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الرابعة، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

٥٧- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الأول، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥٨- الطوفي، نجم الدين البغدادي الطوفي، **الانتصارات الإسلامية في علم مقارنة الأديان**، دراسة وتحقيق أحمد حجازي السقا، مطبعة دار البيان، مصر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥٩- ظفر الإسلام خان، **التلمود تاريخه وتعليمه**، دار النفائس ببيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٦٠- عباس محمود العقاد، **حقائق الإسلام وأباطيل خصومه**، دار القلم ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م.

٦١- عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، دار القلم بدمشق وبيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦٢- عبد الرحمن بن سليم البغدادي، الفارق بين المخلوق والخالق، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، د.ت.

٦٣- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تيسير كلام المنان**، الجزء الثالث، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، ١٤٠٤هـ.

٦٤- عبد العزيز بن الشيخ بن حمد بن ناصر آل معمر، **كتاب منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب**، دار ثقيف للنشر التأليف، الطائف المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٦٥- عبد الفادي القاهراني وجماعة من اللاهوتيين المسيحيين، **رب المجد**، دار منشورات النفير ببيروت، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

٦٦- عبد الفتاح عبد الحميد - المحامي، **على طريق حكماء صهيون (يامسلمين العالم اتحدوا)**، دار الأنصار بالقاهرة، ١٩٧٦م.

٦٧- عبد المجيد الشرفي، **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/العاشر**، الدار التونسية للنشر بتونس، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٦٨- علاء الدين شمس الدين المدرس، الظاهرة القرآنية والعقل، **دراسة مقارنة للكتب المقدسة**، مطبعة العاني ببغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٦٩- علي الشوك، **الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة**، دار اللام، لندن، ١٩٨٧م.

٧٠- الدكتور علي عبد الواحد وافي، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار النهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة**، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٧١- عمار البصري، **كتاب البرهان وكتاب المسائل والأجوبة**، حققه وقدم له ميشال الحايك، دار المشرق ببيروت، ١٩٧٧م.

٧٢- الدكتور عمر سليمان الأشقر، **الرسل والرسالات**، مكتبة الفلاح بالكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٧٣- عوض سمعان، **فلسفة الغفران في المسيحية**، مكتبة دار نداء الرجاء، حمص دمشق.د.ت.

٧٤- الغزالي، أبو حامد الغزالي، **الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل**، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، دار أمية للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٧٥- الدكتور فؤاد حسنين علي، **التوراة عرض وتحليل**، مطبعة دار المستقبل بالقاهرة، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٦م.

٧٦- الدكتور فاروق أحمد دسوقي، **القضاء والقدر في الإسلام**، الجزء الأول، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع بالاسكندرية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٧٧- الدكتور فرانس دافدسن وجماعة من اللاهوتين، **تفسير الكتاب المقدس**، دار منشورات النفير ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م.

٧٨- الدكتور قاسم عبده قاسم، **ماهية الحروب الصليبية**، صدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٧٩- إبن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمود بن قدامة، **المغني** ، دار الكتاب العربي ببيروت، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٨٠- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي المعروف بالقرافي، **الأجوبة الفاخرة**، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٨١- القرافي، شهاب الدين أحمد بن أدريس المالكي المعروف بالقرافي، **أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية**، تحقيق عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، د.ن، د.م، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨٢- إبن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، **تحفة الودود بأحكام المولود**، خرج أحاديثه وحققه وعلق عليها وصنفها الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، دار الجبل ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨٣- إبن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، **هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى**، راجعه وعلق على حواشيه سيد الدين الكاتب، دار مكتبة الحياة ببيروت، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

٨٤- إبن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

٨٥- إبن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، خرج أحاديثه مقبل بن هادي الوادعي، المجلد الأول، دار الأرقم للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٨٦- القس لبيب ميخائيل، قضية الصليب، المطبعة التجارية الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٥٦م.

٨٧- إبن ماجه، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه، **سنن ابن ماجه**، دار إحياء التراث العربي، د.م، الجزء الأول، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٨٨- **مباحث في إعتقادات بعض الكنائس**، د.ن، بيروت، ١٨٤٤م.

٨٩- متولي يوسف شلبي، **أضواء على المسيحية**، الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٩٠- محمد أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات والبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ.

٩١- الدكتور محمد أبو الغيط الفرت، **بولس والمسيحية**، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٩٢- الدكتور محمد أحمد دياب الحافظ، أضواء على اليهودية من خلال مصادرها، دار المنار للنشر والتوزيع بالقاهرة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

٩٣- الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، **البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولاحظ له فى الألوهية**، مطابع دار الثقافة بمكة، ١٣٩٣ه.

٩٤- محمد حسن عبد الرحمن، **براهين تحتاج تأمل في ألوهية المسيح**، دار الكتاب الحديث، د.م، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٤١٠هـ /١٩٨٩م.

٩٥- الدكتور محمد خليفة حسن محمد، **ظاهرة البنوة الإسرائيلية**، مطبوعات مركز الدراسات الشرقية بالقاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٩٦- محمد رشيد رضا، **تفسير القرآ، الكريم - المشتهر بإسم تفسير المنار**، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت، الطبعة الثانية، د.ت.

٩٧- محمد السعدي، **دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة**، دار الثقافة، الدوحة قطر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٩٨- الدكتور محمد سيد طنطاوي، **بنو إسرائيل في القرآن والسنة**، الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٩٩- الدكتور محمد شلبي شتيوي، **مقارنة الأديان التوراة - دراسة وتحليل**، مكتبة إبن تيمية بالكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

١٠٠- محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، الجزء الثاني، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع بمكة المكرمة، الطبعة الثالثة، د.ت.

١٠١- محمد عبده، **الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية**، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

١٠٢- محمد عبده، **رسالة التوحيد**، مطبعة محمد على صبيح وأولاده بميدان الأزهر، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

١٠٣- محمد عزت الطهطاوي - المستشار، **في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام**، مكتبة النور للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٠٤- محمد عزت الطهطاوي - المستشار، **الميزان في مقارنة الأديان - حقائق ووثائق**، دار العلم بدمشق والدار الشامية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٠٥- محمد الغزالي، **عقيدة المسلم**، دار الكتب الإسلامية بالقاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٠٦- الدكتور محمد مجدي مرجان، **الله واحد أم ثالوث**، دار النهضة العربية بالقاهرة، ١٩٧٢م.

١٠٧- الدكتور محمد مجدي مردان، **المسيح إنسان أم إله**، هذبه وحققه وعلق عليه عبد الرحمن دمشقية، مكتبة الحرمين بالرياض، (١٤٠٦هـ).

١٠٨- الدكتور محمود عبد السميع شعلان، **نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام دراسة مقارنة**، دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٠٩- الدكتور محمود علي حماية، **التجسد والصلب بين الحقيقة والافتراء**، مكتبة مروة، مصر ١٩٩٠م.

١١٠- المسعودي، الشيخ أبو الفضل المالكي المسعودي، **كتاب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل**، مطبعة التمدن، مصر، ١٣٢٢هـ.

١١١- مسلم، الإمام أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم بشرح النووي**، دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة الثالثة، د.ت.

١١٢- **معجم اللاهوت الكتابي**، دار المشرق ببيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

١١٣- **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد عبد القادر، ومحمد على النجار، مجمع اللغة العربية، أشرف على طبعه عبد السلام هارون، الجزء الثاني، المكتبة العلمية بطهران، د.ت.

١١٤- مكس ميشيل، **حياة المسيح**، دار يوسف كمال للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣م.

١١٥- الأب الدكتور منير خوام، **المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية**، مؤسسة خليفة للطباعة ببيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

١١٦- موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي، دلالة الحائرين، الجزء الأول، تحقيق الدكتور حسن أتاي، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

١١٧- المعلم ميخائيل مشاقة، **كشف النقاب عن وجه المسيح الكذاب**، د.ن، بيروت، ١٨٦٠م، ضمن كتاب شهادة الكنيسة على نفسها، تحرير هياسنت الكرملي، د.ن، د.م، د.ت.

١١٨- الميروقي، أبو محمد عبد الله الترجمان الميروقي، **تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب**، دراسة وتحقيق وتعليق عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١١٩- ندرة اليازجي، **رد على اليهودية واليهودية المسيحية**، طلاس للدراسات والترجمة والنشر بدمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

١٢٠- نصر بن يحي بن عيسي المتطبب، **النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية**، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة للنشر بالقاهرة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٢١- الدكتور نظمي لوقا، **محمد الرسالة والرسول**، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٥٩م.

١٢٢- هنري أبو خاطر، **نظرات في الحتمية والجبرية والحرية**، الأهلية للنشر والتوزيع ببيروت، ١٩٨١م.

١٢٣- يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط**، دار القلم ببيروت، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

ثانيا: المراجع الأجنبية:

(أ) كتب مترجمة:

١- القديس إثنايوس الرسولي، **تجسد الكلمة**، نقله إلى العربية القس مرقس داود، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٧٧م.

٢- أغوسطينوس، **خواطر فليسوف في الحياة الروحية، للقديس أغوسطنيوس**، نقلها إلى العربية الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق ببيروت، الطبعة الثالثة د.ت.

٣- الأب آلان مرشدور، **الموت والحياة في الكتاب المقدس**، نقلته إلى العربية الأم مارى هنرييت غانم، دار المشرق ببيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

٤- بوكاي، موريس بوكاي، **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**، دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٦م.

٥- جون ويسلي، وكلارك ومتى هنري ولانج وغيرهم، **تفسير أعمال الرسل**، تعريب الدكتور عزت زكي، الناشر لجنة مكتبة النيل المسيحية بالقاهرة، ١٩٧٩م.

٦- جون ويسلي، ومجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس، **تفسير إنجيل متى**، المعرب لجنة مكتبة النيل المسيحية بالقاهرة، د.ت.

٧- جون ويسلي، ومجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس، **تفسير إنجيل مرقس**، تعريب إدوارد وديع عبد المسيح، الناشر لجنة مكتبة النيل المسيحية بالقاهرة، ١٩٧٨م.

٨- جون ويسلي وكلارك ومتى هنري وغيرهم، **تفسير بشارة يوحنا**، تعريب الدكتور عزت زكي، الناشر لجنة مكتبة النيل المسيحية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٩- الأسقف دافيد براون، **هل صلب المسيح**، نقله إلى العربية جاد المنفلوطي، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، مصر ١٩٧٧م.

١٠- ديورانت، ويل ديورانت، **قصة الحضارة**، ترجمة الدكتور عبد الحميد يونس، المجلد السادس الجزء الأول منه، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جامعة الدول العربية، الطبعة الخامسة، ١٩٧١م.

١١- ديورانت، ويل ديورانت، **قصة الحضارة**، ترجمة محمد بدران، المجلد الأول الجزء الثاني منه، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية، الطبعة الخامسة، ١٩٧١م.

١٢- راسل، برتراند راسل، **الفوز بالسعادة**، ترجمة سمير عبده، منشورات مكتبة الحياة ببيروت، ١٩٨٠م.

١٣- الدكتور روهليج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ترجمة الدكتور يوسف نصر الله، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

١٤- زينون كاسيدوفيسكي، **الواقع والأسطورة في التوراة**، ترجمة الدكتور حسان اسحق، دار الأبجدية بدمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

١٥- سبينوزا، **رسالة اللاهوت والسياسة**، ترجمة وتقديم الدكتور حسن حنفي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، د.م، ١٩٧١م.

١٦- الدكتور شارل جنيبير، **المسيحية نشأتها وتطورها**، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، د.ت.

١٧- فرويد، سيجموند فرويد، **موسى والتوحيد، اليهودية في ضوء التحليل النفسي**، ترجمة الدكتور عبد المنعم الحفني، الطبعة الثانية د.ن، د.م، ١٩٧٨م.

١٨- كارل راهنز وهربرت فورغريملر، **معجم اللاهوت الكاثوليكي**، نقله إلى العربية المطران عبده خليفه دار المشرق ببيروت، د.ت.

١٩- **الكتاب المقدس**، ترجم من اللغات الأصلية وهي العبرية الكلدانية واليونانية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، د.م، ١٩٨٩م.

٢٠- مارسيل بوازار، **إنسانية الإسلام**، ترجمة الدكتور عفيف دمشقية، منشورات دار الآداب ببيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.

٢١- نورمان كانتور، **العصور الوسطى الباكرة**، القرن الثالث/ القرن التاسع الميلادي، ترجمة وتعليق الدكتور قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، (١٩٩٣م).

٢٢- ويلز، هربرت جورج ويلز، **موجز تاريخ العالم**، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (١٩٥٨م).

٢٣- القديس يوحنا الدمشقي، **المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي**، عربه عن النص اليوناني الأرشمندريت أدريانوس شكورفب، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

(ب) كتب إنجليزيـــة:

1- Bradley - David G, A Guide to the world,s Religions, A Spectbom Book. Prentice-Hall, Inc. Englewood Cliffs, N.J.

2- Gragg. Kenneth, Jesus and the Muslim, George Allen and Unwin, London, 1985.

3- Gray. George Buchanan, Sacrifice in the old Testament - its theory and practice, The Clarendon Press, Oxford, 1925.

4- Hirschfeld. Harwig, Qirqisani studies, Printed at oxford of Frederick Hall: Jews College, London, England, 1918.

5- Kaufinann. Yehezkel, The Religion of Israel - From Beginnings to the Babylonian Exile, Translated and Abridged by Moshe Greenberg, Schoken Books, New York, 1972.

المحتويات

الموضوع الصفحة

الباب الثالث

الإسلام والخطيئة الأولى (١٧١-٢٤٢)

الباب الرابع

المقارنة بين موقف الأديان الثلاثة من قضية الخطيئة الأولى (٢٤٣-٢٩٣)

مطبعة العمرانية للأوفست
الجيزة ت ٥٨١٧٥٥٠